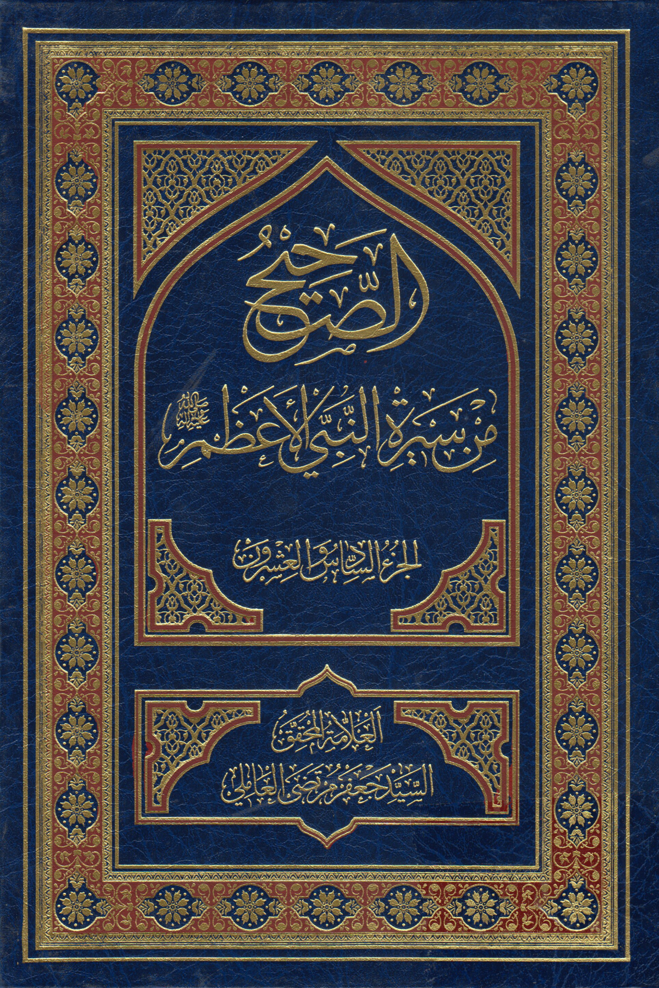

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله
الجزء السادس والعشرون
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم









الجزء السادس والعشرون

الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ

(الجزء السادس والعشرون)

للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دارالحديث للطباعة والنشر

المطبعه: دارالحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ ق - ٢٠٠٧ م - ١٣٨٦ هـ ش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٧٧٤٠٥٤٥ - ٧٧٤٠٥٢٣ - ٠٢٥١ ٧٧٤٠٥٧١ / فاكس: ٠٢٥١ ٧٧٤٠٥٧١ / ص.ب ٣٧١٨٥/٤٤٦٨

لبنان - بيروت - حارة حريك - خلف الضمان الاجتماعي - بناية فروزان. تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤ - ١ - ٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

http://www.hadith.net

hadith@hadith.net

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

ISBN: 978 - 964 - 493 - 198 - 7



الباب السادس

أحداث وسرايا.. إلى تبوك..

[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين..

وبعد..

نتابع حديثنا عن هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الإسلام، والتي انتهت بسقوط عنفوان الشرك، في المنطقة بأسرها.. لتكون الهيمنة المطلقة للإسلام وللمسلمين، باعتراف صريح من رموز الشرك، وعتاته، وفراعنته، وجباريه.

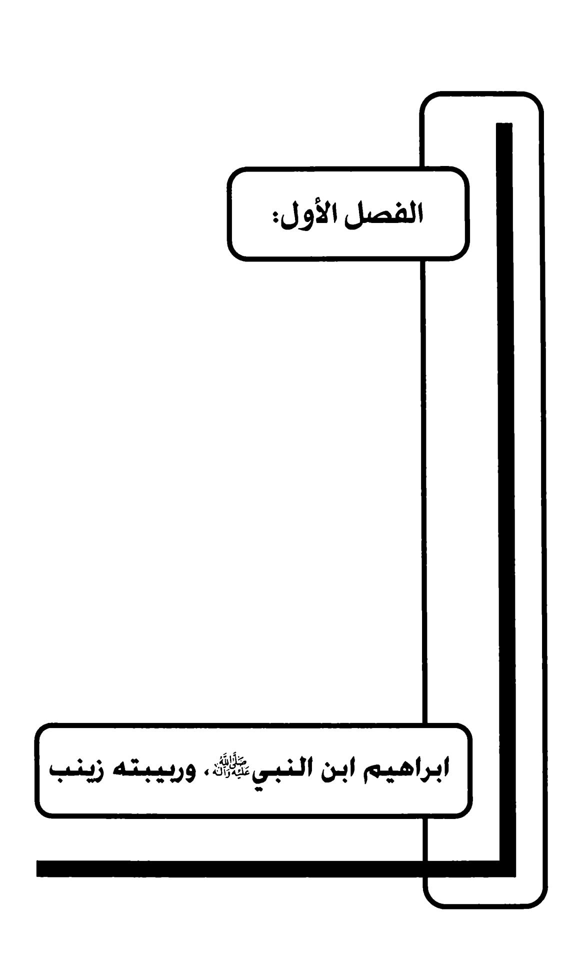
وتتمثل نهايات هذه المرحلة بحسم الأمر بالنسبة لقبيلة هوازن في حنين وأوطاس.. وسقوط ثقيف وخثعم في الطائف..

ثم تبع هذه المرحلة تداعيات طبيعية، تمثلت بانثيال وفود قبائل العرب على المدينة، ليعلنوا ولاءهم، وتأييدهم، وقبولهم بالإسلام ديناً، واعترافهم بمحمد نبياً..

والذي يعنينا الحديث عنه في هذا الباب وفصوله هو عرض ما جرى في حنين، وأوطاس، والطائف..

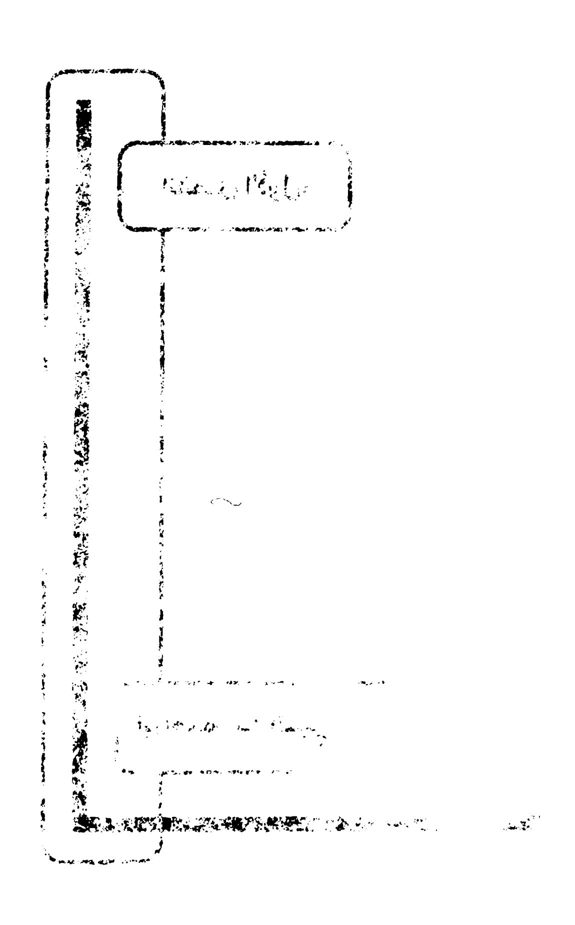
وأما الحديث عن الوفود، وعن سائر الأحداث الهامة، فنأمل أن نوفق للتعرض له فيما سوى ذلك من أبواب إن شاء الله تعالى..

فنقول.. ونتوكل على خير مأمول ومسؤول:



الفصل الأول:

ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله، وربيبته زينب



وفاة زينب ربيبة الرسول ﷺ:

قال الصالحي الشامي: روى الطبراني مرسلاً برجال الصحيح، عن ابن الزبير: أن رجلاً أقبل بزينب بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلحقه رجلان من قريش، فقاتلاه حتى غلباه عليها، فدفعاها، فوقعت على صخرة، فأسقطت وهريقت دماً، فذهبوا بها إلى أبي سفيان، فجاءته نساء بني هاشم، فدفعها إليهن.

ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة، فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع، فكانوا يرون أنها شهيدة[1].

وكانت وفاتها في أول سنة ثمان من الهجرة، فغسلتها أم أيمن، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة.

وصلى عليها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ونزل في قبرها، ومعه أبو العاص. وكان جعل لها نعش، فكانت أول من اتخذ لها ذلك[2].

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص٢١٦ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٢ ص٤٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣١ عن الطبراني.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣١ عن الطبراني وفي وفاتها راجع: البحار ج٢١ ص١٨٣ عن الكازروني، والمعجم الأوسط ج٦ ص٦٦ والطبقات الكبرى =

ونقول:

إن لنا على هذا النص ملاحظات عديدة، نذكر منها:

١ ـ قد ذُكر: أن زينب زوجة أبي العاص بن الربيع هي بنت رسول الله«صلى الله عليه وآله»، والحال أننا قد ذكرنا في أوائل هذا الكتاب: أن الدلائل والشواهد تشير إلى أنها لم تكن بنتاً للنبي «صلى الله عليه وآله» على الحقيقة، وإنما كانت تنسب إليه، لأنها تربت عنده في بيته.

ولم نستبعد أن يكون لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بنات أخريات باسم: زينب، ورقية، وأم كلثوم أيضاً، ولكنهن متنَ في حال الصغر، فراجع.

٢ ـ لا ندري لماذا لا يصرح ابن الزبير باسم الرجلين اللذين أدركا زينب في الطريق، وروعاها، مع أن التاريخ لم يبخل علينا بهذا الأمر، فإن هبَّار بن الأسود هو الذي سبق إليها وروعها بالرمح، وأسقطها على الصخرة، فطرحت ذا بطنها.. وقد أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه في فتح مكة، وتقدمت قصته.

٣ ـ أما الرجل الذي أقبل بزينب ليسلمها إلى زيد بن حارثة، الذي أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» لاستلامها، فهو نفس زوجها العاص بن الربيع، فلحقه رجال من قريش فيهم: أبو سفيان، وهبَّار بن الأسود، فسبق

= لابن سعد ج٨ ص٣٤ و ٤٥٥ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٥٠ والإصابة ج٨ ص١٥٢ وأعيان الشيعة ج٣ ص٤٨٢ وبشارة المصطفى ص٤١٩ ونيل الأوطار للشوكاني ج٤ ص١٤٩ ومسند أحمد ج٥ ص٨٥ وصحيح مسلم ج٣ ص٤٨ وفتح الباري ج٣ ص١٠٣ وعمدة القاري ج٨ ص٣٩ و ٤٦ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٧٥ والمصنف لابن أبي شيبة.

إليها هبَّار، فكان ما كان حسبما أوضحناه[١].

٤ ـ ما زعمه: من أنهم أخذوا زينب من زوجها قهراً، فذهبوا بها إلى أبي سفيان، غير دقيق، فإن الروايات أيضاً قد صرحت: بأن أبا سفيان كان حاضراً حين أسقطوها على الصخرة، فألقت ذا بطنها، فبرك حموها كنانة بن الربيع ونثل كنانته بين يديه، وتهددهم، فتكركر الناس.

ففاوضه أبو سفيان، وأقنعه: بأن ترجع إلى مكة. يسلُّها سراً، حتى لا يظن الناس أن إخراجها جهاراً كان عن ذل أصابهم، ودليل وهن وضعف منهم.

فأرجعها إلى مكة، فبقيت عند هند بنت عتبة، ثم انسلت إلى زيد بن حارثة، فقدم بها على رسول الله «صلى الله عليه وآله»[٢].

---

(١) مستدرك الحاكم ج٤ ص٤٢ و ٤٤ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢١٦ عن الطبراني وقاموس الرجال ج١٠ ص٢٦٦ و ٢٦٧ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص١٩٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٥١ وج٧ ص١٤١ والبحار ج١٩ ص٣٥١ والبداية والنهاية ج٣ ص٣٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٥١٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٦٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٤٨٠ والمنتخب من ذيل المذيل ص٢ والإستيعاب ج٤ ص١٥٣٦ و ١٨٥٣ و ١٨٥٤ وقاموس الرجال ج١٢ ص٢٦٦ وعيون الأثر ج٢ ص١٩٦والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٩ وأسد الغابة ج٥ ص٥٣ والوافي بالوفيات ج٢٧ ص١٣٢ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٤٤٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص٤٥٣ والوافي بالوفيات ج٢٧ ص١٣٢.

(٢) ذخائر العقبى ص١٥٧ومجمع الزوائد ج٩ ص٢١٥ وراجع: شرح النهج ج١٤ ص١٩٢ و ١٩٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص١٩٣ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٣ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٤٢ و (ط دار الكتب العلمية) ص٤٥ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٥١ والبحار ج١٩ ص٣٥١.

٥ ـ وقد ذكرت رواية الطبراني: أنها حين توفيت جُعل لها نعش، فكانت أول من اتُّخذ لها ذلك.

ولكننا قد ذكرنا حين الكلام عن زواج النبي «صلى الله عليه وآله» بزينب بنت جحش: أنهم يقولون عن زينب أيضاً: أنها حين ماتت صنعوا لها نعشاً، وأنها كانت أول من اتُّخذ لها ذلك.

وقلنا هناك: إن الصحيح، هو: أن أول من صنع لها نعش هي فاطمة الزهراء «عليها السلام».

٦ ـ قد ذكرنا في باب «ما بين بدر وأحد»، فصل: «شخصيات وأحداث» كلام النقيب أبي جعفر مع ابن أبي الحديد المعتزلي حول موقف النبي «صلى الله عليه وآله» من إسقاط زينب لجنينها، وما يتوقعه من موقف له «صلى الله عليه وآله».

وأشرنا هناك إلى موضوع إسقاط الزهراء «عليه السلام» للمحسن، بسبب العدوان عليها في يوم وفاة أبيها «صلى الله عليه وآله»، بالإضافة إلى أمور أخرى قد يكون الرجوع إليها مفيداً أيضاً.

مهلاً يا عمر، دعهن يبكين:

وقالوا: لما ماتت زينب بنت (ربيبة) رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ألحقوها بسلفنا الخيِّر، عثمان بن مظعون، فبكت النساء، فجعل عمر يضربهن بسوطه، فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» يده وقال: مهلاً يا عمر، دعهن يبكين، وإياكن ونعيق الشيطان.

إلى أن قال: وقعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» على شفير القبر، وفاطمة «عليها السلام» تبكي، فجعل النبي «صلى الله عليه وآله» يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها[1].

ونقول:

١ ـ قد رويت هذه الحادثة في مناسبة وفاة رقية أختها[2].

والروايات تؤكد على: أن هذا الفعل قد تكرر من عمر أمام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» ينهاه ويزجره في كل مرة، وبقي يفعل ذلك بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكنه سمح لعائشة بالبكاء على أبيها، وظل يضرب سائر النساء من أجل ذلك.

وقد ذكر العلامة الأميني «عليه الرحمة والرضوان» طائفة من هذه

---

(١) راجع: مسند أحمد ج١ ص٢٣٧ ومجمع الزوائد ج٣ ص١٧ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٧٥ والغدير ج٦ ص١٥٩ ونيل الأوطار ج٤ ص١٤٩ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٩٠ والإستيعاب ج٣ ص١٠٦٥.

(٢) ميزان الإعتدال (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٢٩ و (ط دار الكتب العلمية) ج٥ ص١٧٥ والفصول المهمة للسيد شرف الدين ص٩١ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص٢٧ ومسند أحمد ج١ ص٣٣٥ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٤٦٧ والنص والإجتهاد ص٢٩٨ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٤٧٣ ومسند أبي داود الطيالسي ص٣٥١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٣٩٨ وج٨ ص٣٧ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٥١ والإصابة ج٨ ص١٣٨ وتاريخ المدينة لابن شبة ج١ ص١٠٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٢٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٣٥٧ ومجمع الزوائد ج٩ ص٣٠٢ والمعجم الكبير للطبراني ج٩ ص٣٧.

الموارد في كتابه القيم: «الغدير» ج٦ ص١٦٠ ـ ١٦٦ فراجعه..

٢ ـ وعن موقف النبي «صلى الله عليه وآله» من فاطمة «عليها السلام» نقول:

ليت النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» كان حاضراً يوم هجموا على بيتها، وأسقطوا جنينها، وأحرقوا بابها، وكشفوا بيتها، وتسببوا باستشهادها مظلومة مكلومة، ليكون «صلى الله عليه وآله» هو الذي يبلسم جراحها، ويكفكف دموعها، ويدافع عنها..

إبراهيم ابن رسول الله ﷺ:

وفي شهر ذي الحجة من سنة ثمان ولد إبراهيم ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مارية في موضع يقال له: العالية في المدينة، وكانت قابلتها سلمى زوجة أبي رافع، فأخبر زوجها أبو رافع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بولادته، فوهب له عبداً.

وسماه النبي «صلى الله عليه وآله» إبراهيم، وعق عنه يوم سابعه بشاة، وحلق رأسه، فتصدق بزنة شعره فضة على المساكين، وأمر بشعره فدفن في الأرض.

وتنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه، فدفعه «صلى الله عليه وآله» إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد، وزوجها البراء بن أوس.

وكان «صلى الله عليه وآله» يأتي أم بردة فيقيل عندها، ويؤتى بإبراهيم.

ويقال: دفعه إلى أم سيف امرأة قين بالمدينة، يقال له: أبو سيف[1].

وغارت نساء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واشتد عليهن حين رزق منها الولد.

ولما ولدته جاء جبرئيل «عليه السلام» إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: «السلام عليك يا أبا إبراهيم»[2].

ونقول:

إن هناك جزئيات وتفاصيل كثيرة ترتبط بنحو أو بآخر بإبراهيم ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكن ربما يكون التعرض لذلك كله بالتحقيق والتحليل غير ممكن، من حيث إنه يستغرق وقتاً طويلاً وجهداً، ومعاناة قد يرى البعض أن يكون صرفهما في أمور أكثر حساسية وأهمية

---

(١) البحار ج٢١ ص١٨٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٦٩ وج٦ ص١٢٧ وفتح الباري ج٣ ص١٣٩ وعمدة القاري ج٨ ص١٠٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٢٦٧ ومسند أبي يعلى ج٦ ص٤٢ وصحيح ابن حبان ج٧ ص١٦٢ والإستيعاب ج١ ص٥٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٣٦ وأسد الغابة ج١ ص٣٨ وج٧ ص١٦٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٩٩ والوافي بالوفيات ج٦ ص٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢١ و ٢٢ عن ابن سعد، وعن البخاري، ومسلم، والبحار ج٢١ ص١٨٣ عن المنتقى للكازروني، وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص٤٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٧١٠ وأنساب الأشراف ج١ ص٤٤٨ ـ ٤٥٠ ومجمع الزوائد ج٤ ص٣٢٩ وعمدة القاري ج١٦ ص١٠٠، وأي كتاب تاريخي أو حديثي يتحدث عن السيرة النبوية الشريفة.

أولى وأوجب، ولعل بعضها له مساس قريب بما يهم الناس التعرف عليه، وتمييز الصحيح منه عن غيره..

ولذلك، فنحن نقتصر هنا على التذكير ببضع نقاط، رأينا أنه لا ضير في التعرض لها هنا.

فنقول:

عائشة: إبراهيم لا يشبه النبي ﷺ:

ذكرت الروايات: أنه أتي النبي «صلى الله عليه وآله» بإبراهيم يوماً وهو عند عائشة، فقال: انظري إلى شبهه.

فقالت: ما أرى شبهاً.

فقال: ألا ترين إلى بياضه ولحمه؟!

فقالت: من قصرت عليه اللقاح، وسقي ألبان الضأن سمن وابيض[1].

وكانت عائشة تقول: «ما غرت على امرأة غيرتي على مارية، وذلك لأنها كانت جميلة، جعدة الشعر، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» معجباً بها، ورزق

---

(١) أنساب الأشراف ج١ ص٤٥٠ والبداية والنهاية ج٨ ص٧٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٣٧ و (ط ليدن) ج١ ق١ ص٨٨ والدر المنثور ج٦ ص٢٤٠ عن ابن مردويه، والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٠٩ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٨٧ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٩ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وقاموس الرجال ج١٢ ص٣٠٢ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٣٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٣٧ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٨٧.

منها الولد وحرمناه»[١].

وعن الإمام الباقر «عليه السلام»: «أنه «صلى الله عليه وآله» حجب مارية، وكانت قد ثقلت على نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، وغرن عليها، ولا مثل عائشة»[٢].

وعنه أيضاً: أن إبراهيم لما هلك، وحزن عليه النبي «صلى الله عليه وآله»، قالت له عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟ فما هو إلا ابن جريج.

فبعث النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»، وأمره بقتله..

ثم تذكر الرواية: أنه وجده ما له ما للرجال، ولا ما للنساء.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «الحمد لله الذي صرف عنَّا أهل البيت السوء»[٣].

---

(١) أنساب الأشراف ج١ ص٤٥٠ ووفاء الوفاء ج٣ ص٨٢٦ والإصابة ج٤ ص٤٠٥ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٣١١ وقاموس الرجال ج١٢ ص٣٤٣ عن أنساب الأشراف ج١ ص٤٤٨ و ٤٥٠ وراجع: البداية والنهاية ج٣ ص٣٠٣ و ٣٠٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٥٣ و (ط دار صادر) ص٢١٢ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٣٦ وج٦ ص١٣٠ ورسالة مارية للشيخ المفيد ص٢٦ والمنتخب من كتاب أزواج النبي ج١ ص٥٧.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٠٩ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج١ ق١ ص٨٦ و (ط دار صادر) ج١ ص١٣٥ والإصابة ج٤ ص٤٠٥ والمنتظم ج٣ ص٣٤٥ ورسالة مارية للشيخ المفيد ص٢٦.

(٣) تفسير القمي ج٢ ص٩٩ و ١٠٠ وص٣١٨ و ٣١٩ والبرهان (تفسير) ج٣ ص١٢٦ و ١٢٧ وج٤ ص٢٠٥ ونور الثقلين ج٣ ص٥٨١ و٥٨٢ وراجع: البحار ج٢٢ ص١٥٥ و ١٥٤ و ٢٤٢ والتفسير الصافي ج٣ ص٤٢٤ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٥٨١ وتفسير الميزان ج٥ ص١٠٣ و ١٠٤ وراجع: علل =

وحديث الخصي، واتهام بعض الناس لمارية به، مذكور في كثير من المصادر[1].

جبرئيل يبرئ مارية:

عن أنس قال: لما ولد إبراهيم لرسول الله «صلى الله عليه وآله» جاء جبرئيل «عليه السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: «السلام

= الشرائع ج٢ ص٢٦٧ وعن الخصال ج٢ ص١٢٠ ـ ١٢٦ وراجع: قاموس الرجال (ط أولى) ج٣ ص٢٧٩ و (ط مركز النشر الإسلامي) ج١٢ ص٣٠٢ و ٣٤٢ ومجمع البحرين ج١ ص٨٢ وجامع الشتات ص٣٦.

(١) أنساب الأشراف ج١ ص٤٥٠ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٤ ص٤١١ ٤١٢ والإصابة ج٣ ص٣٣٤ وج٤ ص٤١١ و ٤١٢ وصحيح مسلم ج٨ ص١١٩ ومستدرك الحاكم ج٤ ص٣٩ و٤٠ وتلخيص مستدرك الحاكم للذهبي، نفس الجزء والصفحة، والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٣ وج٣ ص٣٠٤ عن أحمد والمحلى ج١١ ص٤١٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٠٩ و ٣١٢ وأسد الغابة ج٥ ص٥٤٢ و٥٤٤ وج٤ ص٢٦٨ والكامل في التاريخ ج٢ ص٣١٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٥٤ و ١٥٥ و (ط ليدن) ج١ ق١ ص٨٨ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٦١ وج٤ ص٣٢٩ عن الطبراني في الأوسط، والأمالي للمرتضى ج١ ص٧٧ و (ط منشورات مكتبة المرعشي) ص٥٤ وصفة الصفوة ج٢ ص٧٨ و٧٩ وكشف الأستار عن مسند البزار ج٢ ص١٨٨ و ١٨٩ والبحار ج٢٢ ص٥٣ و ١٦٧ و ١٦٨ وعن أحمد، والضياء في المختارة والفائق ج١ ص٢٨٧ والدر المنثور ج٦ ص٢٤٠ وكنز العمال ج٥ ص٤٥٤ وأضواء على السنة المحمدية ص٤٥ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص٢٢٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٢٣٦ وسيرة ابن إسحاق ج٥ ص٢٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢١٩ وجامع الشتات ص٣٦.

عليك يا أبا إبراهيم»[١].

وفي نص آخر: لما ولد إبراهيم كاد يقع في نفس النبي «صلى الله عليه وآله»، حتى أتاه جبرئيل، فقال: «السلام عليك يا أبا إبراهيم»[٢].

وأصرح من ذلك: ما روي: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعمر: «ألا أخبرك يا عمر: إن جبرئيل «عليه السلام» أخبرني أن الله عز وجل قد برَّأ مارية وقريبها مما وقع في نفسي، وبشرني: أن في بطنها غلاماً، وأنه أشبه الخلق بي، وأمرني أن أسميه إبراهيم»[٣].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١ ص٥٣٧ وج١١ ص٢١ و ٢١٩ عن ابن سعد، والبحار ج١٥ ص٢٨٠ وج١٦ ص١٢٠ و ١٣١ وج٢١ ص١٨٣ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٦٠٤ ومجمع الزوائد ج٤ ص٣٢٩ والآحاد والمثاني ج٥ ص٤٤٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٤٧ و ١٣٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٤٤ و ١٣٣ والإصابة ج١ ص٣١٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص٣٤ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٣٠ وإمتاع ج٢ ص١٤٨ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص٢٣٥ وإعلام الورى ج١ ص٤٣ وكشف الغمة ج١ ص١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦١٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١ ص٥٣٧ وج١١ ص٢١ عن ابن مندة، والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٤١٣ وعمدة القاري ج١٦ ص١٠٠ وفيض القدير ج٣ ص٣٢٣.

(٣) كنز العمال ج١١ ص٤٧١ وج١٤ ص٩٧ عن ابن عساكر بسند حسن، والإصابة ج٣ ص٣٣٥ عن فتوح مصر لابن عبد الحكم، والسيرة الحلبية ج٣ ص٣١٢ و ٣١٣ و (ط دار المعرفة) ص٣٩٩ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٦٢ والإصابة ج٥ ص٥١٨ وراجع: دلائل الصدق ج٣ ق٢ ص٢٦ وراجع: رسالة حول خبر مارية ص٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٤٦ وفتوح مصر وأخبارها للقرشي المصري ص١٢١.

ثم أكد «صلى الله عليه وآله» على هذا الأمر حتى حين موت إبراهيم، فقد روي: أنه «لما توفي إبراهيم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة»(١).

فجبرئيل قد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» ليس فقط بشبه ولده به، بل هو قد أخبره: بأنه أشبه الخلق به، حتى قبل أن يولد.

ولكن عائشة لا ترى أي شبه لإبراهيم برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجبرئيل يخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأن هذا الطفل ابنه، وعائشة تقول لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد موت هذا الطفل: إنه ليس ولده، بل هو ابن جريج القبطي.. وتشكك في بنوته له قبل أن يولد أيضاً.

ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يخبر عمر قبل أن تلد مارية ولده: بأن

---

(١) صحيح مسلم ج٧ ص٧٧ وفتح الباري ج٣ ص١٤٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٤٦ وعمدة القاري ج٨ ص١٠٣ والديباج على مسلم ج٥ ص٣٢٠ والجامع الصغير ج١ ص٣٣٠ وكنز العمال ج١١ ص٤٧٠ وج١٢ ص٤٥٥ وج١٤ ص٩٨ عن أبي نعيم، وراجع: رسالة حول خبر مارية ص٣٠ ومسند أبي يعلى ج٧ ص٢٠٥ وفيض القدير ج٢ ص٥١٥ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٩٠ ومعجم المحاسن والمساوئ ص٣٩٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٣٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٣١ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٢ ص٢٢٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦١٣ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٦١ والجمع بين الصحيحين ج٢ ص٦٥٥ ومشكاة المصابيح ج٣ ص١٦٢١ والمنتظم ج٤ ص١١ وراجع: سبل السلام ج٣ ص٢١٧ والمجازات النبوية ص٣٨٣ ومسند أحمد ج٣ ص١١٢ وشرح مسلم للنووي ج١٥ ص٧٦.

جبرئيل قد برَّأ مارية مما قذفت به، وبأن الجنين ابنه..

وعائشة تبقى مصرة على قذف مارية قبل أن تلد ولدها، وبعد ولادتها، وحتى بعد موت ذلك الولد أيضاً.

قسوة وجرأة:

وبعد.. فإن عظمة الرسول «صلى الله عليه وآله»، وهو أفضل وأشرف وأقدس خلق الله تعالى.. من شأنها: أن تجعل الناس جميعاً يتريثون في الإقدام على أي موقف، أو التفوه بأية كلمة، أو القيام بأي تصرف في حضوره «صلى الله عليه وآله»..

وتفرض عليهم حسابات كثيرة في هذا الإتجاه، ويخضعون لهذا الواقع بصورة عفوية، ومن دون حاجة إلى توجيه أو دلالة من أحد..

أضف إلى ذلك: أن موقع النبوة، وقداسة الأنبياء، وعلاقة ذلك برضا الله تعالى، وبقبول الأعمال، وبالثواب والعقاب يفرض المزيد من الحذر، ومراقبة الإنسان لنفسه، ويحتم عليه السير نحو الإنضباط التام في كل حركة وسكون، وقول وفعل، ما دام أن قيمة أي زلل أو خطل سيكون هو مستقبل الإنسان ومصيره في الدنيا والآخرة.

ولكننا إذا رجعنا إلى حياة أم المؤمنين عائشة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسنجد: أنها لا تخضع لهذا التقدير، ولم تتأثر بهذا الواقع.. بل هي تبدو شديدة الإندفاع في الإتجاه الآخر، من خلال ما نشهده من جرأة لها على مقام النبوة، ثم من عدم مبالاة في عواقب تعاملها البالغ في القسوة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالذات.. بخلاف ما نشاهده لدى

خديجة وأم سلمة وميمونة مثلاً.. من سلوك خاضع لمقام النبوة والرسالة.

أما سائر أمهات المؤمنين، وخصوصاً حفصة وكذلك أم حبيبة.. فكنَّ يتأثرن بالأجواء التي تثيرها عائشة نفسها، التي كانت تحرك الأمور باتجاه حالة من التوتر والمشاحنات التي لا مبرر لها، دون أن يردعها عن ذلك ما ينشأ عنه من أذى، بل ومن إهانة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

بل ولعل من أوضح مفردات هذا الواقع قولها لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن الله يسارع في هواك[1].

---

(١) الدر المنثور ج٥ ص٢١٠ و ٢١١ عن البخاري، ومسلم، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن ماجة، وعبد بن حميد، وابن جرير، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأحمد، وابن أبي حاتم، وراجع ما عن ابن سعد أيضاً. وراجع: تفسير الصافي ج٤ ص١٩٦وأحكام القرآن للجصاص ص٤٧٩ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٥ وج١٤ ص٢٠٨ و ٢١٤ والبحار ج٢٢ ص١٨١ وفتح القدير ج٤ ص٢٩٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٢٤٥ ومجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج٨ ص١٧١ ونور الثقلين ج٤ ص٢٩٣ والميزان (تفسير) ج١٦ ص٣٤٢ وراجع: المبسوط للطوسي ج٤ ص١٥٨ والصراط المستقيم ج٣ ص١٦٦ وشرح مسلم للنووي ج١٠ ص٤٩ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٦٢٥ والبحار ج٢٢ ص١٨١ وصحيح البخاري ج٦ ص٢٤ وعن مسند أحمد ج٦ ص٢٦١ وعن فتح الباري ج٨ ص٤٠٥ وج٩ ص١٤٢ وعمدة القاري ج١٩ ص١١٩ وج٢٠ ص١٠٩ والديباج على مسلم ج٤ ص٧١ وحاشية السندي على النسائي ج٦ ص٥٤ وتخريج الحاديث والآثار ج٣ ص١١٨ وتغليق التعليق ج٤ ص٤١٠ وتفسير جوامع الجامع ج٣ ص٧٥ =

وقولها: أنت الذي تزعم أنك نبي الله[1].

وقولها له أمام أبيها: اقصد[2]. أي أعدل (أو قل ولا تقل إلا حقاً).

ثم ما لهجت به النصوص، التي قدمناها عن تصرفات عائشة مع شخص رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما يرتبط بأمر بالغ الحساسية والخطورة بالنسبة إليه.

وتفصيل ذلك، قولها: كان في متاعي خف وكان على جمل ناج وكان متاع صفية فيه ثقل، وكان على جمل ثقال، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «حولوا متاع عائشة على جمل صفية، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة حتى يمضي الركب».

= وتفسير مجمع البيان ج٨ ص١٧١ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٢٨٢ واحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٤٧٩ وتفسير البغوي ج٣ ص٥٣٨ وأحكام القرآن لابن العربي ج٣ ص٥٩٥ و ٦٠٤ و ٦٠٦ والجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٢٥ وج١٤ ص٢٠٨ و ٢١٤ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥٠٨ ومصادر كثيرة أخرى.

(١) إحياء علوم الدين (ط مصر) ج٢ ص٢٩ و (ط دار المعرفة) ص٤٣ ومكاشفة القلوب ص٢٣٧ باب ٩٤ ص٢٣٧ والمراجعات ص٣٢٦ والنص والإجتهاد ص٤١٨ وفيض القدير ج٣ ص٦٦١ والصراط المستقيم ج٣ ص١٦٦ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٣٣ وراجع: المصنف للصنعاني ج١١ ص٤٣١.

(٢) إحياء العلوم للغزالي ج٢ ص٣٥ آداب النكاح، ومكاشفة القلوب ص٢٣٨ باب ٩٤ وكنز العمال (ط حيدرآباد) ج٧ ص١٦ ح(١٠٢٠) والمراجعات ص٣٢٦ والنص والإجتهاد ص٤١٧ والصراط المستقيم ج٣ ص١٦٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٦٢٥ والطرائف لابن طاووس ص٢٩٢ وعين العبرة للسيد أحمد آل طاووس ص٤٥ وإحقاق الحق (الأصل) ص٣٠٦ و ٣٠٧.

قلت: يا لعباد الله، غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قالت: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا أم عبد الله، إن متاعك فيه خف، وكان متاع صفية فيه ثقل، فأبطأ الركب فحولنا متاعها على بعيرك وحولنا متاعك على بعيرها.

قالت: فقلت: ألست تزعم أنك رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فتبسم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: أوفي شك؟

أنت يا أم المؤمنين يا أم عبد الله.

قالت: قلت: ألست تزعم أنك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، **فهلا** عدلت. وسمعني أبو بكر الخ..»[1].

إنها مسألة تمس موقع النبوة أولاً، وتمثل طعنة نجلاء في أعماق روحه، بحربة تقطر بسم الحقد، والضغينة، وتهدف إلى هدم شرفه، وتقويض كرامته، والنيل من عزه، ومجده الأثيل..

فالنبي «صلى الله عليه وآله» أغْيَرُ مخلوق وُجد، فما بالها تطعن في عرضه، مرة بعد أخرى، غير آبهة بتواتر الوحي الإلهي، بالتأكيد على طهارة ذلك العرض، وبراءته من أي مغمز، وسلامته من أي وليجة..

ولماذا لا تكف عن غمزها، ولا يقنعها الوحي الإلهي، ولا يؤثر فيها

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص١٨٢ وج٩ ص٧١ عن أبي يعلى بسند لا بأس به، وأبو الشيخ بن حيان بسند جيد قوي عن عائشة، وفي هامشه عن: مجمع البيان ج٤ ص٣٢٢ والمطالب العالية (١٥٤٠) و (١٩٢٧). وراجع: مجمع الزوائد ج٤ ص٣٢٢ ومسند أبي يعلى ج٨ ص١٣٠.

قول جبرئيل، ولا تأكيد الرسول المسدد والمؤيد«صلى الله عليه وآله»، الذي لا ينطق عن الهوى؟!

وما الذي يدعوها إلى نبذ أبسط قواعد اللياقة والأدب، مع أشرف وأفضل، وأقدس وأنبل، وأعظم، وأكمل الخلق، وسيد رسل الله تعالى؟!

إن أقوالها مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» حول ولده إبراهيم بعيدة كل البعد عن أبسط قواعد الأدب، والإلتزام والإحترام.. فلماذا هذا الطعن المتوالي الممعن في القسوة لقلب الإنسانية، الطافح بالرحمة، والمودة، والحنان، والغيرة، والشعور بالكرامة والعزة؟!

وهل يجرؤ إنسان يدَّعي أنه قريب وحبيب على التصريح لمن يحبه، ويتقرب منه، بأن ولده الذي يبكي عليه، وقد مات قبل ساعة أو ساعات ليس ولده الشرعي؟!

رغم قيام الشواهد لذلك الأب على صحة ولادة ذلك الطفل وشرعيته.

فكيف إذا كان الوحي الإلهي هو الذي يؤكد له هذه الحقيقة، التي يصر الآخرون على إنكارها وتكذيبها، بلا أي شاهد أو مبرر؟!. إلا الحسد والغيرة، وإلا التجني والإمعان في جرح الكرامة، وإلا الإيذاء..

مرضعة إبراهيم:

هذا.. ولا نرى أن ثمة تناقضاً بين رواية إرضاع أم سيف لإبراهيم، أو رواية إرضاع أم بردة بنت المنذر له. فلعل كل واحدة منهما قد أرضعته برهة من الزمن. وربما تكون أم سيف قد أرضعته أياماً يسيرة، ثم أخذته أم بردة، فإنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطى أم بردة هذه قطعة نخل.

كاد يقع في نفس النبي ﷺ:

وعن الرواية التي تدَّعي: أنه لما ولد إبراهيم كاد يقع في نفس النبي «صلى الله عليه وآله».. نقول:

إنها لا يمكن أن تصح، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان أتقى لله من أن يقع في قلبه أمر من هذا القبيل.. وهو الذي عرَّفه جبرئيل حتى قبل ولادة إبراهيم: بأن مارية تحمل ولداً هو أشبه الناس به..

يضاف إلى ذلك: أن جبرئيل ـ كما تقدم ـ حين ولد إبراهيم قد جاءه، وقال له: السلام عليك يا أبا إبراهيم..

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» كان يعلم: بأن رمي هؤلاء لمارية لا يستند إلى شاهد ولا يعتمد على دليل.. ويعرف أن من يرمي المؤمنين بشيء من ذلك، لابد أن يأتي بالشهداء على ما يقول، فإذا لم يأت بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون.

بل هم يستحقون العقاب والنكال على قذفهم هذا. لولا أن الله تعالى لم يرد معاقبتهم في الدنيا، لكي لا يتعرض مقام النبوة الأقدس للريب والشك والكيد من أصحاب النفوس المريضة، فيضر ذلك بإيمان الناس إلى يوم القيامة..

إنَّا بك يا إبراهيم لمحزونون:

وروي: أن إبراهيم ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» مات سنة عشر، وجزم به الواقدي، وقال: مات يوم الثلاثاء لعشر خلون من شهر

ربيع الأول[١].

وقالت عائشة: عاش ثمانية عشر شهراً[٢]. وروي ذلك عن غير عائشة أيضاً.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٢ و ٢٤ وعمدة القاري ج٧ ص٦٤ وج٨ ص١٠٣ و ٢١١ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٤ س٣٠٦ و ٣٠٧ ومعرفة السنن والآثار ج٣ ص٩١ والإستيعاب لابن عبد البر ج١ ص٥٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٤٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٤٥ وج٣٤ ص٢٩٠ و ٢٩١ وج٦٠ ص٢٩٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٣٢ والإصابة ج١ ص٣١٨ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٥ ص٣٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦١٥ والمجموع للنووي ج٥ ص٥٨ وذخائر العقبى ص١٥٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٣٣٦ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٦٢ وفتح الباري ج٣ ص١٤٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٢ و ٢٧ ومسند أحمد ج٦ ص٢٦٧ وسنن أبي داود ج٢ص٧٦ ومعرفة السنن والآثار ج٣ ص١٣٩ والإستيعاب ج١ ص٥٦ و ٥٧ والإصابة ج١ ص٣١٨ و ٣١٩ والمحلى لابن حزم ج٥ ص١٥٨ ونصب الراية ج٢ ص٣٢٢ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج١ ص٢٣٦ وفيض القدير ج١ ص٢٥٧ والعلل لابن حنبل ج١ ص٢٨٣ وأحكام الجنائز للألباني ص٧٩ عن أبي داود، وابن حزم، وأحمد، وراجع: تاج المواليد للطبرسي (المجموعة) ص٩ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٣٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٣٣٦ وعمدة القاري ج٨ ص٢١١ وعون المعبود ج٤ ص٣١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٤٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٤٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٤٢ و ١٤٣ وج٣ ص٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٤٥ و ١٤٦ وأسد الغابة ج١ ص٣٩ والوافي بالوفيات ج٦ ص٦٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٢٢ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٥ ص٣٣٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٢٣ وسيرة ابن إسحاق ج٥ ص٢٥١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦١٤ و ٦١٥.

وفي صحيح البخاري: أنه عاش سبعة عشر شهراً، أو ثمانية عشر شهراً على الشك[١].

وعن البراء، وأنس، وجابر: توفي إبراهيم ابن النبي «صلى الله عليه وآله» وهو ابن ستة عشر شهراً أو ثمانية عشر شهراً[٢].

وقال محمد بن المؤمل: بلغ سبعة عشر شهراً وثمانية أيام[٣].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٢ والإصابة ج١ ص٣٢٠ وراجع: فتح الباري ج١٠ ص٤٧٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٣٥ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٤٤ وراجع: فتح الباري ج١٠ ص٤٧٧ وتاريخ المدينة لابن شبة ج١ ص٩٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٣١ و ٣٣٢ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٣٨ وشرح معاني الآثار ج١ ص٥٠٨ و ٥٠٩ وفيض القدير ج٢ ص٥١٥ الإصابة ج١ ص٣٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦١٢ و ٦١٤ وراجع: مسند أحمد ج٤ ص٢٨٣ و ٢٨٩ و ٣٠٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٩ وعمدة القاري ج٧ ص٦٩ ومسانيد أبي يحيى الكوفي ص٢٢ و ٢٦ والمصنف للصنعاني ج٧ ص٤٩٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٢٥٥ والآحاد والمثاني ج٥ ص٤٥١ ومسند أبي يعلى ج٣ ص٢٥١ والإستيعاب ج١ ص٥٨ ونصب الراية ج٢ ص٣٣١ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج١ ص٢٣٥ وكنز العمال ج١٢ ص٤٥٢ و ٤٥٤ و ٤٥٥ والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٤٠ والعلل لابن حنبل ج٢ ص٤١٢ و ٥٦٥ و ٥٦٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٢ والإصابة ج١ ص٣١٨ وأسد الغابة ج١ ص٣٩ والإستيعاب ج١ ص٥٦ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٣٨ وعمدة القاري ج٧ ص٦٩.

وقيل: توفي وهو ابن سنة وعشرة أشهر وستة أيام[١].

وقيل: مات وهو له إحدى وسبعون ليلة[٢].

وروي عن مكحول، وعطاء، وعبد الرحمن بن عوف، وبكير بن عبد الله بن الأشج، وقتادة، وأنس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخذ بيد عبد الرحمن بن عوف، فانطلق به إلى النخل الذي فيه إبراهيم «عليه السلام»، فدخل وإبراهيم يجود بنفسه، فوضعه في حجره، فلما (مات) ذرفت عينا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال له عبد الرحمن بن عوف: تبكي يا رسول الله؟ أولم تنه عن البكاء؟

قال: «إنما نهيت عن النوح، وعن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو ولعب، ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجه، وشق جيب، ورنة شيطان»[٣].

---

(١) إمتاع الأسماع ج٥ ص٣٣٨ وعمدة القاري ج٧ ص٦٩ وج٨ ص١٠٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٩٥.

(٢) إمتاع الأسماع ج٥ ص٣٣٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٢ عن ابن سعد، ومستدرك الوسائل ج٢ ص٤٥٦ و ٤٥٨ وج١٣ ص٩٤ والبحار ج٧٩ ص٩٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٤٧٠ و ٤٨٦ وميزان الحكمة ج٢ ص١٦٧٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٦٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٢٦٦ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٣٠٩ وكنز العمال ج١٥ ص٦١٥ و ٦١٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٣٨ وسيرة ابن إسحاق ج٥ ص٢٥١ وغوالي اللآلي ج١ ص٨٩ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٤ ص٤٤٢ وكتاب المجروحين ج٢ ص٢٤٥ وفتوح مصر وأخبارها ص١٢٤ وسيرة ابن إسحاق ج٥ ص٢٥١ والتمهيد ج٢٤ ص٤٤٢ ونصب الراية ج٥ ص٩٠.

وفي رواية: فلقد رأيته يكيد بنفسه، فدمعت عينا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، والله يا إبراهيم، إنا بك لمحزونون».

وعن أنس وأبي أمامة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الله تعالى، والله إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣٠ وج١١ ص٢٣ عن مسلم، وأبي داود، وابن سعد، وأحمد، وعبد بن حميد، والطبراني، وراجع: ابن ماجة، وابن عساكر، عن أسماء بنت يزيد، وبكير بن عبد الله، وراجع: الذكرى للشهيد الأول ج٢ ص٤٧ والحدائق الناضرة ج٤ ص١٦٣ وكشف الغمة (ط ق) ج١ ص١٥٨ والكافي للكليني ج٣ ص٢٦٢ ودعائم الإسلام ج١ ص٢٢٤ وتحف العقول ص٣٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٣ ص٢٨٠ و (ط دار الإسلامية) ج٢ ص٩٢١ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٣٨٥ و ٤٦٠ و ٤٦٢ و ٤٦٣ ومكارم الأخلاق ص٢٢ وذخائر العقبى ص١٥٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٩٤ وغوالي اللآلي ج١ ص٨٩ ومسكن الفؤاد للشهيد الثاني ص٥ و ٩٣ و ٩٤ والبحار ج١٦ ص٢٣٥ وج٢٢ ص١٥٧ و ٢٦٤ وج٢٤ ص٢٦٤ وج٦٥ ص٥٤ وج٧٤ ص١٤٠ وج٧٩ ص٩١ و ١٠١ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٤٠٥ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٨١ ومسند أحمد ج٣ ص١٩٤ وصحيح البخاري ج٢ ص٨٤ وصحيح مسلم ج٧ ص٧٦ وسنن ابن ماجة ج١ ص٥٠٦ وسنن أبي داود ج٢ ص٦٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٦٩ وعمدة القاري ج٨ ص٧٥ و ١٠١ والمصنف للصنعاني ج٣ ص٥٥٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٢٦٧ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٣٨٥ والإعتبار لابن أبي الدنيا =

وعن أنس: لما قبض إبراهيم ابن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا تدرجوه في أكفانه، حتى أنظر إليه»، فأتاه، فانكب عليه، وبكى[1].

= ص٤١ وكتاب الهواتف لابن أبي الدنيا ص٣٨ ومسند أبي يعلى ج٦ ص٤٣ وصحيح ابن حبان ج٧ ص١٦٢ والمعجم الأوسط ج٨ ص٣٤٦ والمعجم الكبير ج٢٤ ص١٧١ ومعرفة السنن والآثار ج٣ ص١٩٨ والإستذكار ج٣ ص٧١ والإستيعاب ج١ ص٥٥ و ٥٧ و ٥٨ والتمهيد لابن عبد البر ج١٧ ص٢٨٤ وج٢٤ ص٤٤٣ وتغليق التعليق ج٢ ص٤٧٢ وراجع: كنز العمال ج١٥ ص٦١٥ و ٦٢١ و ٦٢٥ وفيض القدير ج٢ ص٧١٧ وج٣ ص٢٩١ وج٦ ص٤٧٣ وكشف الخفاء ج٢ ص١٥٦ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص٣٦٠ وأحكام القرآن لابن العربي ج٣ ص٧٤ وج٤ ص٢٦٢ وتفسير القرطبي ج٩ ص٢٤٩ وفتح القدير ج٣ ص٤٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٣٧ و ١٣٨ و ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٣٩ و ١٤٥ وج١٠ ص١٠٧ وأسد الغابة ج١ ص٣٩ ووفيات الأعيان ج٢ ص٣٠٢ وتاريخ الإسلام ج٢ ص٦٩٩ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٣١ و ٣٣٢ وج٦ ص٣٠٥ وج٧ ص٨٦ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٢٢٣ و ٣٣٨ و ٣٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦١٤ و ٦١٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٣ عن ابن ماجة، والحكيم الترمذي وراجع: سنن ابن ماجة ج١ ص٤٧٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٣٩ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٣١ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦١٣.

ونقول:

إن لنا هنا بعض الوقفات، أو الإيضاحات، وهي التالية:

فضائل ابن عوف:

إن تفويض عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف أمر تعيين الخليفة من بعده، وهو الذي كان يعلم: أن هوى عبد الرحمن كان في عثمان، فاختار عثمان.. كان وراء سعي محبي عمر إلى تعظيمه، وتسطير الفضائل له.

فما دام أنه كان موضع ثقة ذلك الذي منحوه حبهم وإخلاصهم، فلماذا لا يسعى الفريق الأموي إلى التصدق على عبد الرحمن بن عوف ببعض فتات الفضائل، أو الأدوار التي لا تكلفهم شيئاً، لأنها تكون مسروقة من محبي علي «عليه السلام»، أو من أناس ليس لهم نشاط في تأييد ملكهم وسلطانهم، ولا في إضعاف أمر علي وأهل بيته «عليهم السلام»، الذين يرون أن لا بقاء، ولا قرار لحكمهم معهم..

الحكمة البالغة:

من المعلوم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن عقيماً، فقد ولد له من خديجة «عليها السلام» عدة أولاد، وقد ماتوا جميعاً، ولم يبق منهم سوى سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء«عليها السلام».

ومن المعلوم أيضاً: أنه لم يطرأ عليه العقم بعد خديجة «عليها السلام»، بدليل ولادة إبراهيم «عليه السلام» في أواخر سني حياته «صلى الله عليه وآله».

ثم إن من المعلوم كذلك: أنه بعد أن ولدت له خديجة ومارية لم يولد له من أي من نساء العرب الأخريات، حتى القرشيات، ولا من نساء سائر الأمم

التي تدَّعي لنفسها أحوالاً ومقامات، فلم يولد له ممن يتصل نسبها ببني إسرائيل كصفية بنت حيي بن أخطب مثلاً، ربما منعاً لأي استغلال تضليلي من قبل أولئك الناس، الذين عرفوا بالإنتهازية، وبتحريف الكلم عن مواضعه، وبالمتاجرة حتى بالنصوص المقدسة، حتى إنهم كانوا ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[1].

ورغم كثرة النساء اللواتي تزوجهن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد كن من قبائل مختلفة، فإن الله تعالى لم يرزقه ولداً إلا من خديجة، ثم من جارية أهديت إليه من بلاد بعيدة، ليدل ذلك على سرٍّ إلهي في خديجة والزهراء «عليهما السلام»، مفقود في جميع النساء الأخريات، ولا يمكن أن يتوفر في أي ذرية تولد له «صلى الله عليه وآله» منهن.

بل ربما تكون ولادة وبقاء ذرية له من غير خديجة أمراً مضراً بالإسلام بدرجة يصعب على البشر تقدير حجم الخطر والضرر فيه..

ولذلك حُرِم سائر نسائه رغم كثرتهن من الولد. وتلك حكمة بالغة، وتسديد ولطف إلهي بالبشر كلهم، ولعل تصرفات عدد من نسائه «صلى الله عليه وآله» التي تعبر عن طموحات خطيرة، وعن نفسيات غير سليمة تظهر هذه الحقيقة بجلاء، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك..

النياحة المنهي عنها:

وبعد.. فقد بين «صلى الله عليه وآله» سبب نهيه عن النياحة على الأموات،

---

(١) الآية ٧٩ من سورة البقرة.

فقال ـ كما روي عنه ـ: «إنما نهيت عن النياحة، وأن يندب الميت بما ليس فيه».

ثم قال: «..وإنما هذه رحمة، ومن لا يَرحَم لا يُرحم يا إبراهيم، لولا أنه حق، ووعد صادق، ويوم جامع..»[1].

ونقول:

١ ـ إن هذه الكلمات تدلنا على أنه «صلى الله عليه وآله» قد بكى رحمة منه لإبراهيم.

أي أن هذا البكاء كان استجابة منه «صلى الله عليه وآله» لشعور حرَّكته رؤية لحالة ضعف أو عجز، أو نقص وجده في ذلك الطفل تمثل فيما كان يعانيه إبراهيم من جهد أو ألم حين كان يصارع المرض، أو حين كان يجود بنفسه.

فلم يكن البكاء إذن لأجل شيء يعود لشخص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهو لا يبكي لأنه يفقد شيئاً يشعر أنه بحاجة إلى استمرار

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٣٨ والتحفة السنية (مخطوط) ص٤٤ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٣٨٥ وذخائر العقبى ص١٥٥ ومسكن الفؤاد للشهيد الثاني ص٩٣ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٤٧٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٦٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٢٦٦ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٣٠٩ والإستيعاب ج١ ص٥٧ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٤ ص٤٤٣ وكنز العمال ج١٥ ص٦١٥ و ٦١٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٣٨ وكتاب المجروحين ج٢ ص٢٤٦ وأسد الغابة ج١ ص٣٩ وفتوح مصر وأخبارها ص١٢٤ والوافي بالوفيات ج٦ ص٦٨ وسيرة ابن إسحاق ج٥ ص٢٥١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٩٤.

احتفاظه به، ولا لأن ذلك يورد عليه نقصاً، أو يسبب له عجزاً، أو يوجب له ألماً، وأذى كشخص.

وإذن، فهذا البكاء لم يكن أنانياً بل هو بكاء إنساني، إذ إن حالة إبراهيم لو وجدت في أي شخص آخر ـ قريباً كان أو غير قريب ـ فسيبكي له رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما بكى «صلى الله عليه وآله» على عثمان بن مظعون، وعلى الشهداء في مؤتة، وفي مناسبات أخرى.. لأن بكاءه بكاء الرحمة، وليس بكاء الحرص، أو الشعور بالنقص، أو للإحساس بالخسارة الشخصية.

وذلك كله يدلنا على كمال النبي «صلى الله عليه وآله» في ميزاته وخصائصه، وفي مشاعره، وأحاسيسه، الإنسانية. وعلى أن النبوة لا تمنع من هذا الكمال، بل هي ترسخه وتؤكده.

٢ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أوضح ما قصده حين نهى عن النياحة، وأعطى الضابطة الصحيحة للحزن وللفرح على حد سواء.

فذكر «صلى الله عليه وآله»: أن الحزن لا يبرر إطلاق الدعاوى الفارغة في الهواء، والكذب، ولا ينبغي أن يفسح المجال ليدخل إلى حياة الناس، ولو على مستوى التعبير عن العاطفة.. ولا يجوز أن يجعل وسيلة لسلو المحزونين، فإن الإحساس بنفع الكذب ولو بهذا المقدار يجرئ الناس على الاستفادة منه في كل موقع يرون أن لهم فيه فائدة شخصية، وتصبح الفائدة الشخصية هي المعيار عندهم في الحلال والحرام. وتضيع المعايير الواقعية، ويتلاشى تأثيرها.

الصوتان الفاجران الأحمقان:

وقد تضمنت النصوص المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله» نهى عن صوتين فاجرين أحمقين: صوت عند نغمة لهو ولعب، ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجه، وشق جيب، ورنة شيطان»[1].

وعن بكير بن عبد الله بن الأشج: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكى على ابنه إبراهيم، فصرخ أسامة بن زيد، فنهاه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: رأيتك تبكي!!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «البكاء من الرحمة، والصراخ من الشيطان»[2].

ونقول:

قد تقدمت الإشارة إلى بكاء الرحمة، وبكاء الفقدان. وأن البكاء الأول مطلوب ومحبوب، دون الثاني. وإلى أن النياحة المنهي عنها هي تلك التي تتضمن الأكاذيب والمبالغات غير المقبولة في شأن الميت..

وقد ذكر النص المشار إليه أعلاه أموراً أخرى في هذا السياق:

١ ـ فذكر النهي عن صوتين وصفهما بالفجور والحمق..

فأما الفجور فيهما، فلأنهما يتجاوزان حدود الشرع، ويستخفان العقل،

---

(١) تقدمت مصادر هذا الحديث، وما بمعناه.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٣ عن ابن سعد، والجامع الصغير ج١ ص٤٩٥ وكنز العمال ج١٥ ص٦٠٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٣٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٩٥ وفيض القدير ج٣ ص٢٩١.

ويلقيانه على قارعة الطريق، ويسلبانه أي أثر أو دور.

وأما الحمق فيهما، فلأنهما لا يخضعان لأي ضابطة أو ميزان عقلي. بل هما خارجان عن حدود المقبول والمعقول. فمسحة العقل تكون ضعيفة أو تكاد تكون معدومة فيهما، لأنهما إنما يعتمدان على إبعاد العقل عن الساحة، والتوجه نحو الغرائز، والأهواء لمخاطبتها واستثارتها.

٢ ـ وقد اعتبر أن أول صوت أحمق فاجر هو صوت نغمات اللهو واللعب، حيث يتم إقصاء العقل، ويكون زمام الإنسان بيد هواه، وغرائزه، لأن العقل لا يرضى باللهو ولا باللعب، كما ان المزامير الشيطانية لا تخاطب العقل، لعدم وجود لغة مشتركة بينهما. بل هي تشطنه، وتقيده، وتمنعه من الحركة ومن التأثير..

وقد تقدم: أن الإسلام لا يريد أن تدخل أمثال هذه الأمور إلى حياة الناس، فإن ذلك من شأنه أن يفسدها، وأن يجعلها خاضعة لأمزجة الأشخاص، وأهوائهم، وميولهم الفردية، وانفعالاتهم.

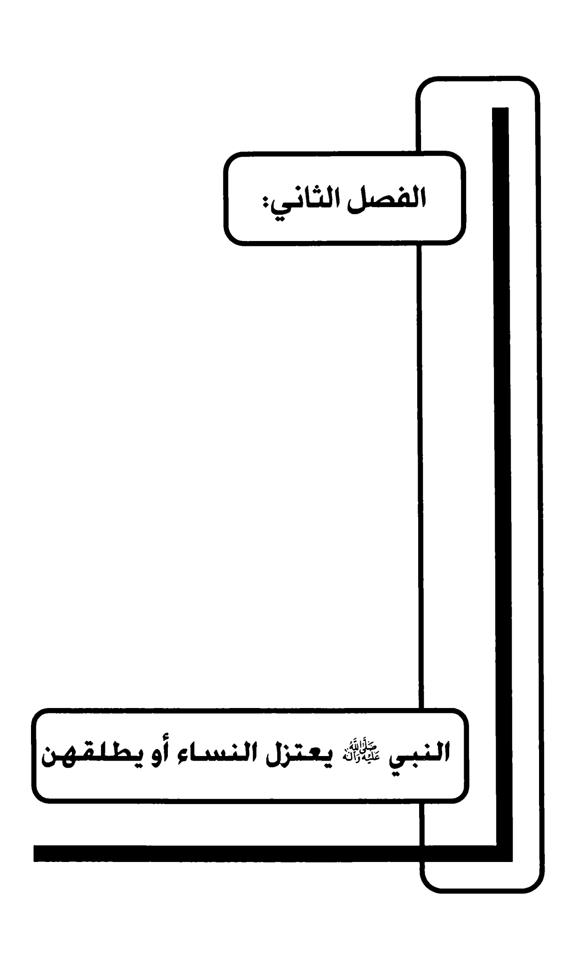
يضاف إلى ذلك: أن للحياة واقعيتها، وثباتها، فلا يمكن بناؤها على اللهو واللعب، والعبث. ولا رسم حدودها وفق ردود فعل الأمزجة، والأهواء. ولا تحريكها بغير معايير العقل وضوابطه، ومن دون الاعتماد على هدايته ودلالته..

وهكذا الحال في حالات الحزن حين يرتكز إلى التصرف غير المتوازن، والذي تفرضه الإنفعالات غير المسؤولة، والتي تنتهي بتصرفات غير مبررة، ولا ينتج عنها إلا الأذى والخسران، لأنها مجرد حركات هستيرية، تكون ضابطتها عدم الإلتزام بضابطة، وقاعدتها إسقاط كل قاعدة.

وأما حين يتم اللجوء إلى الحركات المصطنعة، كذلك الصراخ الذي صدر عن أسامة بن زيد، ثم يكون المبرر الذي انتحله لنفسه هو رؤيته النبي «صلى الله عليه وآله» يبكي ولده إبراهيم، فإن الأمر يصبح أكثر حساسية وخطورة، فقد تبين أن أسامة قد تجاوز الحدود المقبولة والمعقولة في فهمه لبكاء النبي «صلى الله عليه وآله» على ولده، وأمعن في الإبتعاد عن مراميه وأهدافه حين استنتج منه أموراً ليس فقط لا تتوافق معه، وإنما هي في موقع النقيض منه..

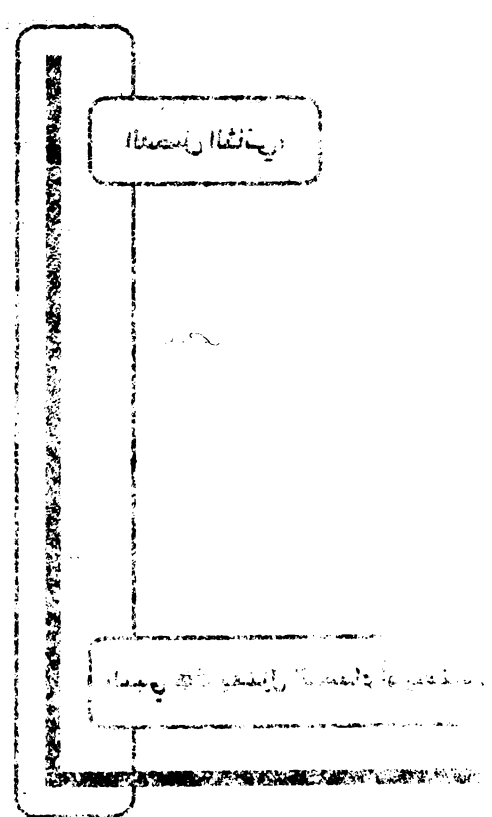
فشتان ما بين البكاء الناشئ عن الرحمة، وبين الصراخ المصطنع، الخاوي من أية عاطفة، وإنما يُقْصَدُ به إثارة أجواء من الأسى والغم، وهي أجواء يجد الشيطان فيها مسرحاً لتسويلاته ومجالاً لإغواءاته، وجر الناس إلى مزالق ومهالك لم تكن تخطر لهم على بال.

ولذلك قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «والصراخ من الشيطان».



الفصل الثاني:

النبي ﷺ يعتزل النساء أو يطلقهن



النبي ﷺ يعتزل نساءه: كيف؟ ولماذا؟:

قال ابن عباس: كنت أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾[1]، فكنت أهابه، حتى حججنا معه حجة، فقلت: لئن لم أسأله في هذه الحجة لا أسأله، فلما قضينا [حجنا] أدركناه، وهو ببطن مرو، قد تخلف لبعض حاجاته، فقال: مرحباً بك يا ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله». ما حاجتك؟

قلت: شيء كنت أريد أن أسألك عنه يا أمير المؤمنين، فكنت أهابك.

فقال: سلني عما شئت، فإنا لم نكن نعلم شيئاً حين تعلمنا.

فقلت: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ من هما؟

قال: لا تسأل أحداً أعلم بذلك مني، كنا بمكة لا يكلم أحدنا امرأته، إنما هي خادم البيت، فإن كان له حاجة سفع برجليها، فقضى حاجته، فلما قدمنا المدينة، تعلمن من نساء الأنصار، فجعلن يكلمننا ويراجعننا، وإني أمرت غلماناً لي ببعض الحاجة، فقالت امرأتي: بل اصنع كذا وكذا.

فقمت إليها بقضيب فضربتها به.

---

(١) الآية ٤ من سورة التحريم.

فقالت: يا عجباً لك، يا بن الخطاب! تريد أن لا تكلم؟! فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» تكلمه نساؤه.

فخرجت، فدخلت على حفصة، فقلت: يا بنية، انظري لا تكلمي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا تسأليه، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليس عنده دينار ولا درهم يعطيكهن، فما كانت لك من حاجة حتى دهن رأسك فسليني.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا صلى الصبح جلس في مصلاه، وجلس الناس حوله حتى تطلع الشمس، ثم دخل على نسائه امرأة امرأة، يسلم عليهن، ويدعو لهن، فإذا كان يوم إحداهن جلس عندها، وإنها أهديت لحفصة بنت عمر عكة عسل من الطائف، أو من مكة، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا دخل يسلم عليها حبسته حتى تُلعقه منها، أو تسقيه منها. وإن عائشة أنكرت احتباسه عندها، فقالت لجويرية عندها، حبشية يقال لها خضراء: إذا دخل على حفصة فادخلي عليها، فانظري ما يصنع.

فأخبرتها الجارية بشأن العسل، فأرسلت عائشة إلى صواحبتها، فأخبرتهن، وقالت: إذا دخل عليكن فقلن: إنا نجد منك ريح مغافير.

ثم إنه دخل على عائشة، فقالت: يا رسول الله، أطعمت شيئاً منذ اليوم، فإني أجد منك ريح مغافير.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أشد شيء عليه: أن يوجد منه ريح شيء، فقال: هو عسل، والله لا أطعمه أبداً.

حتى إذا كان يوم حفصة قالت: يا رسول الله، إني لي إلى أبي حاجة، إن نفقة لي عنده، فأْذن لي أن آتيه.

فأذن لها.

ثم إنه أرسل إلى جاريته مارية، فأدخلها بيت حفصة، فوقع عليها، فأتت حفصة فوجدت الباب مغلقاً، فجلست عند الباب، فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو فزع، ووجهه يقطر عرقاً، وحفصة تبكي، فقال: ما يبكيك؟

فقالت: إنما أذنت لي من أجل هذا؟! أدخلت أمتك بيتي، ثم وقعت عليها على فراشي؟! ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن، أما والله ما يحل لك هذا يا رسول الله.

فقال: والله، ما صدقت: أليس هي جاريتي، قد أحلها الله تعالى لي، أشهدك أنها علي حرام، ألتمس بذلك رضاك، انظري لا تخبري بذلك امرأة منهن، فهي عندك أمانة.

فلما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة، فقالت: ألا أبشري، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد حرم أمته، فقد أراحنا الله منها.

فقالت عائشة: أما والله، إنه كان يريبني أنه كان يقبل من أجلها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾[1]. ثم قرأ رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾[2]، فهي عائشة وحفصة.

وزعموا: أنهما كانتا لا تكتم إحداهما للأخرى شيئاً.

وكان لي أخ من الأنصار إذا حضرت، وغاب في بعض ضيعته، حدثته بما قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإذا غبت في بعض ضيعتي، حدثني.

---

(١) الآية ١ من سورة التحريم.

(٢) الآية ٤ من سورة التحريم.

فأتاني يوماً وقد كنا نتخوف جبلة بن الأيهم الغساني[1]، فقال: ما دريت ما كان؟

فقلت: وما ذاك؟ لعله جبلة بن الأيهم الغساني، تذكر.

قال: لا، ولكنه أشد من ذلك، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلى صلاة الصبح، فلم يجلس كما كان يجلس، ولم يدخل على أزواجه كما كان يصنع، وقد اعتزل في مشربته، وقد ترك الناس يموجون ولا يدرون ما شأنه، فأتيت والناس في المسجد يموجون ولا يدرون.

فقال: يا أيها الناس كما أنتم، ثم أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في مشربته، قد جعلت له عجلة، فرقى عليها، فقال لغلام له، أسود، وكان يحجبه: استأذن لعمر بن الخطاب، فاستأذن لي.

فدخلت ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في مشربته، فيها حصير وأهب معلقة، وقد أفضى بجنبه إلى الحصير، فأثر الحصير في جنبه، وتحت رأسه وسادة من أدم محشوة ليفاً، فلما رأيته بكيت.

قال: ما يبكيك؟

قلت: يا رسول الله، فارس والروم، أحدهم يضطجع في الديباج والحرير.

فقال: إنهم عجلت لهم طيباتهم، والآخرة لنا.

ثم قلت: يا رسول الله، ما شأنك؟ فإني قد تركت الناس يموج بعضهم في بعض، فعن خبر أتاك، فقال: اعتزلهن؟

فقال: لا، ولكن كان بيني وبين أزواجي شيء، فأحببت ألا أدخل عليهن

---

(١) أي نتخوف غزو الغساسنة لنا.

شهراً.

ثم خرجت على الناس، فقلت: يا أيها الناس، ارجعوا، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان بينه وبين أزواجه شيء فأحب أن يعتزل.

فدخلت على حفصة، فقلت: يا بنتي، أتكلمين رسول الله، وتغيظينه، وتغارين عليه؟

فقالت: لا أكلمه بعد بشيء يكرهه.

ثم دخلت على أم سلمة، وكانت خالتي، فقلت لها كما قلت لحفصة.

فقالت: عجباً لك يا عمر بن الخطاب، كل شيء تكلمت فيه، حتى تريد أن تدخل بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين أزواجه، وما يمنعنا أن نغار على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأزواجكم يغرن عليكم.

فأنزل الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً**﴾[1] حتى فرغ منها[2].

---

(١) الآية ٢٨ من سورة الأحزاب.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٩ ص٦٠ و ٦١ عن الطبراني، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وأحمد، والترمذي، وابن ماجة عن: أنس، وأم سلمة، وجابر، وابن عباس، وعائشة، والزهري، وابن عمر. وقال في هامشه: ذكره الهيثمي في المجمع ج٥ ص١٣ من طريق عبد الله بن صالح، وعزاه للطبراني في الأوسط، وهو في الصحيحين من حديث عائشة ج٨ ص٦٥٦ (٤٩١٢) (٦٦٩١) ومسلم ج٢ ص١١٠٠ (٢٠/ ١٤٧٤) وراجع: صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٤ ص١٩٢ ومجمع الزوائد (ط دار الكتب العلمية) ج٥ ص٨ ـ ١٠ والمعجم الأوسط ج٨ ص٣٢٤ ـ ٣٢٦ وراجع: فتح الباري ج٩ ص٢٤٣ ـ ٢٤٧ وكنز العمال ج٢ ص٥٣٥ ـ ٥٣٨.

وروي حديث المغافير عن عائشة بطريقة أخرى، فقد قالت: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحب الحلوى، ويحب العسل. وكان إذا صلى العصر دار على نسائه، فيدنو منهن، فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت رسول الله «صلى الله عليه وآله» منه، فقلت: أما والله، لنحتالن له.

فذكرت ذلك لسودة، وقلت: إذا دخل عليك، فإنه سيدنو منك، فقولي له: يارسول الله، أكلت مغافر؟ فإنه سيقول لك: لا، فقولي له: ما هذه الريح؟

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يشتد عليه أن يوجد منه ريح، فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جرست نحله العرفط. وسأقول له ذلك، فقولي له أنت يا صفية.

فلما دخل على سودة قالت سودة: والذى لا إله إلا هو، لقد كدت أن أبادئه بالذى قلت لي، وإنه لعلى الباب فرقاً منك، فلما دنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» قلت: يارسول الله أكلت مغافر.

قال: لا.

قلت: فما هذه الريح؟

قال: سقتني حفصة شربة عسل.

قلت: جرست نحله العرفط.

فلما دخل علي قلت له مثل ذلك، ثم دخل على صفية، فقالت له مثل ذلك، فلما دخل على حفصة قالت: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟

قال: لا حاجة لي به.

قال: تقول سودة: سبحان الله، والله لقد حرمناه.

قلت لها: اسكتي[1].

حديث اعتزال النساء بطريقة أخرى:

وقد رووا حديث اعتزال النبي «صلى الله عليه وآله» لنسائه بطريقة، أو بطرائق أخرى، فيها الكثير من الخلل والوهن.. واستعراض جميع تلك الروايات، وبيان وجوه الإشكال فيها يحتاج إلى وقت وجهد لا نرى أننا نستطيع توفيرهما في هذا الظرف، فلا بد أن نقتصر على ما يتيسر لنا عرضه، آملين أن نوفق لدراسة هذه القضية في فرصة أخرى، فنقول:

إن أبا بكر وعمر دخلا على النبى «صلى الله عليه وآله» وهو جالس وحوله نساؤه، وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمن رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) مسند أحمد ج٦ ص٥٩ وصحيح البخاري ج٦ ص١٦٧ وج٨ ص٦٤ وصحيح مسلم ج٤ ص١٨٥ والبحار ج٢٢ ص٢٢٩ وسنن أبي داود ج٢ ص١٩١ وتفسير القرآن العظيم ص٤١٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٥٤ وعمدة القاري ج٢٠ ص٢٤٣ وج٢٤ ص١١٩ وتفسير الثعالبي ج٥ ص٤٥٠ وشرح مسلم للنووي ج١٠ ص٧٦ وعون المعبود ج١٠ ص١٢٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٨٥ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٣٠٠ وتفسير مجمع البيان ج١٠ ص٥٥ وتفسير القرآن للصنعاني ج٣ ص٣٠١ و ٣٠٢ وتفسير البغوي ج٤ ص٣٦٢ وأسباب نزول الآيات للنيسابوري ص٢٩١ وزاد المسير ج٨ ص٤٩ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٨ ص١٧٧ و ١٧٨ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤١٣ و ٤١٤.

وآله» لعله يضحك.

فقال عمر: يا رسول الله، لو رأيت ابنة زيد (امرأة عمر) سألتنى النفقة آنفاً، فوجأت عنقها.

فضحك النبي «صلى الله عليه وآله» حتى بدا ناجذه، وقال: هن حولي يسألننى النفقة.

فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان: تسألان النبي «صلى الله عليه وآله» ما ليس عنده؟!

فنهاهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن هذا.

فقلن نساؤه: والله لا نسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد هذا المجلس ما ليس عنده.

وأنزل الله الخيار، فبدأ بعائشة، فقال: إنى ذاكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك.

قالت: ما هو؟

فتلا عليها: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾**.

قالت عائشة: أفيك أستأمر أبوي؟ بل أختار الله ورسوله، وأسالك أن لا تذكر إلى امرأة من نسائك ما اخترت[1].

---

(١) الدر المنثور ج٥ ص١٩٤ عن أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن مردويه، وراجع: مسند أحمد ج٣ ص٣٢٨ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٣٨٣ و ٣٨٤ وتفسر القرآن العظيم ج٣ ص٤٨٩ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص١١٧ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٤٠٦ وج١١ ص١٧٥ ولباب النقول (ط دار إحياء =

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يخرج إلى الصلاة، فأطال الصحابة الوقوف ببابه، فلم يأذن لهم، ولم يخرج إليهم، فتفرقوا، وتمكن عمر من الدخول، فسأله عن الأمر.

فأخبره بأنهن سألنه ما ليس عنده.

فقال له عمر: يا نبي الله قد صككت جميلة بنت ثابت صكة ألصقت خدها منها بالأرض، لأنها سألتني ما ليس عندي..

ثم تذكر الرواية ما جرى.. وفيها: فاخترن أن لا يتزوجن بعده[1].

النبي ﷺ يهجر عائشة:

عن عائشة قالت: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سفر ـ وفي رواية: «حجة الوداع» ـ ونحن معه، فاعتل بعير لصفية، وكان مع زينب فضل، فقال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن بعير صفية قد اعتل، فلو أعطيتها بعيراً لك!

قالت: أنا أعطي هذه اليهودية؟!

فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهجرها بقية ذي الحجة، ومحرم، وصفر، وأياما من ربيع الأول، حتى رفعت متاعها وسريرها فظنت

= العلوم) ص١٧٣ و (ط دار الكتب العلمية) ١٥٨ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص١٨١ وفتح القدير ج٤ ص٢٨١.

(١) الدر المنثور ج٥ ص١٩٤ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٧٩ـ ١٨١ وراجع: تفسير العز بن عبد السلام ج٢ ص٥٧٠ وعمدة القاري ج١٣ ص١٩.

أنه لا حاجة له فيها، فبينما هي ذات يوم قاعدة نصف النهار، إذ رأت ظله قد أقبل، فأعادت سريرها ومتاعها[1].

وعن أبي هريرة قال: هجر رسول الله «صلى الله عليه وآله» نساءه ـ قال شعبة: أحسبه قال: شهراً ـ فأتاه عمر بن الخطاب، وهو في غرفة، وهو على حصير قد أثر الحصير بظهره، فقال: يا رسول الله، كسرى يشربون في الذهب والفضة، وأنت هكذا؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنهم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا، ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الشهر هكذا، وهكذا وهكذا، وكسر في الثالثة الإبهام[2].

قال الصالحي الشامي:

تنبيهات:

الأول: سبب نزول قوله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾**[3]: أن نساء النبي «صلى الله عليه وآله» سألنه في عرض

____

(١) سبل الهدى والرشاد ج٩ ص٦٢ عن الطبراني، وأبي داود بسند جيد وقال في هامشه: ذكره الهيثمي في المجمع ج٤ ص٣٢٦ وقال: رواه أبو داود مختصراً، والطبراني في الأوسط وراجع: مجمع الزوائد (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٣٢٣ والمعجم الأوسط ج٣ ص٩٩ والمعجم الكبير ج٢٤ ص٧١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٩ ص٦٢ وقال في هامشه: أخرجه أحمد ج٢ ص٢٩٨ وانظر المجمع ج٦ ص٧ و ١٠/ ٣٢٧ وراجع: مسند أحمد (ط دار صادر) ج٢ ص٤٤ و ٨١ ومجمع الزوائد (ط دار الكتب العلمية) ج٥ ص٧ و ٨.

(٣) الآية ٢٨ من سورة الأحزاب.

الدنيا ومتاعها أشياء، وطلبن منه زيادة في النفقة، وأذينه بغيرة بعضهن بعضاً، فهجرهن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وآلى (أي حلف) لا يقربهن شهراً ولم يخرج إلى أصحابه، فقالوا: ما شأنه وكانوا يقولون: طلق رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال عمر: لأعلمن لكم شأنه، فاستأذن عليه «صلى الله عليه وآله» كما تقدم.

الثاني: قال في (زاد المعاد): وطلق رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وراجع، وآلى إيلاء مؤقتاً بشهر، ولم يظاهر أبداً، وأخطأ من قال: إنه ظاهر خطأً عظيماً، وإنما ذكر هنا تنبيهاً على ذكر خطائه ونسبته إليه ما أمره الله تعالى به[1]. انتهى.

ونقول:

أولاً: إن ما ذكره الصالحي الشامي، من أن أزواج النبي «صلى الله عليه وآله» قد سألنه زيادة في النفقة يأباه صريح الروايات التي تقدمت، والتي تقول: إنهن سألنه النفقة، وقد تقدمت الرواية بذلك آنفاً[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٩ ص٦٢.

(٢) الدر المنثور ج٥ ص١٩٤ عن مسلم، والنسائي، وأحمد، وابن مردويه وراجع: فيض القدير ج٢ ص٤٤١ ومسند أحمد ج٣ ص٣٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٤٠٦ وج١١ ص١٥٣و ١٥٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٧٤ و ٤٠٧ وصحيح مسلم ج٤ ص١٨٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٨ ومسند أبي يعلى ج٤ ص١٧٤ و ١٧٥ وشرح مسند أبي حنيفة ص٤٤ وتفسير البغوي ج٣ ص٥٢٦ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٦٣ وج١٨ ص١٩٢ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص٦٨.

وذلك يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قصر في أداء ما يجب عليه لهن. وحاشاه من ذلك.

ثانياً: إن الله عز وجل قد وعدهن بالرزق الكريم إن أطعن الله ورسوله. فقال: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾[1].

وهذا يدل على: أن القضية لم تكن قضية نفقة، وإنما هي قضية طاعة وانقياد..

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يبادي من تطلب منه حقها بهذا النحو من الشدة، فيعتزلها، ويهم بطلاقها. بل هو يلين لها ويعترف لها بحقها، ولا يحرمها من ليلتها مدة شهر كامل.. فيكون بذلك قد ظلمها، واستأثر بها لا يحق له الاستئثار به. فلماذا لا يبقى معهن، ويؤدي لهن حقهن؟! فإذا صمم على طلاقهن، فإنه يمتنع عن غشيانهن، إلى أن يتمكن من تسريحهن بإحسان، بعد ان يصبح ذلك ممكناً من الناحية الشرعية..

رابعاً: إن عدم تمكنه من الإنفاق لا يستلزم حلفه على طلاقهن، فيمكنه أن يطلقهن، أو أن يطلق من يشاء منهن، من دون حاجة إلى هذا الحلف.

خامساً: إن تصميمه على الطلاق حتى لو كان قد حلف عليه، واعتزل نساءه لا يستوجب أن ينقطع عن أصحابه، وأن يمتنع من الإذن لهم بالدخول عليه.. وما إلى ذلك.

سادساً: هل صحيح أنه كان لا يقدر على الإنفاق عليهن جميعاً؟! أم أنه

---

(١) الآية ٣١ من سورة الأحزاب.

كان يقدر على الإنفاق على بعضهن؟!

وفي كلتا الصورتين: كيف ومن أين كنّ زوجاته «صلى الله عليه وآله» ينفقن على أنفسهن؟!

هل كن يتسولن في الأزقة والشوارع؟! أم كن ينفقن من أموالهن؟! مع علمنا: بأنهن لم يكنّ يملكن أموالاً. فما الذي تغير حتى أعرض عن اعتزاله لهن؟!

النبي ﷺ يضحك لضرب عمر لزوجته؟:

وذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد ضحك حين أخبره عمر بن الخطاب: بأنه ضرب زوجته حتى ألصقت خدها بالأرض، أو لأنه وجأ عنقها!

وهذا غريب حقاً، فإن المفروض بالنبي «صلى الله عليه وآله»: أن يغضب من فعل عمر هذا، وأن يعترض على عمر، ويبادر إلى تأنيبه على هذا الجرم الذي اقترفه، إن لم نقل: إن المطلوب هو أكثر من ذلك أيضاً..

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» ـ حسب زعمهم ـ حين تخلف عن هذا الواجب، لم يكتف بهذا التخلف، والسكوت عن هذا المنكر، بل هو ـ حسب روايتهم المزعومة ـ قد ضحك له، وأفرحه ما صدر من عمر بن الخطاب، من ظلم وعدوان على امرأة ضعيفة، لم يزل النبي «صلى الله عليه وآله» يوصي بمثيلاتها، حيث يقول ـ حتى في مرض موته ـ: أوصيكم بالضعيفين. (يريد النساء وما ملكت يمينكم)[1].

---

(١) راجع: الكافي ج٧ ص٥٢ وتحف العقول ص١٩٩ ومستدرك الوسائل ج١٤ ص٢٥٥ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج٤ ص١٤ =

على أن ما ذكره عمر لا يتضمن ما يستوجب التبسم، فضلاً عن أن يضحك حتى يبدو ناجذه..

فهل كان ضحكه هذا شماتة بتلك المرأة المظلومة والمستضعفة، وابتهاجاً بهذا الظلم والطغيان العارم؟!

حاشا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وألف حاشا..

ثم إنهم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يزيد في ضحكه عن التبسم، فلماذا بلغ الأمر به إلى الضحك حتى بدا ناجذه؟!

التناسب.. والإنسجام:

على أن ما تقدم: من أن زوجة عمر اعترضت عليه فيما أمر به غلمانه فضربها، فأخبرته باعتراض نساء النبي «صلى الله عليه وآله» عليه.. لا يتناسب مع ما زعمته الرواية نفسها، من أنه خرج فدخل على حفصة،

= ومقاتل الطالبيين ص٢٥ والبحار ج٤٢ ص٢٤٩ وج٧٥ ص١٠٠وجامع أحاديث الشيعة ج١٩ ص٣١٥ وج٢٠ ص٢٤٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج٧ ص٢٩٤ وج١١ ص١٨ والمعجم الكبير ج١ ص١٠٢ وشرح النهج ج٦ ص١٢٠ و ١٢١ ونظم درر السمطين ص١٤٦ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٦٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٣٣ والمناقب للخوارزمي ص٣٨٦ وكشف الغمة ج٢ ص٥٩ وأهل البيت «عليهم السلام» في الكتاب والسنة لمحمد الريشهري ص٣٤٠ موسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج٧ ص٢٥٧ وشرح إحقاق الحق ج٣٢ ص٦٥٤ وراجع: عمدة القاري ج١٣ ص١٠٨ والجرح والتعديل ج١ ص١٩٧.

وطلب منها أن لا تطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» شيئاً، إذ ليس عنده درهم ولا دينار. فراجع.

حديث الإعتزال بسبب عائشة وحفصة:

ونجد عمر بن الخطاب يؤكد على: أن اعتزال النبي «صلى الله عليه وآله» لنسائه قد كان بسبب عائشة وحفصة، حين تظاهرتا عليه، ولم يذكر لنا سبب ذلك سوى بعض اجتهاداتٍ منه، حول أن نساء الأنصار كنّ يراجعن أزواجهن، فتعلمت سائر النساء منهن ذلك[1].

أو أن الموضوع موضوع العسل، الذي ادَّعت بعض نسائه: أن فيه ريح مغافير..

ونقول:

١ ـ إنه إذا كان المذنب هو عائشة وحفصة، فلماذا اعتزل «صلى الله عليه وآله» جميع نسائه؟

ألا يدل ذلك: على أنه «صلى الله عليه وآله» قد رأى أن ثمة تواطؤاً فيما بينهن على أمر عظيم ـ وإن كانت عائشة وحفصة هما المحركتان لباقي

---

(١) الدر المنثور ج٦ ص٢٤٢ و٢٤٣ عن أحمد، وعبدالرزاق، والعدني، وابن سعد، والبخاري، ومسلم، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن حبان، وابن المنذر، وابن مردويه وعن ابن عباس وراجع: صحيح البخاري ج٦ ص١٤٨ و ١٤٩ وفتح الباري ج٩ ص٢٤٨ فما بعدها، وعمدة القاري ج٢٠ ص١٨٠ وعون المعبود ج١٤ ص٧٢ وكنز العمال ج٢ ص٥٢٥ و ٥٢٦ وتفسير الميزان ج١٩ ص٣٣٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٠٦ وراجع: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤١٥.

النساء؟!

٢ ـ يضاف إلى ذلك: أن مجرد مراجعة المرأة لزوجها لا تستدعي هذا الإجراء القوي..

٣ ـ إنه يبدو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان حين انقطع عن المسلمين يريد أن يشرك سائر المسلمين في التصدي لهذا الأمر العظيم، حتى إن جماعة منهم كانوا حول المسجد يبكون.

وهذا معناه: أنه أمر يعنيهم، ويؤثر على حياتهم ودينهم، وليس مجرد أمر شخصي أو شيء يرتبط بأمور الدنيا.

٤ ـ يضاف إلى ذلك: أنه لو صحت قضية المغافير، فذلك يدعوه إلى اعتزال النساء اللواتي شاركن في ذلك، دون النساء اللواتي لم يشاركن فيه..

٥ ـ وحديث مارية، إنما يختص بحفصة، فلماذا يعتزل سائر النساء من أجل كلام تكلمت به حفصة دون سواها؟!

٦ ـ وقد ذكر لحفصة: أنه يحل له أن يقارب جاريته، فلماذا عاد وحرم جاريته على نفسه، وهي لا ذنب لها؟!

٧ ـ على أن في روايات ابن عباس عن عمر تناقضاً، فهل ذكر عمر لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه صك وجه، أو وجأ عنق زوجته؟!

وأن الزوجة التي تعرضت لهذا أو ذاك هي ابنة زيد، أو هي جميلة بنت ثابت.

هجر النبي ﷺ لعائشة:

تقدم عن عائشة: أن بعير صفية في حجة الوداع قد اعتل، فطلب النبي

«صلى الله عليه وآله» من عائشة أن تعطيها بعيراً، فقالت: أنا أعطي هذه اليهودية، فهجرها النبي حوالي ثلاثة أشهر..

والظاهر هو: أن هذه قضية أخرى حدثت لرسول الله «صلى الله عليه وآله» مع زوجاته، وخصوصاً عائشة وما أكثر أمثال هذه القضايا في حياة هذه المرأة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

غير أن ما يؤسف له هو: محاولة جعل بعض نصوص هذه الرواية قادرة على أن توهم قارئها: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يعتزل عائشة، إنما اعتزل المرأة التي أهانتها عائشة، فراجع[1].

الإصرار على تضييع الحقيقة:

والذي يضحك الثكلى روايتهم عن أبي جعفر، أنه قال: قال نساء رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما نساء أغلى مهوراً منا.

فغار الله لنبيه «صلى الله عليه وآله»، فأمره أن يعتزلهن، فاعتزلهن تسعة وعشرين يوماً، ثم أمره أن يخيّرهن فخيّرهن[2].

ولا ندري كيف صار هذا سبباً لهذا التدخل الإلهي القوي، فإن مجرد قولهن: ما نساء أغلى مهوراً منا.. إن كان صحيحاً في نفسه، فهو لا يوجب

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٩ ص٦٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٩٢ والدر المنثور ج٥ ص١٩٥ عن ابن سعد، وراجع: البحار ج٢٢ ص٢١٢ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج١ ص٣٢٧ وج٩ ص٣٨٧ والحدائق الناضرة ج٢٥ ص٢٢٢ وجواهر الكلام ج٣٢ ص٧٠ والكافي ج٦ ص١٣٨.

هذا الإجراء الحازم والصارم.

وإن لم يكن صحيحاً، وظهر أنه كان في مهور النساء آنئذٍ ما هو أغلى من مهورهن، فكان يكفي أن يقول لهن: إن هذا القول غير صحيح..

ولكن الذي نظنه هو: أن هؤلاء يريدون التعمية على الأسباب الحقيقية التي دعت النبي «صلى الله عليه وآله» إلى اتخاذ هذا الإجراء، الذي خلده الله تعالى في كتابه الكريم إكراماً لنبيه، وإزراء على من اجترأ على مقام النبوة والرسالة، وأساء إليها..

الحقيقة المنقوصة:

وفي حين فشل الحسن (البصري) في تبيان حقيقة سبب ما جرى، فأبهمه أيما إبهام، فإن قتادة يكاد يقترب من إظهاره، ولعله هو الآخر، عاد فتراجع، ربما لأنه لا يريد أن يعرض نفسه لخطر عظيم، وبلاء جسيم.

فعن الحسن، وقتادة: أن الله تعالى أمر نبيه أن يخيرهن في شيء كن أردنه من الدنيا.

وقال عكرمة: في غيرة كانت غارتها عائشة[1].

ولكن مجرد الغيرة من عائشة لا تكفي، لو لم تكن هناك تصرفات وأقوال هائلة أخرى، قد رافقت ذلك.

وربما يكون حديث الآيات عن الفاحشة، والتوعد عليها بمضاعفة العذاب في هذه المناسبة حيث قال: ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ

____

(١) الدر المنثور ج٥ ص١٩٥ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وراجع: التبيان ج٨ ص٣٣٥ وجامع البيان ج٢١ ص١٨٩ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص٦٥.

﴿مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[١] يقوي ويؤيد رواية القمي حول هذا الأمر، بالإضافة إلى روايات أخرى أشارت إلى: أن النساء قد اتخذن من غيرة ـ عائشة على ما يظهر ـ سبباً للتعدي إلى ما هو أشرّ وأضرّ، وهو ما أشارت إليه رواية الخدري وجابر، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: **﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآَخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾**[٢]، فاخترن أن لا يتزوجن بعده[٣].

وهذا يشير إلى: أن القضية كانت ترتبط بهذا الأمر، وأعني به أمر الزواج بعده «صلى الله عليه وآله»، وهو أمر يمس شرف الرسول «صلى الله عليه وآله» ورسالته وهو ما توضحه الرويات الآتية.

يضاف إلى ذلك: أن هذه الآية الشريفة تظهر بمفردها، ولو لم تعضدها أية رواية أخرى: أن القضية ليست قضية نفقة، فإن عدم النفقة لا يستوجب رفضهن لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. وليست قضية غيرة لعائشة أو لحفصة من مارية أو من غيرها، فإن الغيرة معناها إرادة التفرد بالزوج، ورفض مشاركة أمرأة أخرى لها فيه، وهذه الآية تقول: أنهن كنّ لا يردن الله ورسوله، بل يردن غير الرسول، وكن لا يردن الآخرة، بل يردن الحياة الدنيا وزينتها، وهذا بدوره يؤكد لنا مضمون رواية القمي الآتية في العنوان التالي..

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ٢٨ من سورة الأحزاب.

(٣) الدر المنثور ج٥ ص١٩٤ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٧٩ـ ١٨١ وراجع: تفير العز بن عبد السلام ج٢ ص٥٧٠ وعمدة القاري ج١٣ ص١٩.

الصحيح في القضية:

وبعد.. فقد أوضح علي بن إبراهيم حقيقة القضية، فقال: لما رجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من غزاة خيبر، وأصاب كنز آل أبي الحقيق، قلن أزواجه: أعطنا ما أصبت.

فقال لهن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قسمته بين المسلمين على ما أمر الله.

فغضبن من ذلك، وقلن: لعلك ترى إن طلقتنا ألَّا نجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا؟!

فأنف الله لرسوله، فأمره الله أن يعتزلهن.

فاعتزلهن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مشربة أم إبراهيم تسعة وعشرين يوماً، حتى حضن وطهرن، ثم أنزل الله هذه الآية، وهي آية التخيير، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾[1] الآية.

فقامت أم سلمة أول من قامت، فقالت: قد اخترت الله، واخترت رسوله.

فقمن كلهن فعانقنه، وقلن مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾.

---

(١) الآية ٢٨ من سورة الأحزاب.

فقال الصادق «عليه السلام»: من آوى فقد نكح، ومن أرجى فقد طلق[1].

وقد أيدت رواية جابر وأبي سعيد الخدري التي تقدمت الإشارة إليها آنفاً: أن القضية كانت تدخل في هذا الإتجاه، أعني مسألة زواجهن بعده «صلى الله عليه وآله»، مما يعني: أن غضب الله لرسوله، وغضب النبي لشرف الرسالة، وكرامة الرسول «صلى الله عليه وآله» هو السبب لهذا الإعتزال..

وقد لاحظنا في روايات هواة التبرير والتعذير: أنهم يسعون جاهدين لإبهام هذا الأمر. والتحايل على الألفاظ والعبارات من أجل صرف الأنظار إلى جهات أخرى، فظهرت حيرتهم، وبدا عيّهم، وأظهر الله الحقيقة على لسان أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم، بل إن مصادرهم لم تخل من إشارات إليها، ودلالات عليها كما أوضحناه..

ويؤيد هذا الذي قلناه: روايات أخرى، يمكن أن يستفاد منها: أن غيرة عائشة التي أشار إليها قتادة، كانت هي التي دعت زينب بنت جحش للتصريح بما كن قد تواطأن عليه، فاستحققن هجران الرسول «صلى الله عليه وآله» لهن، حتى يطهرن تمهيداً لفراقهن بالطلاق ليظهر عدوانهن

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص١٩٢ وتفسير البرهان ج٣ ص٣٠٧ و ٣٠٨ والكافي ج٥ ص٣٨٨ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص٣١٠ والبحار ج٢٢ ص١٩٨ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٢ ص٩٢ والتفسير الأصفى ج٢ ص٩٩٨ والتفسير الصافي ج٤ ص١٨٥ و ١٩٧ وج٦ ص٣٨ و ٥٨ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٦٤ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٩٤ وراجع: الحدائق الناضرة ج٢٣ ص٩٦ و ١١٠ و ١١٣ وجواهر الكلام ج٢٩ ص١٢٠.

الفاحش عليه، وعلى كرامته ودينه، فإن شرف الرسالة والرسول، فوق كل اعتبار.

ويمكن للقارئ الكريم أن يلاحظ الروايات التالية أيضاً:

١ ـ روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: «أن زينب قالت لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا تعدل وأنت رسول الله»؟

فقالت حفصة: «إن طلقنا وجدنا في قومنا أكفاءنا».

فاحتبس الوحي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» عشرين يوماً.

قال: فأنف الله تعالى لرسوله، فأنزل الله: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً، وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾**[1].

قال فاخترن الله ورسوله، ولو اخترن أنفسهن لبِنَّ، وإن اخترن الله ورسوله، فليس بشيء»[2].

---

(١) الآية ٢٨ من سورة الأحزاب.

(٢) الكافي ج٦ ص١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ والمقنع للشيخ الصدوق ص٣٤٧ ورسائل المرتضى ج١ ص٢٤٣ ومختلف الشيعة للعلامة الحلي ج٧ ص٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٣ والحدائق الناضرة ج٢٣ ص١٠٠ وج٢٥ ص٢٢٢ وج٢٩ ص١٢٤ و ١٢٥وج٣٢ ص٦٩ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٥١٧ والإستبصار للشيخ الطوسي ج٣ ص٣١٣ و ٣١٤ وتهذيب الأحكام ج٨ ص٨٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٢ ص٩٣ و (ط دار الإسلامية) ج١٥ ص٣٣٦ وعوالي اللآلي ج١ ص٣٠٧ والبحار ج٢٢ ص١٧٤ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢٢٠ وجامع =

٢ ـ وفي نص آخر عن الإمام الصادق «عليه السلام»: «أن زينب بنت جحش قالت: يرى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إن خلَّى سبيلنا أن لا نجد زوجاً غيره.

وقد كان اعتزل نساءه تسعاً وعشرين ليلة، فلما قالت زينب الذي قالت بعث الله جبرئيل إلى محمد «صلى الله عليه وآله»، فقال: ﴿قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا..﴾»[1].

٣ ـ وفي نص آخر عن أبي بصير، عن أبي جعفر «عليه السلام»: أن زينب لما قالت: إن طلقنا وجدنا في قومنا أكفاءنا، احتبس الوحي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» تسعاً وعشرين ليلة[2].

٤ ـ وعن زرارة، عن أبي حعفر «عليه السلام» نحوه، وفيه: أنه اعتزلهن

= أحاديث الشيعة للسيد البروجردي ج٢٢ ص٩١ والتبيان ج٨ ص٣٣٥ وتفسير جوامع الجامع للشيخ الطبرسي ج٣ ص٦٠ والتفسير الأصفى ج٢ ص٩٩٠ والتفسير الصافي ج٤ ص١٨٥وج٦ ص٣٩ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٦٥ و ٢٦٦ والبرهان ج٣ ص٣٠٧.

(١) الحدائق الناضرة ج٢٥ ص٢٢٢ والأحكام ليحيى بن الحسين ج١ ص٤٢٨ والكافي ج٦ ص١٣٨ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص٣٠٩ والبحار ج٢٢ ص٢١٢ وجامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي ج٢٢ ص٩٣ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٦٦ والبرهان ج٣ ص٣٠٧.

(٢) الكافي ج٦ ص١٣٩ وجواهر الكلام ج٢٩ ص١٢٥ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٥١٧ والبحار ج٢٢ ص٢٢٠ والتفسير الأصفى ج٢ ص٩٩٠ والتفسير الصافي ج٦ ص٣٩ والبرهان ج٣ ص٣٠٧.

في مشربة أم إبراهيم تسعاً وعشرين ليلة، ثم دعاهن فخيّرهن، فاخترنه[1].

قضية المغافير دليل سمو وعظمة:

والذي نلاحظه أخيراً: أن قضية المغافير رغم أنه «صلى الله عليه وآله» يعرف أنها قائمة على التجني والإفتراء، فإنه كان يستشم رائحة العسل بمجرد أن يوضع أمامه، وحين شروعه بتناوله..

نعم.. رغم معرفته بالحقيقة، ورغم الإهانة الهائلة التي وجهت له، ورغم التعدي السافر على مقام النبوة، وكرامة الأنبياء، فإنه بقي يعامل أولئك الذين فعلوا ذلك كله بهذا الخلق الرضي، وبهذا الإيثار القوي.. رغم أنه أشد الناس رهافة حس، وأعظمهم شعوراً بالأذى، وأكثرهم اهتماماً بتأييد الدين، واندفاعاً إلى حفظ نواميسه، وصيانة قدسيته..

ولذلك يقول الله تعالى له: كم أنت عظيم الوفاء، ورؤوف ورحيم.. تقابل الإساءة بالإحسان، الخطيئة بالغفران، والأذى والمساءة بالشفقة والرضا والحنان..

طلاق سودة:

ومما يدخل في سياق نسبة ما لا يليق إلى رسول الله، ما زعموه: من أن

---

(١) الكافي ج٦ ص١٣٨ والبرهان ج٣ ص٣٠٧ وجواهر الكلام ج٣٢ ص٧٠ والحدائق الناضرة ج٢٥ ص٢٢٢ ودعائم الإسلام ج٢ ص٢٦٧ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص٣٠٩ والبحار ج٢٢ ص٢١٢ وجامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي ج٢٢ ص٩٣ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٦٦.

النبي «صلى الله عليه وآله» طلق سودة بنت زمعة تطليقة، فجلست في طريقه فلما مرَّ سألته الرجعة، وأن تهب قسمها لأي من أزواجه شاء، رجاء أن تبعث يوم القيامة زوجته، فراجعها، وقبل ذلك منها.

أو قالت: واجعل يومي لعائشة، فراجعها[1].

وهناك رواية تقول: إن سودة حين أسنّت فرِقت أن يفارقها «صلى الله عليه وآله»، فقالت: يا رسول الله، يومي لعائشة.

فقبل «صلى الله عليه وآله» ذلك منها[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٩ ص٥٩ عن الطبراني بسند فيه ضعف، ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٤٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص١١٨ وراجع: الإصابة ج٤ ص٣٣٨ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص١٩٦ عن ابن سعد، ونيل الأوطار ج٦ ص٣٧٤ و ٣٧٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٧٥ و ٢٩٧ وعمدة القاري ج١٢ ص٢٩٦ وج١٣ ص٢٧١ وج١٨ ص١٩٢ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٤ ص٣٢ ومعرفة السنن الآثار ج٥ ص٤٢٦ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج٣ ص١١٩ ونصب الراية ج٣ ص٤١٢ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص٦٧ والثقات لابن حبان ج٢ ص٢٩ وتفسير مجمع البيان ج٣ ص٢٠٥ والدر المنثور ج٢ ص٢٣٢ وسبل السلام ج٣ ص١٦٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٦٣ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص٢٠١ والوافي بالوفيات ج١٦ ص٢٦ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٦٧ والإصابة ج٨ ص١٩٦ وزوجات النبي لسعيد أيوب ص٤٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص١٧٠ و ١٩٩ وج٩ ص٦٥ و ٦٧ و٦٨ عن أحمد، وأبي داود، ومسلم، والبخاري، عن عائشة. وفي هامشه عن: أبي داود (٢٣١٥) والحاكم ج٢ ص١٨٩ والبيهقي ج٧/ ٧٤٢٣١ والبخاري ج٥ ص٢٩٣ =

وقيل: إن آية: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً﴾ نزلت في قضية سودة[1].

= (٢٦٨٨) وج٩ ص٣١٢ (٥٢١٢) ومسلم ج٢ ص١٠٨٥ (٤٧/ ١٤٦٣) وج٤ ص٢١٢٩ (٥٦/ ٢٧٧٠).

وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١١٨ والإصابة ج٤ ص٣٣٨ عن الترمذي، وقاموس الرجال ج١٢ ص٢٨٣ والدر المنثور ج٢ ص٢٣٢ عن الحاكم وصححه، وأبي داود، وابن سعد، والبيهقي عن عائشة، وعن ابن جرير عن السدي، وعن الطيالسي، والترمذي، وحسنه، وابن المنذر والطبراني، والبيهقي في سننه عن ابن عباس. وراجع: الأحكام ليحيى بن الحسين ج١ ص٣٧٥ والمجموع للنووي ج١٦ ص٤٤٣ والشرح الكبير ج٨ ص١٧٠ والمغني لابن قدامة ج٨ ص١٦٥ و ١٦٦ وسبل السلام ج٣ ص١٦٤ وفقه السنة ج٢ ص٣٠٧ وسنن أبي داود ج١ ص٤٧٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٧٥ وفتح الباري ج٩ ص٢٧٤ وعمدة القاري ج١٢ ص٢٩٦ وج١٣ ص٢٧١ وج١٨ ص١٩٢ وج٢٠ ص٦٩ و ١٩٣ و ١٩٨ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٣٢٠ وعون المعبود ج٦ ص١٢٢ والإستيعاب ج٤ ص١٨٦٧ وتخريج الأحاد والآثار ج١ ص٣٦١ وج٣ ص١١٩ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص٦٧ وأحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٤٨١ وأحكام القرآن لابن العربي ج١ ص٦٣٣ والتسهيل لعلوم التنزيل ج١ ص١٥٩ ولباب النقول للسيوطي (ط دار إحياء العلوم) ص٨٤ و (ط دار الكتب العلمية) ص٧٣ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص٢٠١ وكتاب المحبر ص٨٠ والوافي بالوفيات ج١٦ ص٢٦ والبداية والنهاية ج٧ ص١٦٢ وعيون الأثر ج٢ ص٣٨٢.

(١) تاريخ الخميس ج١ ص١١٨ والإصابة ج٤ ص٣٣٨ عن الترمذي، والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص٣٢٤ وقاموس الرجال ج١٢ ص٢٨٣ و ٢٨٤ عن ابن الأثير الجزري وراجع الدر المنثور ج٢ ص٢٣٢ وراجع ص٢٣٣ عن =

ونص آخر يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يطلقها، فقالت: دعني في أزواجك، واجعل يومي لعائشة، ففعل «صلى الله عليه وآله»[1].

= ابن سعد، والحاكم وصححه، وأبي داود، والبيهقي عن عائشة، والطيالسي، والترمذي، وحسنه، وابن المنذر، والطبراني، والبيهقي في سننه عن ابن عباس.

وراجع: الشرح الكبير لابن قدامة ج٨ ص١٧٠ وسبل السلام ج٣ ص١٦٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٩٧ وعمدة القاري ج١٢ ص٢٩٦ وج٢٠ ص١٩٣ والمصنف للصنعاني ج٦ ص٢٣٨ ونصب الراية للزيلعي ج٣ ص٤١٢ وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٠٧٩ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢ ص١١٩ وزاد المسير ج٢ ص٢٠٢ والجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٤٠٣ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٧٥ والدر المنثور ج٢ ص٢٣٢ وفتح القدير ج١ ص٥٢٢ وتفسير الآلوسي ج٥ ص١٦١ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص٢٠١ والوافي بالوفيات ج١٦ ص٢٥ و ٢٦ والبداية والنهاية ج٧ ص١٦٣.

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٧٠ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٤ ص٣٢٣ وراجع: كشف اللثام (ط ج) ج٧ ص٥٢٠ والمبسوط للسرخسي ج٥ ص٢٢٠ وسنن الترمذي ج٤ ص٣١٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٩٧ وفتح الباري ج٨ ص٢٠٠ وعمدة القاري ج١٢ ص٢٩٦ وج١٣ ص٢٧١ وج١٨ ص١٩٢ وج٢٠ ص١٩٣ ومسند أبي داود ص٣٤٩ والمعجم الكبير ج١١ ص٢٢٦ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص١١٩ وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٠٧٩ و ١٠٨٠ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٣٥٤ وأحكام القرآن لابن العربي ج١ ص٦٣٣ وزاد المسير ج٢ ص٢٠٢ والجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٤٠٣ و ٤٠٤ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٧٥ والدر المنثور ج٢ ص٢٣٢ وفتح القدير ج١ ص٥٢٢ وتفسير الآلوسي ج٥ ص١٦١ وقاموس الرجال ج١٢ ص٢٨٣ وأسد الغابة ج٥ ص٤٨٥ والإصابة ج٨ ص١٩٦.

وصرحت بعض هذه النصوص: بأنها وهبت يومها لعائشة تبتغي بذلك رضا النبي «صلى الله عليه وآله»[1].

ونقول:

١ ـ إن ملاحظة الروايات المتقدمة: تظهر مدى الإختلاف فيما بينها، وخصوصاً في بيان الدافع لهبتها يومها لعائشة، فهل الدافع لها هو: أنها خافت من أن يطلقها بعد أن أسنت؟!

أو لأنه طلقها بالفعل؟!

أو أنه أراد أن يطلقها فعلاً؟!

٢ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليطلق امرأة لمجرد أنها أسنت، وقد أسنت خديجة عنده، ولم يطلقها.

٣ ـ إنه إن صح: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد طلق سودة، أو أراد أن يطلقها، فلعله لأمر اقتضى ذلك..

ولعلها أساءت الأدب معه «صلى الله عليه وآله» بسبب حدتها التي كانت فيها، وقد أشارت لها عائشة، ولذلك كانت تسرع فيها اللعنة، كما زعمت عائشة[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٩ ص٦٥ عن البخاري، ومسلم، والمجموع للنووي ج١٦ ص٤٤٢ وسبل السلام ج٣ ص١٦٣ ونيل الأوطار ج٦ ص٣٧٤ ومسند أحمد ص١١٧ وصحيح البخاري ج٣ ص١٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٩٦ والإستذكار ج٥ ص٥٤٤ وفيض القدير ج٥ ص١٢٢ والطبقات الكبرى ج٨ ص١٦٩ وإمتاع الأسماع ج١٠ ص٢٣١.

(٢) الإصابة ج٤ ص٣٣٨ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص١٩٦ وتهذيب الكمال =

والظاهر: أن المقصود هو: أنها كانت كثيراً ما تعمل عملاً يوجب المبادرة إلى لعنها..

وقد تقدم في كتابنا هذا: ما يدل على أنها حين رأت سهيل بن عمرو أسيراً في بدر، وكانت أولاً زوجة أخيه السكران بن عمرو، قالت سودة لسهيل: أأعطيتم بأيديكم؟ هلّا متم كراماً؟

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا سودة، أعلى الله ورسوله؟

فاعتذرت له[1].

وأما نزول آية: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً**﴾ في قضية سودة، فيرد عليه:

أولاً: إن ذلك يستلزم الإنتقاص من مقام النبوة الأقدس.

ثانياً: عن عائشة: نزلت هذه الآية ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ..**﴾ في رجل كانت

= ج٣٥ ص٢٠١ وتهذيب التهذيب ج١٢ ص٣٧٨ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٤ ص٣٢٤ و (ط دار الجيل) ص١٨٦٧ والبداية والنهاية ج٨ ص٧٧.

(١) راجع: قاموس الرجال ج١٢ ص٢٨٣ وأنساب الأشراف ج١ ص٤٠٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٨٩ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص٢٠٣ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٣١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٥٨ والبداية والنهاية ج٣ ص٣٧٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٤٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٤٧٦ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٦٥ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٢٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٤٧٦ والمعجم الكبير ج٢٤ ص٣٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص١٨٨.

تحته إمرأة قد طالت حجتها، وولدت منه أولاداً، فأراد أن يستبدل بها، فراضته على أن يقيم عندها، ولا يقيم لها(١).

ولم يكن لسودة أولاد من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يريد أن يستبدل بها، بل هم يدَّعون: أنها فَرِقَتْ أن يطلقها.

ثالثاً: عن مجاهد: إن الآية نزلت في أبي السنابل بن بعكك(٢).

رابعاً: رووا عن أبي هريرة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط(٣).

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص٢٣٢ عن ابن ماجة، وسنن ابن ماجة ج١ ص٦٣٤ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٥٩ ولباب النقول للسيوطي (ط دار إحياء العلوم) ص٨٤ و (ط دار الكتب العلمية) ص٧٣ وتفسير الجلالين ص٢٩٩ وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٤٠٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٣٢٨ والإستذكار ج٥ ص٥٤٤ والتبيان ج٣ ص٣٤٦ و ٣٤٧.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص٢٣٣ عن ابن جرير، وتفسير مجاهد ج١ ص١٧٧ وراجع: جامع البيان ج٥ ص٤١٧ وتفسير السمرقندي ج١ ص٣٦٩ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢ ص١١٩ وتفسير الثعالبي ج٢ ص٣٠٧.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص٢٣٣ عن ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن ماجة، وراجع: مسند أحمد ج٢ ص٣٤٧ و ٤٧١ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦٣٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٩٧ ومسند أبي داود الطيالسي ص٣٢٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٤٤٧ ومسند ابن راهويه ج١ ص١٥٩ والمنتقى من السنن المسندة ص١٨٠ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٧ وموارد الظمآن ج٤ ص٢٤٦ وكنز العمال =

فهل يمكن أن نتصور سودة تخاف من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يميل، أو أن يعرض عنها، ويكون هذا حاله يوم القيامة؟!

وألا يعد ذلك من أسباب الطعن في دين من يتوهم في النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك؟!

خامساً: ذكروا: أن آية خوف النشوز والإعراض من الزوج قد «نزلت في امرأة رافع بن خديج، وهي: بنت محمد بن مسلمة، التي كانت قد أسنت، فتزوج عليها امرأة شابة، فأعجب بها، فطالبته زوجته الأولى، فعرض عليها أن تكون لها ليلة، ولتلك يومان أو ثلاثة، فلم ترض، فطلقها تطليقة، فرضخت لقوله، فراجعها، فشحت نفسها بنصيبها، ولم تطق ذلك، فطلقها الثانية، فشحت نفسها أيضاً، ثم رضيت بالصلح، واستقرت على ما عرضه عليها، فلم يستطع هو أن يعدل بينهما، فنزلت: ﴿**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ**﴾[1]»[2].

= ج١٦ ص٣٤٢ وجامع البيان ج٥ ص٤٢٦ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٣٥٦ وتفسير السمرقندي ج١ ص٣٧٠ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٧٧ وفتح القدير ج١ ص٥٢٢ وتفسير الآلوسي ج٥ ص١٦٣ والمجموع للنووي ج١٦ ص٤٢٥ وعوالي اللآلي ج١ ص٢٧٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٢١ ص٢٨٤.

(١) الآية ١٢٩ من سورة النساء.

(٢) تفسير القمي ج١ ص١٥٤ و١٥٥ والدر المنثور ج٢ ص٢٣٢ عن مالك، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه عن رافع بن خديج، وعن الشافعي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والبيهقي عن سعيد =

رضا النبي ﷺ أم رضا عائشة!!

وقد زعمت بعض الروايات المتقدمة: أن سودة قد وهبت يومها لعائشة، تبتغي بذلك رضا رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

والذي نظنه هو: أنها كانت بذلك تطلب رضا عائشة، لا رضا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد وجدت في عائشة ما يجعلها تخشى من أي حالة جفاء لها معها.

ويكفي أن نتذكر: كيف لطخت عائشة وجهها بحريرة (نوع من الطعام) كان في قصفة أتت بها عائشة، وذلك بحضور رسول الله، لمجرد أنه

= بن المسيب، وراجع: الإستذكار لابن عبد البر ج٥ ص٥٤٣ والتبيان ج٣ ص٣٤٦ وتفسير مجمع البيان ج٣ ص٢٠٥ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٥٥٧ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٦٤١ وتفسير الميزان ج٥ ص١٠٥ وتفسير القرآن للصنعاني ج١ ص١٧٥ وجامع البيان ج٥ ص٤١٧ و ٤٢٢ ومعاني القرآن للنحاس ج٢ ص٢٠٦ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢ ص١١٩ والجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٤٠٤ وتفسير البحر المحيط ج٣ ص٣٧٩ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٧٦ والكامل في التاريخ ج٤ ص٣٦٣ وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٠٨١ وكتاب الموطأ ج٢ ص٥٤٨ والمدونة الكبرى لمالك ج٢ ص٣٣٥ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص١٠٦ والبحار ج١٠١ ص٥٧ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٣٠٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٩٦ وفتح الباري ج٨ ص١٩٩ وعمدة القاري ج١٣ ص٢٧١ وج١٨ ص١٩٢ والمصنف للصنعاني ج٦ ص٢٣٨.

«صلى الله عليه وآله» جلس بينهما[١].

بل هي قد صرحت: بأنها كانت تخاف من عائشة لدرجة أنها رضيت بالإقدام على الكذب، وعلى أذى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فرقاً منها، أنها كانت قد أمرتها بذلك، فراجع قصة المغافير التي تقدمت[٢].

فلعلها رأت: أن من مصلحتها أن ترشو عائشة بأمر تعلم أنه يرضيها، وتستريح من كثير من المشكلات، التي كان يجب أن تتوقعها وتواجهها، ولا تملك حيلة للتخلص منها..

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٧ ص١١٤ وج٩ ص٧٠ وج١١ ص١٤٨ عن النسائي، وأبي بكر الشافعي، وأبي يعلى بسند حسن، وأشار في الهامش إلى مجمع الزوائد ج٤ ص٣١٦، وراجع: مسند أبي يعلى ج٧ ص٤٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٤٣ وج٤٤ ص٩٠ وكنز العمال ج١٢ ص٥٩٣ وج١٥ ص٩١ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٤١ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٢٩١.

(٢) راجع: مسند أحمد (ط دار صادر) ج٦ ص٥٩ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٦ ص١٦٧ وج٨ ص٦٤ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٤ ص١٨٥ والبحار ج٢٢ ص٢٢٩ وسنن أبي داود ج٢ ص١٩١ وتفسير القرآن العظيم ص٤١٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٥٤ وتفسير الثعالبي ج٥ ص٤٥٠ وشرح مسلم للنووي ج١٠ ص٧٦ وعون المعبود ج١٠ ص١٢٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٨٥ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٣٠٠ وتفسير مجمع البيان ج١٠ ص٥٥ وتفسير القرآن للصنعاني ج٣ ص٣٠١ وأسباب نزول الآيات للنيسابوري ص٢٩١ وزاد المسير ج٨ ص٤٩ والجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص١٧٧.

سبب طلاق سودة:

إنه لو صح: أنه «صلى الله عليه وآله» قد طلق سودة، فلا بد أن تكون قد ارتكبت حماقة كبرى بالجرأة على مقامه الأقدس، وتواطئها مع أقرانها على رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذ ليس من الطبيعي أن يتحملها رسول الله «صلى الله عليه وآله» تلك السنين الطويلة، ويغض الطرف حتى حينما كانت تؤنب سهيل بن عمرو على فشله مع المسلمين في حرب بدر، وتقول له: هلَّا متم كراماً؟ ثم يطلقها لسبب تافهٍ وشخصي بعد ذلك..

من الذي خدع مليكة الكندية؟!:

وذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» تزوج في السنة الثامنة في شهر رمضان مليكة بنت كعب الكندية. وكانت ذات جمال بارع، وكان خالد بن الوليد قد قتل أباها يوم الفتح، فقالت لها عائشة: ألا تستحين؟! تتزوجين رجلاً قتل أباك؟!

فقالت: فكيف أصنع؟

فقالت: استعيذي بالله منه.

فاستعاذت، فطلقها[1].

---

(١) أنساب الأشراف ج١ ص٤٥٨ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٨ ص١١٢ و (ط دار صادر) ص١٤٨ وراجع: البحار ج٢١ ص١٨٣ عن المنتقى للكازروني، وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٣٠ و ٢٣١ عن ابن سعد، والواقدي، وتاريخ الخميس ج٢ ص١١٨ وراجع: قاموس الرجال ج١٢ ص٣٠١ و ٣٤٥ وإمتاع الأسماع ج٦ ص١٠١ ووضوء النبي للشهرستاني ج١ =

إننا لسنا بحاجة إلى التذكير: بأن أمثال هذه الأمور قد تكررت من عائشة، التي لم تسلم من لسانها ومن أذاها أي من زوجات رسول الله «صلى الله عليه وآله».

حتى إنها قد لحقت حتى الأموات منهن في قبورهن، رغم أنها لم تجتمع معهن في بيت الزوجية أبداً.

فقد نالت من أفضل نساء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهي السيدة خديجة في أكثر من مناسبة، وسمعت من رسول الله «صلى الله عليه وآله» الرد الحاسم والقوي الذي لم تكن تتوقعه فيما يظهر..

وقد تقدم ذلك في بعض فصول هذا الكتاب.

طلقها قبل أن يدخل بها:

عن عطاء بن يزيد الجندعي، قال: تزوج رسول الله «صلى الله عليه وآله» مليكة بنت كعب الليثي في شهر رمضان سنة ثمان، ودخل بها، فماتت عنده[1].

= ص٢٣٧ والإصابة ج٨ ص٣٢٠ والمنتخب من ذيل المذيل ص٨٩ والبداية والنهاية ٥ ص٣٢٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٢٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٩٢ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣٣٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٠ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص٢٦٠.

(١) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٣١ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٢٣٢ والمنتخب من ذيل المذيل ص٨٩ والإصابة ج٨ ص٣٢٠.

ونقول:

إن هذه الرواية مردودة بما يلي:

أولاً: بضعف سندها[1].

ثانياً: قال الواقدي: وأصحابنا ينكرون ذلك، ويقولون: لم يتزوج رسول الله «صلى الله عليه وآله» كنانية قط[2] وعن الزهري والكلبي مثله.

ثالثاً: قد ذكر أبو معشر استعاذة مليكة من رسول الله، وطلاقه «صلى الله عليه وآله» لها، وقال: «فجاء قومها، فقالوا: يا رسول الله، إنها صغيرة، وإنها لا رأي لها، وإنها خدعت، فارتجِعها».

فأبى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاستأذنوه أن يتزوجها قريب لها من بني عذرة، فأذن لهم، فتزوجها العذري[3].

أسماء بنت النعمان ضحية أخرى:

ولم تكن مليكة هي الضحية الوحيدة، التي وقعت في هذا الفخ، بل شاركتها في ذلك أسماء بنت النعمان الجونية، فقد أراد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يتزوجها، فجعلت عائشة وحفصة تصلحان من شأنها، فقالتا لها:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٣١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٣١ عن الواقدي، وراجع: قاموس الرجال ج٣٤٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٢٣٢ والإصابة ج٨ ص٣٢٠.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٣٠ و ٢٣١ عن ابن سعد والواقدي وراجع المصادر المتقدمة.

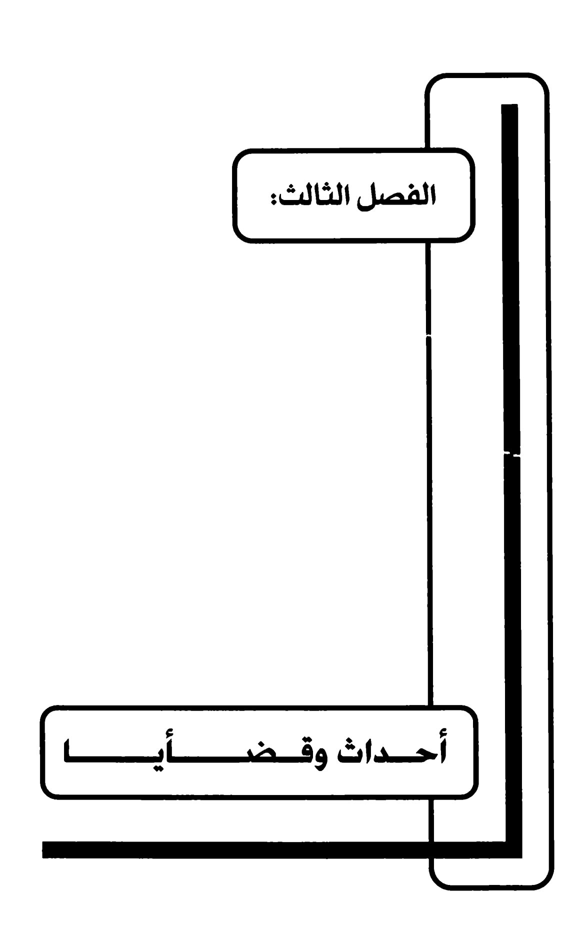
إن النبي «صلى الله عليه وآله» يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول: أعوذ بالله منك.

فلما خلا بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» قالت له ذلك، فخرج عنها، وأرسلها إلى أهلها، ومتعها برازقيتين (نوع من الثياب) وطلقها[1].

وطلاق هذه المرأة هو الأنسب بحالها والأقرب إلى الرفق بها. فإن بقاءها في بيت النبي «صلى الله عليه وآله» سوف يمكّن هاتين المرأتين، وغيرهن من النساء اللواتي يتحركن بوحي منها أضحوكة وموضعاً للسخرية والإستهزاء، وفي معرض الأذى في أكثر من اتجاه.

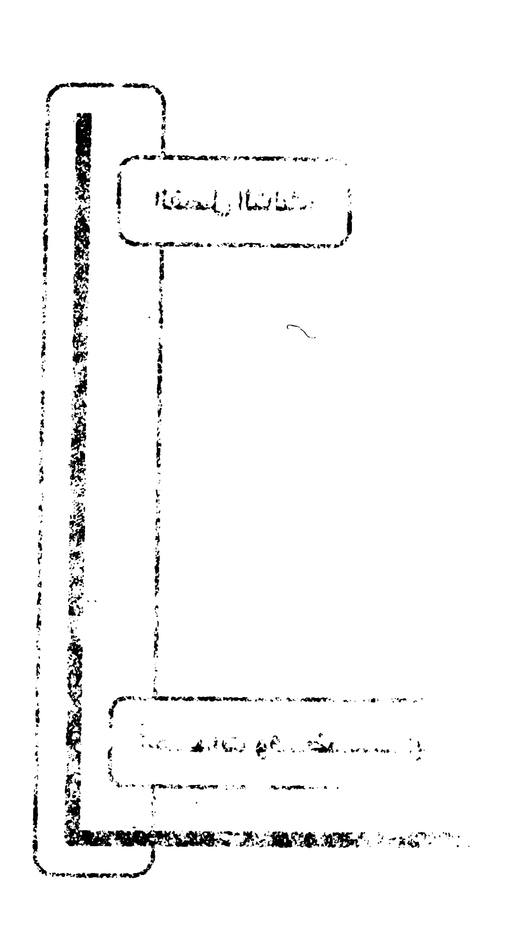
---

(١) المستدرك للحاكم ج٤ ص٣٧ وتلخيص المستدرك (مطبوع بهامشه) نفس الجزء والصفحة، والإصابة ج٤ ص٢٣٣ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٢٠ والطبقات الكبرى ج٨ ص١٤٥ و ١٤٦ وراجع: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٩ والأحكام ليحيى بن الحسين ج١ ص٤٥٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٧٦ والنص والإجتهاد ص٤١٣ والمنتخب من ذيل المذيل ص١٠٦.



الفصل الثالث:

أحداث وقضايا



عتّاب بن أسيد يحج بالناس:

وأقام «صلى الله عليه وآله» بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب[1].

قالوا: وحج بالناس في تلك السنة ـ وهي سنة ثمان ـ عتّاب بن أسيد.

وذلك: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما فتح مكة استعمله عليها للصلاة والحج[2]، فحج بالناس تلك السنة على ما كان عليه الناس في

---

(١) إعلام الورى ص١٢٨ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج١ ص٢٤٣ والبحار ج٢١ ص١٧٤ ومجمع البيان ج٩ ص١٩٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٦٦ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٧٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٤٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٦٩ و ٧٧ عن الماوردي في حاويه، في السير والحج، وراجع: أسد الغابة ج٣ ص٣٥٨ ووج٥ ص٥٥ وتهذيب الكمال ج١٩ ص٢٨٣ والإصابة ج٤ ص٣٥٦ و ٣٥٧ وج٦ ص٤١٥ وتهذيب التهذيب ج٧ ص٨٢ والوافي بالوفيات ج١٩ ص٢٨٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٣٦ وإعلام الورى ج١ ص٢٤٣ وفتح الباري ج٨ ص٦٥ ومعرفة السنن والآثار ج٣ ص٤٩١ والإستيعاب ج٣ ص١٠٢٣ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٤٥ وج٥ ص٤٤٦ وتاريخ خليفة بن خياط =

الجاهلية[1]، ثم كانت غزوة تبوك.

ونقول:

قد يقال: لماذا لم يبقَ «صلى الله عليه وآله» في مكة إلى ذي الحجة الذي أصبح على الأبواب، ولم يكن قد بقي لحلوله سوى أيام قليلة، ليحج هو بالناس؟!.

مع أنه «صلى الله عليه وآله» حين عاد إلى المدينة لم يقم بعمل أساسي، طيلة أكثر من سبعة أشهر.

وقد يمكن أن يكون الجواب: أنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يتلافى ما كان قد جرى في مؤتة، بإفهام الروم، وخصوصاً بعد فتح مكة، وامتداد نشاطه إلى مناطق اليمن: أنه بعد مؤتة لم ينكفىء إلى الداخل، لأنه يشعر بالضعف والعجز عن مواجهتهم، وأن مؤتة لم تفرز لديه شعوراً من هذا القبيل، بل توجه إلى الداخل ليهيىء أسباب القوة، وليزيل أعتى قوى الشرك في المنطقة، ثم هو بعد ذلك لم يزل راصداً لتحركات كل من تحدثه نفسه بالعدوان، أو بالإنتقاص من حقه، وحق أهل الإسلام، بل وسائر المستضعفين في الأرض.

صنع المنبر لرسول الله ﷺ:

وقد ذكروا في جملة أحداث السنة الثامنة: صنع المنبر لرسول الله «صلى

= ص٥٦ والمسترشد للطبري ص١٢٩ والبحار ج٢٨ ص١٦٩ مغني المحتاج ج٤ ص٣٧٢ وإعانة الطالبين ج٤ ص٢٤١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٧٠.

الله عليه وآله» بعد أن كان يقف حين يخطب عند جذع كان هناك. فلما ترك النبي «صلى الله عليه وآله» الجذع سمعوا له حنيناً..

وقد تقدمت هذه القضية بشيء من التفصيل في أحداث السنة السابعة للهجرة، فأغنانا ذلك عن الإعادة هنا.

موت النجاشي:

وذكروا في أحداث السنة التاسعة للهجرة في شهر رجب موت النجاشي ملك الحبشه، واسمه أصحمة. وأن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبر المسلمين بموته في نفس اليوم الذي مات فيه. وصفَّهم وصلى عليه، وكبّر عليه أربع تكبيرات، وقال: استغفروا لأخيكم[1].

ولكننا قد تحدثنا عن هذا الأمر في أحداث السنة السابعة. فراجع فصل: شخصيات.. وأحداث إلى عمرة القضاء.

وقلنا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كبر عليه خمساً.. وذكرنا تفاصيل أخرى تحسن مراجعتها.

بيع بعض المسلمين أسلحتهم:

قالوا: وفي السنة التاسعة باع بعض المسلمين أسلحتهم، وقالوا: انقطع الجهاد.

فقال «صلى الله عليه وآله»: لا ينقطع الجهاد حتى ينزل عيسى بن مريم[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٧١ و ٧٢ عن البخاري ومسلم.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٧٢.

ونقول:

إن في بيع هؤلاء أسلحتهم دلالة واضحة على قصر نظرهم وعدم التزامهم بتوجيهات قيادتهم، فهم قد باعوا أسلحتهم دون أن يراجعوا النبي «صلى الله عليه وآله» ليستجيزوه بذلك، أو ليعرفوا رأيه فيما يقدمون عليه..

ثم إن مما يؤكد ضيق أفق تفكيرهم: أنهم ظنوا أن أقصى ما يريده الله ورسوله هو: دخول الإسلام إلى مكة والحجاز، ولا شيء أكثر من ذلك، مع أن الله تعالى لم يزل يقول لنبيه الكريم: إنه مرسل للبشرية جمعاء، فقد قال تعالى: ﴿نَذِيراً لِّلْبَشَرِ﴾[1]، ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[2]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[3]، ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[4]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[5] وغير ذلك..

ودخول جزيرة العرب في الإسلام، وردُّ تحديات سكانها، وسقوط الشرك، واستسلام رموزه لا يعني شمول دعوة الإسلام للعالم كله، ولا يمنع من ظهور تحديات أعتى وأقوى من قبل قوى الإستكبار في دولتي الأكاسرة والقياصرة وسواهما، ممن يمكن أن يجد في نفسه القوة لمواجهة أهل الإيمان.

---

(١) الآية ٣٦ من سورة المدثر.

(٢) الآية ١ من سورة الفرقان.

(٣) الآية ٢٧ من سورة التكوير، والآية ٨٧ من سورة ص، والآية ١٠٤ من سورة يوسف.

(٤) الآية ٥٢ من سورة القلم.

(٥) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

كعب بن زهير في محضر رسول الله ﷺ:

وبعد انصراف النبي «صلى الله عليه وآله» من الطائف قدم كعب بن زهير على النبي «صلى الله عليه وآله» فأنشده قصيدته التي أولها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول

وأسلم بعد أن كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أهدر دمه[1].

وقد روى البيهقي، وأبو بكر محمد بن القاسم بن بشار، وأبو البركات عن عبد الرحمن بن محمد بن أبي الأسعد الأنباريان، قال: خرج كعب وبجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العراف (العراق)، فقال بجير لكعب: أثبت في عجل هذا المكان، حتى آتي هذا الرجل، يعني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأسمع ما يقول.

فثبت كعب، وخرج بجير، فجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسمع كلامه فآمن به.

وذلك: أن زهير بن أبي سلمى ـ فيما يزعمون ـ كان يجالس أهل الكتاب، فسمع منهم أنه قد آن مبعث نبي.

ورأى زهير في منامه: أنه قد مد سبباً من السماء، وأنه قد مد يده ليتناوله ففاته، فأوله بالنبي «صلى الله عليه وآله» يبعث، وأنه في آخر الزمان لا يدركه، وخبّر بنيه بذلك، وأوصاهم إن أدركوا النبي «صلى الله عليه وآله» أن يسلموا.

ولما اتصل خبر إسلام بجير لأخيه أغضبه ذلك، فقال:

---

(١) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٢٩٧ و ٢٩٨.

ألا أبـلـغـن عني بجـيراً رسـالـة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكـا

فـبـين لنـا إن كنـت لست بفاعـل ... عـلى أي شـيء غـير ذلـك دلكـا

على خلق لم تلق (تلف) أماً ولا أباً ... عـلـيـه ولم تـدرك عـلـيه أخاً لكـا

فإن أنـت لم تفـعـل فلست بآسف ... ولا قـائـل إمـا عـثـرت لعـاً لكـا

سقـاك بهـا المـأمـون كأسا روية ... فانهـلـك المـأمـون مـنـها وعلكا[1]

وفي الإستيعاب:

شـربـت بكـأس عنـد آل محـمـد ... وانـهـلـك المـأمـور فيها وعلكا[2]

وبعث بها إلى بجير، فلما أتت بجيراً كره أن يكتمها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأنشده إياها، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «سقاك بها المأمون! صدق، وإنه لكذوب، وأنا المأمون».

وأهدر دمه، وقال: من لقي كعباً فليقتله، فكتب بجير إلى أخيه يذكر أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أهدر دمه، وقال: من لقي كعباً فليقتله، وليقول له: النجاء، وما أراك تنفلت.

ثم كتب إليه بعد ذلك: اعلم أن رسول الله لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك منه، وأسقط ما كان قبل ذلك، فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم، وأقبل[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٧٠ والإصابة ج٣ ص٢٩٥.

(٢) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٢٩٨.

(٣) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٢٩٨ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٧٠ والإصابة ج٣ ص٢٩٥.

وذكر ابن إسحاق: أن بجيراً كتب إليه:

فمن مبلـغ كعباً فهل لك في التي — تـلـوم عـلـيـها باطلاً وهي أحـزم

إلى الله لا العزى ولا اللات وحـده — فـتـنـجو إذا كـان النجاء وتسـلـم

لدى يوم لا تـنـجو ولست بمفلت — من الناس إلا طـاهر القلب مسلم

فـديـن زهـير وهـو لا شـيء دينـه — وديـن أبـي سـلـمـى عـلـيّ محـرم

فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه. وأرجف به من كان في حاضره من عدوه، فقالوا: هو مقتول، فلما لم يجد من شيء بداً قال قصيدته التي مطلعها:

بانـت سعـاد فـقـلبي اليوم متبول — مـتـيـم إثـرهـا لم يـفـد مـكـبول[1]

قال العسقلاني: وأسلم كعب، وقدم حتى أناخ بباب المسجد، قال: فعرفت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالصفة، فتخطيت حتى جلست إليه فأسلمت، ثم قلت: الأمان يا رسول الله، أنا كعب بن زهير.

قال: أنت الذي تقول، والتفت إلى أبي بكر، فقال: كيف قال.

فذكر الأبيات الثلاثة، فلما قال: فانهلك المأمور، قلت: يا رسول الله، ما هكذا قلت، وإنما قلت: المأمون.

قال مأمون والله، وأنشده القصيدة[2]..

إلى أن يقول فيها:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٧١ وراجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٢٩٧ ـ ٢٩٩.

(٢) الإصابة ج٣ ص٢٩٥.

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

وفيها:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

فكساه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بردة له، فاشتراها معاوية من ولده، فهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد.

وقد مدح فيها المهاجرين، ولم يذكر الأنصار، وفيها:

في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا

فكلمته الأنصار، فصنع فيهم شعراً[1].

ونقول:

إن لنا هنا بعض الوقفات والإيضاحات، وهي كما يلي:

رواية لا تصح:

ذكرت بعض الروايات: أن كعب بن زهير قدم المدينة، فسأل عن أرقّ أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدل على أبي بكر، فأخبره خبره، فمشى أبو بكر، وكعب على أثره، وقد التثم، حتى صار بين يدي النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: رجل يبايعك.

فمد النبي «صلى الله عليه وآله» يده، فمد كعب يده، فبايعه وأسفر عن وجهه، فأنشده قصيدته..[2].

---

(١) راجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٢٩٧ و ٢٩٨ والإصابة ج٣ ص٢٩٦.

(٢) الإصابة ج٣ ص٢٩٥ و ٢٩٦.

وهي رواية نشك في صحتها، وذلك لما يلي:

أولاً: إن ما تقدم عن العسقلاني يبين: أن كعباً قد وصل مباشرة إلى رسول «صلى الله عليه وآله»، ولم يتوسط له أحد، لا أبو بكر، ولا غيره.

ثانياً: إن الوساطة التي تذكرها هذه الرواية لم يكن لها أثر، حيث إن الرجل جاء ملثماً، وقد مشى إلى النبي «صلى الله عليه وآله» حتى صار عنده فبايعه، ولم نجد أبا بكر قد شفع له، أو تكلم في أمره، أو هوّن من جرمه، أو دفع أحداً عنه، أو نحو ذلك.

ثالثاً: هل صحيح أن أبا بكر كان أرقّ أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فلماذا إذن أصرّ على حرب الذين لم يعترفوا بخلافته، وسفك دماءهم، وسبى نساءهم، بل أباح تلك النساء لقائد جيشه خالد بن الوليد، ليزني بهن في ليلة قتل أزواجهن، كما جرى لزوجة مالك بن نويرة، حيث زنى خالد بزوجته بعد قتله مباشرة، واعتبر أبو بكر فاعل ذلك سيف الله المسلول على أعدائه، ومنحه وسام الإجتهاد، لكي يثيبه على فعله هذا ثواباً واحداً على الأقل.

ولم تتحرك عاطفة أبي بكر، ولم تظهر رقته لرأس مالك بن نويرة، وهو يجعل أثفية للقِدْرِ التي كان خالد يهيّيء فيها وليمة زناه بزوجة ذلك المقتول صاحب الرأس في ليلة قتله.

رابعاً: هل كان أبو بكر أرق من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وهل يحتاج النبي «صلى الله عليه وآله» إلى من يرققه على الآخرين، في حين أنه هو الذي صرحت الآيات: بأن نفسه كانت تذهب حسرات على من يتخذ سبيل الشرك والإنحراف، حتى لقد خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿فَلَا

﴿تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفاً﴾[2].

إلا أن يقال: إن كعب بن زهير كان لا يعرف الكثير عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

خامساً: قد صرحت الروايات المتقدمة: بأن بجيراً قد ذهب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وأسلم، ثم كتب إلى أخيه كعب بن زهير يخبره بأن من عادة النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، إلا قبل ذلك منه، وأسقط ما كان قبل ذلك[3].

فلماذا يريد ترقيق رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! ولماذا يبحث عن أرقّ رجل في المدينة؟! فإنه كان يعلم أن المشكلة محلولة..

وإنما قدم كعب إلى المدينة على هذا الأساس.

سادساً: قد يقال: إن كعباً إنما خاف أن يقتله أحد من المسلمين تنفيذاً لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي أهدر دمه، فكان يحتاج إلى من يحميه من الناس إلى أن يصل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وجوابه: أن هذا غير وارد، فإن المفروض: أن كعباً قد دخل المدينة، وصار يسأل عن أرق الناس، حتى وصل إلى أبي بكر، ولم يقتله أحد.. فلماذا لا يصل إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بنفس الطريقة؟! وهل كان وصوله

---

(١) الآية ٨ من سورة فاطر.

(٢) الآية ٦ من سورة الكهف.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٧٠ والإصابة ج٣ ص٢٩٥ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٢٩٨.

إلى أبي بكر أيسر من وصوله إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

على أنهم يذكرون: أنه جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» متلثماً، ولم يعترضه أحد، فماذا لو أنه أتى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» متلثماً من أول الأمر، وقبل أن يوسط أحداً من الناس.

سابعاً: قال القسطلاني: إن كعب بن زهير «لما لم يجد من شيء بداً قال قصيدته التي يمدح بها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويذكر خوفه، وإرجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة، من جهينة. فغدا به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: هذا رسول الله، فقم إليه واستأمنه.

فقام حتى جلس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوضع يده في يده ـ وكان «صلى الله عليه وآله» لا يعرفه، فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه، إن انا جئتك به؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: نعم.

قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير».

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنه وثب عليه رجل من الأنصار وقال: يا رسول الله، دعني وعدو الله أضرب عنقه.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً نازعاً.

قال: فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم[1].

ثم ذكر شطراً من قصيدته حتى انتهى إلى قوله الذي يمدح فيه قريشاً

---

(١) المواهب اللدنية (بشرح الزرقاني) ج٤ ص٥٦ ـ ٥٨.

ويهجو الأنصار، وهو:

في عصبة من قريش قال قائلها ببطن مكة لما أسلموا زولوا
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرّد السود التنابيل

قال ابن إسحاق: قال عاصم بن عمرو بن قتادة: فلما قال كعب: «إذا عرد السود التنابيل»، وإنما عنى معشر الأنصار لما كان صاحبهم صنع به، وخص المهاجرين بمدحته، غضب عليه الأنصار، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار:

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالحي الأنصار
الباذلين نفوسهم لنبيهم يوم الهياج وفتية الأحبار
والضاربين الناس عن أحياضهم بالمشرق وبالقنا الخطار
والناظرين بأعين محمرة كالجمر غير كليلة الأبصار
يتطهرون كأنه نسك لهم بدماء من علقوا من الكفار
لو يعلم الأقوام علمي كله فيهم لصدقني الذين أماري[1]

فهذا النص يشير إلى أمرين:

أحدهما: أن كعب بن زهير قد أعد قصيدته قبل أن يقدم المدينة، ويدخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم تلاها عليه «صلى الله عليه وآله» في نفس هذا المجلس، فلا يصح زعم هذا النص أنه قد هجا الأنصار في هذه القصيدة بالذات، لأجل أن أحدهم لما رآه عند النبي «صلى الله عليه

(١) راجع: المواهب اللدنية (بشرح الزرقاني) ج٤ ص٦٢.

وآله» قال له: دعني وعدو الله أضرب عنقه.

الثاني: إنه يقول: إن كعباً قد نزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة، فأخذه الجهني إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فلا يصح قولهم: إنه نزل على أبي بكر، وإن أبا بكر هو الذي اصطحبه إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

لماذا أهدر النبي ﷺ دم كعب:

وعن سبب إهدار النبي «صلى الله عليه وآله» دم كعب بن زهير نقول:

لقد كان للشعر تأثيره العميق، وللشعراء دورهم الحساس في حياة الناس، وفي مشاعرهم وفكرهم، وبلورة مواقفهم. فالشاعر يستطيع أن يكون له دوره القوي، والفاعل ـ بل والحاسم أحياناً ـ في هداية الناس وضلالهم، وفي عزهم وذلهم، وإلحاق الخزي والعار بهم، لمجرد اختراع اخترعه، أو حديث وهمي ابتدعه، أو إفك صنعه، أو بهتان وضعه.

فالشاعر تاجر فاجر، يتاجر بأعراض الناس، ويبتزهم، ويعتدي على كراماتهم بالظلم والطغيان، وبالإفك والبهتان عليهم في وضح النهار، من دون أن يرمش له جفن، أو أن يتكدر له خاطر..

والشاعر يوقظ غرائز الناس ويثيرها، ويستخف عقولهم، ويتلاعب بأهوائهم، والشاعر معتد أثيم، وعتل زنيم. يقول ما لا يفعل، ويخوض مع الخائضين، ويهيم في ظلمات الجهل، ووهم الهوى مع الهائمين..

قال تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ

وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[1].

وكان كعب بن زهير قد شرع يحرك حربة شعره التضليلي، الذي يرتكز إلى الإفك والبهتان، وينضح بالإثم والعدوان ليسددها إلى قلب الهدى، وعنوان السداد والرشاد، ليختطف منه نوره الباهر، ووضوحه وبهاءه الظاهر، ليجعله أسيراً بأيدي الأهواء، حيث تتحكم به النفوس الطامحة وهي غارقة في حمأة شهواتها، ورهينة لدى الغرائز الجامحة في نزواتها.

وقد كان خُلُق رسول الله «صلى الله عليه وآله» آية من آيات الجمال والكمال، الذي شهد به القاصي والداني، واعترف به العدو والصديق.

ورغم كل الحقد الذي كان يعتلج في صدورهم، فإن ذلك الخلق الرضي كان يجتذبهم إلى هذا الدين، ويزيل غيظهم، ويذهب بحقدهم، لأنه كان يلامس وجدانهم، ويخاطب عقولهم، وينسجم مع فطرتهم.

وقد حاول كعب بن زهير: أن يستخف عقول الناس، ويستثير فيهم أهواءهم وغرائزهم، لكي يهيمن على مشاعرهم، ويقيم الحواجز والسدود التي تعزل ضمائرهم وفطرتهم، وتحجبها عن ملامسة ذلك الخلق الرضي، حتى لا يبقى للناس سبيل هداية، ولا بصيص نور رشاد، ولا سداد، من دون أن يقدم أي مبرر لفعله هذا، مهما كان تافهاً وسخيفاً، سوى أن خُلُق النبي «صلى الله عليه وآله» يخالف خُلُق الآباء ومن تابعهم، فقال:

على خلق لم تلق (تلف) أماً ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا

إن كعب بن زهير قد اقترف بفعله الرخيص هذا أعظم الجرائم،

---

(١) الآيات ٢٤ ـ ٢٦ من سورة الشعراء.

وأقبحها، من حيث إنه يريد أن يحرم الناس من الحياة ويسوقهم إلى البوار والهلاك، في الدنيا والآخرة، فلماذا لا يهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه؟! ويأمر كل من رآه بأن ينفذ حكم الله فيه؟! إلا أن يتوب وينيب إلى الله، ويتخلى عن هذا الظلم الظاهر، والعدوان السافر على الناس في أعز شيء لديهم.. فإن ﴿مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[1].

معاوية.. وبردة كعب:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: شراء معاوية من ولد كعب بن زهير تلك البردة التي كساها النبي «صلى الله عليه وآله» كعباً. وأن الخلفاء كانوا يلبسونها في الأعياد.

ولكن مما لا شك فيه: أن معاوية لم يكن من أهل الإعتقاد برسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الحد الذي يدعوه للتبرك بآثاره، والإهتمام بشرائها وتوريثها لمن بعده.. كيف!! وهو الذي أقسم على دفن اسم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإسقاطه من الأذان.. فقال حين سمع الأذان: لا والله، إلا دفناً دفناً[2].

---

(١) الآية ٣٢ من سورة المائدة.

(٢) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٣٨ والبحار ج٣٣ ص١٦٩ و ١٧٠ والغدير ج١٠ ص٢٨٣ و ٢٨٤ ووضوء النبي «صلى الله عليه وآله» ج١ ص٢٠٨ وعن مروج الذهب ج٣ ص٤٥٤ و (ط أخرى) ج٢ ص٣٤١ والموفقيات للزبير بن بكار ٥٧٦ ـ ٥٧٧ والنصائح الكافية ص١١٦ وشرح =

وقد كان معاوية من الطلقاء، ومن طلاب الدنيا، وقد تآمر على عثمان حتى قتل، وحارب وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ويكفيه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» دعا عليه؛ بأن لا يشبع الله له بطناً[1].

= النهج للمعتزلي ج٩ ص٢٣٨ و (ط دار إحياء الكتب العربية) ج٥ ص١٢٩ و ١٣٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٤٧ و ٤٨ وكشف الغمة ج٢ ص٤٥ و ٤٦ وكشف اليقين للعلامة الحلي ص٤٧٤ و ٤٧٥ وقاموس الرجال ج٩ ص٢٠ وبهج الصباغة ج٣ ص١٩٣.

(١) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٥٨ ومستدرك الوسائل ج١ ص٢٢ وشرح الأخبار ج٢ ص٤٧ و ١٦٦ و ٥٣٦ والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص١٤٠ والعمدة لابن البطريق ص٤٥٦ والطرائف لابن طاووس ص٥٠٤ وعين العبرة لأحمد ابن طاووس ص٥٩ والصراط المستقيم ج٣ ص٤٧ ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار لوالد البهائي ص٧٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٦٣٢ والبحار ج٢٢ ص٢٤٨ وج٣٣ ص١٩٠ و ١٩٤ و ١٩٥ و ٢٠٩ وج٤٤ ص٧٦ و ٧٧ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٤٦٥ و ٤٦٦ والغدير ج٢ ص١٤٤ وج١١ ص٧٩ و ٨٩ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٣٩ ومكاتيب الرسول ج١ ص١١٨ و ١٦١ و ٦٥٠ وصحيح مسلم ج٨ ص٢٧ وشرح مسلم للنووي ج١٦ ص١٥٢ وتحفة الأحوذي ج٤ ص١٢٨ ومسند أبي داود الطيالسي ص٣٥٩ وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص٢٣ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٧٦ وأبو هريرة لشرف الدين ص٩٨ و ٢٠٢ وشيخ المضيرة لأبي رية ص٢٠٨ ومعجم رجال الحديث ج١٩ ص٢١٥ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٣ ص٣٤ وتهذيب الكمال ج٢٢ ص٣٤٤ وميزان الإعتدال ج٣ ص٣٤٠ وسير =

وقد لعنه ولعن أباه وأخاه، فقال: لعن الله الراكب، والقائد، والسائق[1].

فشراء معاوية للبردة إنما هو لأجل أن يتخذ منها شركاً يصطاد به قلوب الناس، ويعمِّي عليهم الأمور، وليوحي لهم: بأنه يقدِّس الرسول، ويحفظ آثاره، ويتبرك بها.

كعب وقريش.. لا الأنصار:

وقد تقدم: أن كعب بن زهير مدح قريشاً في قصيدة بانت سعاد، ولم يذكر الأنصار، فلم يرق ذلك للأنصار، فكلموه في ذلك، فقال فيهم شعراً..

وما نريد أن نشير إليه هنا هو: أن ذكر كعب لقريش في قصيدته، وهو يعلم: أن قريشاً لم تزل تحارب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى فتح مكة، يشير إلى هيمنة قريش على عقول الناس في المنطقة، وإلى أن أحداً منهم لا يجرؤ على تخطيها.

= أعلام النبلاء ج٣ ص١٢٣ وفتوح البلدان ج٣ ص٥٨٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٨ ص١٨٦ والبداية والنهاية ج٦ ص١٨٩ وج٨ ص١٢٨ ووقعة صفين للمنقري ص٢٢٠ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج٢ ص١٩٧ والمناقب للخوارزمي ص١١ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ص٢١٨ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٢١٥ والنصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص١٢٣ و ٢٠٢ و ٢٦١.

(١) تذكرة الخواص ص٢٠١ والغدير ج١٠ ص١٦٩ عنه، والبحار ج٣٠ ص٢٩٦ وج٣٣ ص٢٠٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٠٣ و ٣٧٤ وعن ربيع الأبرار للزمخشري ج٤ ص٤٠٠ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٦٥ و ٤٦٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٧٥.

ولعله إنما ذكر قريشاً في قصيدته لكي يأمن جانبها، ويسلم من غوائل غضبها عليه، حين يمدح عدوها.. كما أن إهمال الأنصار ربما يكون لإرضاء قريش أيضاً، لكي لا يثير حفيظتها ضده..

وهذا يشير أيضاً: إلى أن ما حققه المسلمون بقيادة رسول الله «صلى الله عليه وآله» من انتصارات هائلة على اليهود والمشركين وقريش، لم يستطع أن يزيل كل آثار ذلك الإنبهار والضعف أمام الهيمنة القرشية.. ولعل هذه الآثار قد بقيت إلى ما بعد عشرات السنين من ذلك التاريخ.

مثلهم في ذلك كمثل الذي يكون عبداً لرجل، ثم يعتقه، فإن شعوره بالضعف أمام الذي كان سيده لا يزول بسهولة، بل يبقى عبر السنين والأحقاب، بعد حصوله على حريته.

وقد لاحظ الإسلام هذه الخصوصية وراعاها في أحكامه التي شرعها لهذه الحالات كما يعلم بالمراجعة..

عمر.. والصلاة على ابن أُبي:

وفي السنة التاسعة، في شهر ذي القعدة، وبعد أن رجع النبي «صلى الله عليه وآله» من تبوك مات عبد الله بن أُبي، بعد أن مرض عشرين يوماً[1].

وقيل: قتل في السنة الخامسة من الهجرة[2].

فعن عمر بن الخطاب، وابن عباس: أنه لما مات عبد الله بن أُبي بن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٧٣ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٩٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٥٢.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص١٤٠.

سلول سأل ابنه عبد الله النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه.

فلما قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» وثب عمر، فأخذ ثوبه «صلى الله عليه وآله»، وقال: أعلى عدو الله عبد الله بن أُبي القائل كذا وكذا والقائل كذا وكذا الخ..؟!

(**أو قال:** يا رسول الله، أتصلي على ابن أُبي، وقد قال يوم كذا وكذا وكذا؟! ثم عدد عليه قوله).

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أخر عني يا عمر!

فلما أكثرت عليه قال: إني خُيِّرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها[1].

---

(١)راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٤٠ وصحيح البخاري باب ما يكره من الصلاة على المنافقين من كتاب الجنائز ج٢ ص١٠٠ وج٥ ص٢٠٦، ومسند أحمد ج١ ص١٦ وكنز العمال ج١ ص٢٤٧ ح (٤٤٠٣) و (ط مؤسسة الرسالة) ج٢ ص٤١٨ و ٤١٩ ح (٤٣٩٢) عمن تقدم، وعن ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه وغيرهم. وراجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص١٩٩ والدر المنثور ج٣ ص٢٦٤ عن أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، والنحاس، وابن حبان، وابن مردويه، وأبي نعيم في الحلية، وابن المنذر، وأبي الشيخ، والبيهقي في الدلائل وراجع: الميزان للطباطبائي ج٩ ص٣٥٣ وفتح القدير للشوكاني ج٢ ص٥٤٢ و ٥٤٥ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٣٧٩ والمحلى لابن حزم ج١١ ص٢٠٩ وعين العبرة في غبن العترة للسيد أحمد آل طاووس ص٢٠ والبحار ج٣٠ ص٥٧٢ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٣٤٠ و ٣٨٥ والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين =

وفي نص آخر: ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه، فعجبت لي وجرأتي على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والله ورسوله أعلم، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1].

وفي نص آخر للبخاري: «فلما أراد أن يصلي جذبه عمر، فقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟

فقال: أنا بين خيرتين»[2].

= ص١٨٨ وسنن الترمذي ج٤ ص٣٤٣ وسنن النسائي ج٤ ص٦٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٩٩ وفتح الباري ج٨ ص٢٥٣ وعمدة القاري للعيني ج٨ ص١٩٢ وج١٨ ص٢٧٣ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٣٦ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٦٣٨ وج٦ ص٣٥٧ وكنز العمال ج١ ص١٧٠ وج٢ ص٦ و ٤١٩ وجامع البيان للطبري ج١٠ ص٢٦١ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص١٧٣ وتفسير البغوي ج٢ ص٣١٧ وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٥٥٦ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ج٣ ص٦٧ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٣٩٣ وتفسير الآلوسي ج١٠ ص١٥٤ وتاريخ المدينة لابن شبة النميري ج٣ ص٨٦٤ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٢ ص٩٠ و ٢٣٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٤.

(١) الآية ٨٤ من سورة التوبة.

(٢) راجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٢ ص٧٦ وراجع: سنن النسائي ج٤ ص٣٧ ومسند أحمد ج٢ ص١٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٩٩ وعمدة القاري ج٨ ص٥٣ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٦٢١ وج٦ ص٣٥٧ وصحيح ابن حبان ج٧ ص٤٤٧ والإستيعاب ج٣ ص٩٤١ وتفسير ابن ابي =

وفي نص آخر: فقال «صلى الله عليه وآله»: وأين؟

فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ..﴾[1].

فقال: فإني سأزيد على سبعين.

فأنزل الله: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ..﴾ الآية.. فأرسل إلى عمر فأخبره[2].

وفي نص آخر: لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليصلي عليه، فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي على المنافقين.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنما خيرني الله تعالى، وقال:

= حاتم ج٦ ص١٨٥٧ وسبب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص١٧٣ وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٥٥٧ وزاد المسير ج٣ ص٣٢٦ وأسد الغابة ج٣ ص١٩٨ والوافي بالوفيات ج١٧ ص١٠.

(١) الآية ٨٠ من سورة التوبة.

(٢) راجع: صحيح البخاري باب الكفن في القميص (أبواب الجنائز) وراجع كتاب اللباس. وراجع: الكامل لابن الأثير (ط دار الكتاب العربي) ج٢ ص١٩٩ والدر المنثور ج٣ ص٢٦٦ عن الطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، والبخاري، ومسلم، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٤٠ وراجع: الميزان (تفسير) ج٩ ص٣٧٧.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً..﴾ وسأزيد على السبعين.

قال: إنه منافق.

فصلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ..﴾ فترك الصلاة عليهم[1].

وفي نص آخر عن عمر: «فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره»[2].

وفي بعض الروايات: أن ابن أُبي هو الذي طلب من النبي «صلى الله

---

(١) راجع: صحيح البخاري باب: استغفر لهم أو لا تستغفر، ودلائل الصدق ج٣ ق٢ ص٦٥ عن الجمع بين الصحيحين، والدر المنثور ج٣ ص٢٦٦ عن البخاري، ومسلم، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل وراجع: إعانة الطالبين ج٢ ص١٥٣ والبحار ج٣٠ ص٣٤٢ وفتح القدير ج٢ ص٣٩٠ والأحكام لابن حزم ج٣ ص٢٧٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٦٠ وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص٤٢ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٢٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٥ ونهج الحق وكشف الصدق ص٣٣٨ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٨٤.

(٢) مسند أحمد ج١ ص١٦ والمحلى لابن حزم ج١١ ص٢٠٩ وسنن الترمذي ج٤ ص٣٤٢ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٣٥ وكنز العمال ج٢ ض٤١٨ وجامع البيان للطبري ج١٠ ص٢٦١ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص١٧٣ وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٥٥٦ و تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٩٣ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٣ ص٨٦٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٧٩.

عليه وآله» قميصه ليكفن فيه، وأنه «صلى الله عليه وآله» نفث في جلده، ودلاه (ونزل) في قبره[1].

وربما يكون قد طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك في حياته، ثم أكد ولده هذا الطلب بعد وفاته، وكذلك الحال بالنسبة لما قيل: من أن ابن أُبي: أوصى أو طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكفنه وأن يصلي عليه[2].

ونقول:

أولاً: إن سياق رواياتهم المزعومة تلك يعطي: أن القرآن قد نزل بموافقة عمر، وتخطئة رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولا شك في أن هذا من ترهاتهم وأباطيلهم الجريئة، التي تهدف إلى الحط من مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أجل رفع شأن عمر بن الخطاب، فما أشبههم بذلك الذي يحرق البلاد والعباد من أجل أن يشعل سيجارة.

ثانياً: لقد تحدثت الروايات أن عمر يواجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأمر ليس له واقع، وهو: أن الله تعالى قد نهاه عن الصلاة على المنافقين..

---

(١) راجع: الدر المنثور ج٣ ص٢٦٦ عن أبي الشيخ، وابن ماجة، والبزار، وابن جرير، وابن مردويه، والطبراني، والبيهقي في الدلائل، وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٤٠ وتفسير الميزان ج٩ ص٣٦٥ وعمدة القاري ج٨ ص٥٦ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٩٣ وجامع البيان ج١٠ ص٢٦٢.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٤٠ والدر المنثور ج٣ ص٢٦٦ عن أبي الشيخ، وابن ماجة، والبزار، وابن جرير، وابن مردويه، والطبراني، والبيهقي في الدلائل. وراجع: تفسير السمرقندي ج٢ ص٧٩.

وقد رد النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك: بأن الله تعالى لم ينهه، وإنما خيّر بين أمرين..

بل تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» سأل عمر، فقال: أين؟

فلما قرأ آية الإستغفار لهم بيَّن له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن الآية لا تدل على ذلك.

ونحن لا يمكن أن نقبل بأن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخطأ في فهم الخطاب الإلهي، ففسره بغير معناه..

والصحيح هو: أن الذي أخطأ في فهم الخطاب الإلهي، هو عمر بن الخطاب نفسه.. وأخطأ خطأً آخر يمس جوهر العقيدة، حين نسب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخطأ في فهم وحي الله تبارك وتعالى، أو حين واجهه باتهامه بأنه يخالف أمر الله تعالى له بعدم الصلاة على المنافقين.

ثالثاً: إن الأخطر من ذلك كله.. أنه لم يقبل من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل أصر على منعه، وأخذ بثوبه، وقام في صدره يصده عما يريد فعله.

بل إن النبي «صلى الله عليه وآله» أمره بأن يؤخر عنه، فلم يفعل، بل أصرَّ وأصَّر حتى أكثر عليه، حتى أخبره بأن الله تعالى قد خيره..

فلماذا لا يمتثل أمر النبي «صلى الله عليه وآله»، ويصرّ على فرض رأيه عليه؟!

أم أنه يرى أن الله تعالى قد أخطأ حين خيَّر نبيه، وأن عليه سبحانه وتعالى أن يبدل أمره هذا ليوافق رأي عمر؟!

ولماذا يقدم بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والله تعالى يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهَ وَرَسُولِهِ﴾[١].

فهل كان يرى نفسه أعلم من النبي «صلى الله عليه وآله»، أو أن رأيه أصوب من رأيه؟!

أم أنه يرى أن النبي «صلى الله عليه وآله» يفعل المنكر، ويريد أن ينهاه عنه؟!

رابعاً: إن قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً..﴾ لا يقصد به النهي عن الإستغفار، بل المقصود هو: بيان أن هذا الإستغفار لا ينفع المنافقين، ولا يوجب المغفرة لهم من الله في الآخرة.

ولكن ذلك لا يعني أن لا تكون له فوائد ومنافع أخرى، كما سنشير إليه عن قريب.

خامساً: إن النهي عن الصلاة على المنافقين إنما نزل بعد قصة الصلاة على ابن أُبي بالإجماع[٢].

فكيف يتهم النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه منهي عن الصلاة عليهم.

سادساً: فإنهم يقولون: إنه قد كانت لابن أُبي يد عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»[٣]. وأحب أن يكافئه عليها.

وقد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يطلب من الله أن لا يكون

---

(١) الآية ٢ من سورة الحجرات.

(٢) النص والإجتهاد ص١٨٨.

(٣) صحيح البخاري (ط دار المعرفة) ج٤ ص١٩ وعمدة القاري ج٨ ص١٦٥ وج١٤ ص٢٥٧ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٣٩٧ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٩٤ وتفسير البغوي ج٢ ص٣١٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٤٠ عن ابن عيينة.

لكافر ولا لمشرك عليه يد يستحق عليها الشكر والمكافأة، فلو كان منافقاً لكان مشركاً، فكيف تكون له يد عند رسول الله «صلى الله عليه وآله».

عمر يندم على ما صدر منه:

وقد روي عن الشعبي: أن عمر كان بعد ذلك يقول: أصبت في الإسلام هفوة ما أصبت مثلها قط. أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يصلي على عبد الله بن أُبي، فأخذت بثوبه، فقلت له: والله، ما أمرك الله بهذا، لقد قال الله لك: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً..﴾.

قال: «فقال رسول الله: خيرني ربي، فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً..﴾..»[1].

واللافت هنا: أن الأمر لا يقتصر على ابن أُبي إذ إن الروايات تتحدث عن اعتراضات أخرى على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في صلاته على آخرين من الصحابة أيضاً، فراجع..[2].

لماذا يصلي النبي ﷺ على ابن أبي؟!:

وقد ذكرنا فيما سبق: أنه يبدو أن ثمة تضخيماً لشأن ابن أُبي في موضوع

---

(١) النص والإجتهاد ص١٨٩ عن كنز العمال برقم (٤٤٠٤) عن ابن أبي حاتم، ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد)، وراجع: الدر المنثور ج٣ ص٢٦٤ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٢ ص٤١٩ وتفسير الميزان ج٩ ص٣٥٥ و ٣٦٥ وتفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٨٥٣.

(٢) راجع: الإصابة ج٤ ص١٣٤ و ١٨٥.

النفاق، حتى لقد اعتبروه رأس المنافقين في المدينة، لكي يهونوا بذلك من شأن نفاق غيره.

والذي يظهر لنا من هذه الواقعة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يريد بصلاته هذه تحقيق عدة أمور، نذكر منها:

١ ـ أن يكرم عبد الله بن عبد الله بن أُبي «رحمه الله»، ويدفع عنه أذى بعض الناس، الذين كان يروق لهم إذلال أهل الإيمان، بذكر آبائهم بما يراه الناس من أسباب التنقص للأبناء.

٢ ـ روي: «أنهم ذكروا القميص، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: وما يغني عنه قميصي وصلاتي؟ والله، إني لأرجو أن يسلم به أكثر من ألف من الخزرج الخ..»[1].

وهذا النص يشير إلى: أن الخزرج لم يكونوا كلهم قد دخلوا في الإسلام إلى ذلك الوقت.

٣ ـ إن المروي بسند صحيح عن الحلبي، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دعا عليه، ولم يدع له[2].

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٦٦ عن أبي الشيخ، وراجع: فتح الباري ج٨ ص٢٥٤ وعمدة القاري ج١٨ ص٢٧٣ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٣٩٨ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج٢ ص٩٣ وجامع البيان ج١٠ ص٢٦٢ وتفسير الثعلبي ج٥ ص٧٩ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص١٧٤ وتفسير البغوي ج٢ ص٣١٧ وتفسير الآلوسي ج١٠ ص١٥٤ وزاد المسير ج٣ ص٣٢٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٤٠ و ١٤١.

(٢) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج٢ ص٧٧٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج٣ ص٧١ =

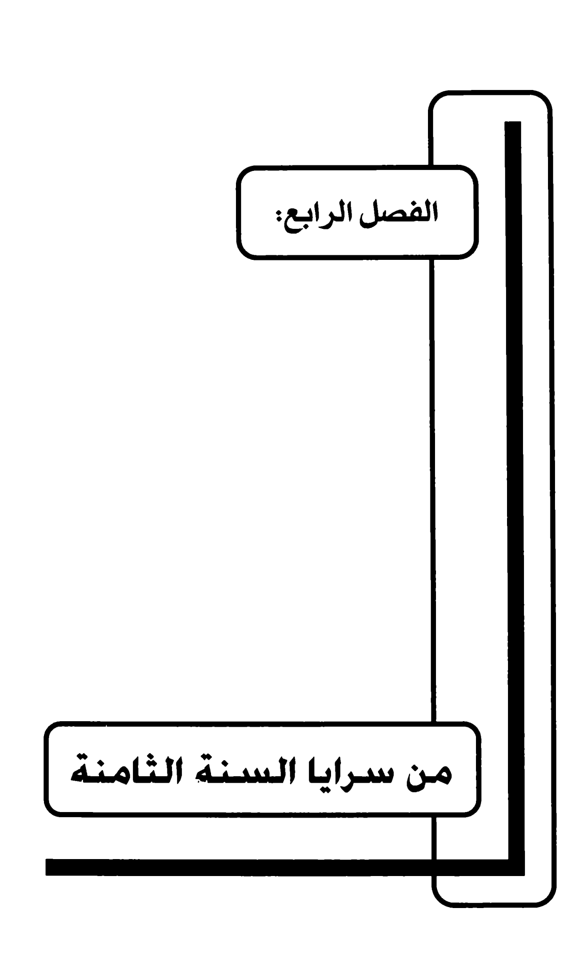
ولعلك تقول: إن الدعاء عليه لا ينسجم مع ما ذكر آنفاً من أن الغرض هو تكريم ابنه عبد الله بن عبد الله بن أُبي..

ولا مع منع أَلْسِنَةِ السوء من أن تؤذي ابنه.

ولا مع ترغيب الخزرج بالإسلام، حتى إنه «صلى الله عليه وآله» ليرجو أن يسلم بسبب إلباسه قميصه أكثر من ألف منهم!!

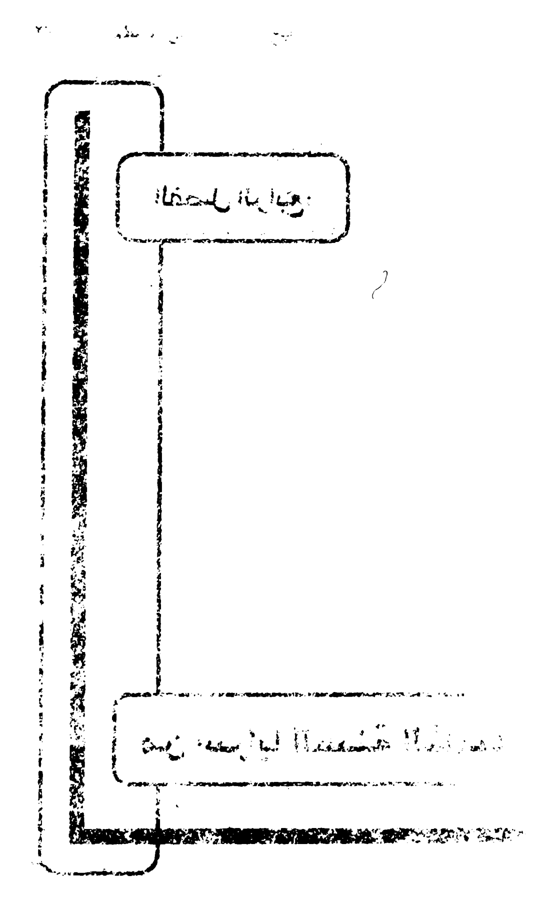
والجواب: إن الدعاء لا يجب أن يكون بصورة معلنة وظاهرة، بحيث يسمعه سائر الناس، فلعله أخفت في صلاته، أو في دعائه عليه فقط.

= والبحار ج٢٢ ص١٢٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٣٢٥ وجواهر الكلام ج١٣ ص٥٠ والمعتبر ج٢ ص٣٥١ والكافي ج٣ ص١٨٨ وتهذيب الأحكام ج٣ ص١٩٦ ومنتقى الجمان ج١ ص٢٧٦.



الفصل الرابع:

من سرايا السنة الثامنة



بداية ضرورية جداً:

قد نبهنا أكثر من مرة، ونعود على تأكيد التنبيه على أن السرايا التي كان يرسلها رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مختلف الإتجاهات لم تكن سرايا غازية، تهدف إلى قتل الناس وقهرهم، وتقويض أمنهم، أو سلب حريتهم، وسبي ذراريهم ونسائهم، والإستئثار بأموالهم والإستيلاء على ديارهم..

لأنه «صلى الله عليه وآله» كان قبل كل شيء نبياً رسولاً، ومن أهم واجبات الأنبياء والرسل، هو: إبلاغ الناس بأمر نبوتهم، وإيقافهم على حقيقة دعوتهم، وإقامة الحجة عليهم، فإذا حالت فئة ظالمة بينهم وبين هذا الأمر، فلا بد من ردعها عن ظلمها وبغيها هذا، فإذا لجأت إلى العنف والقتال، ولم يكن بد من التصدي ورد التحدي، فلا بد من إسقاط مقاومتها، إذا توفرت القدرة على ذلك.

وهذا بالذات هو ما كان يجري مع سرايا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد كانت في أكثرها سرايا دعوة، لا سرايا حرب وقتال، وكان باقيها عمليات وقائية، تهدف إلى صد عدوان قد أعد الآخرون له العدة، وجمعوا الجموع للقيام به..

وهذا حق مشروع؛ إذ لا مجال للإنتظار والتراخي حتى يورد العدو ضربته، ويرتكب جريمته، ويحقق أهدافه، فإن هذا سوء في الرأي، وعجز

في التدبير، وفشل في السياسة، وتفريط في الأمانة، يصل إلى حد الخيانة..

وقد صرحت النصوص في الموارد المختلفة: بأن السرية الفلانية كانت سرية بلاغ ودعوة، وسنجد في هذا الفصل بعضاً من هذه التصريحات أيضاً.. فإلى ما يلي من أحداث ومطالب.

سرية الطفيل إلى ذي الكفين:

قال ابن سعد: قالوا: لما أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسير إلى الطائف، بعث الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين، صنم من خشب، كان لعمرو بن حُمَمَة الدَّوْسي، ليهدمه.

وأمره أن يستمد قومه، ويوافيه بالطائف.

فخرج سريعاً إلى قرية، فهدم ذا الكفين، وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه، ويقول:

يـا ذا الـكَـفَـين لست من عبَّادكـا ... مـيـلادنـا أقـدم مـن مـيـلادكـا

إنــي حـشـوت الـنـار في فـؤادكـا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعاً، فوافوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالطائف، بعد مقدمه بأربعة أيام، وقدم بدبابة ومنجنيق.

وقال: «يا معشر الأزد من يحمل رايتكم»؟

فقال الطفيل: من كان يحملها في الجاهلية، النعمان بن الرازية اللهبي.

قال: «أصبتم»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٠٠ وتاريخ الخميس =

وقد كان ذلك في شوال سنة ثمان[1].

ونقول:

١ ـ قد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل في حنين علياً «عليه السلام» لهدم الأصنام، فهدمها، ثم وافاه في الطائف.. فلماذا لم يهدم ذا الكفين؟

وهذا يجعلنا نشك كثيراً في صحة هذه المزاعم.

٢ ـ قولهم: إنه قدم معه أربع مائة رجل سراعاً. لو فرضنا أنه صحيح، فهو لا يعني أنهم قد أسلموا، فقد قال مغلطاي: «وقدم معه أربعة مسلمون»[2].

بل كلام مغلطاي هذا يدل على: أن جميع من قدم معه هو أربعة نفر فقط، لا أربع مائة..

٣ ـ وبعد أن أورد النبي «صلى الله عليه وآله» ضربته بغطفان، على يد علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وانقسمت فلولهم إلى ثلاثة أقسام، فإنه

= ج٢ ص١٠٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١١٢ ومعجم البلدان ج٤ ص٤٧١ و ٤٧٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٥٧ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص١٧ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٢٢٩ والبداية والنهاية ج٣ ص١٢٤ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٢١ والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٢٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٧٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٥٧ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٢٢٩.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص١٠٩ عن المواهب اللدنية.

«صلى الله عليه وآله» لم يكن بحاجة إلى المدد، خصوصاً من قوم مشركين؟!
ما دام أن المشركين أصبحوا في حالة ضعف وانكسار، ولم يتكبد المسلمون في تلك الحرب خسائر يحتاجون معها إلى طلب المدد من غيرهم..

٤ ـ قد أظهرت حرب حنين:

أن الجيش الذي كان يزيد على عشرة الآف مقاتل لم يغن شيئاً، بل انهزم كله عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وأن هزيمة المشركين إنما كانت على يد رجل واحد، وهو علي بن أبي طالب «عليه السلام» وحده.. فلماذا يصر رسول الله «صلى الله عليه وآله» على طلب المدد من الدوسيين المشركين؟!

سرية ذات أطلاح:

وذكروا في جملة أحداث سنة ثمان: سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح من الشام، فأصيب هو وأصحابه[1].

وبما أننا قد تحدثنا عن هذه السرية في الجزء الثامن عشر من هذا الكتاب، فإننا نحيل القارئ على ذلك الجزء، إن أحب الإطلاع على تفاصيل ما جرى..

بعث قيس بن سعد إلى صداء:

قال ابن إسحاق: لما رجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الجعرانة

---

(١) البحار ج٢١ ص١٨٤ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٦ ومكاتيب الرسول ج١ ص٤٠ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٧٢ و ٢٧٣ وراجع: معجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج٣ ص٨٩٣.

سنة ثمان بعث قيس بن سعد بن عبادة إلى ناحية اليمن، وأمره أن يطأ صداء، فعسكر بناحية قناة في أربع مائة من المسلمين.

فقدم رجل من صداء، فسأل عن ذلك البعث، فأخبر به، فجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «يا رسول الله، جئتك وافداً على من ورائي فاردد الجيش، فأنا لك بقومي».

فردهم من قناة.

وخرج الصدائي إلى قومه، فقدم منهم بعد ذلك خمسة عشر [رجلاً] فأسلموا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنك مطاع في قومك يا أخا صداء».

فقال: بل الله هداهم. ثم وافاه في حجة الوداع بمائة منهم.

وهذا الرجل هو الذي أمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سفر أن يؤذن، ثم جاء بلال ليقيم، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن أخا صداء هذا أذَّن، ومن أذَّن فهو يقيم»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١١ عن ابن إسحاق، وقال في هامشه: أخرجه أبو داود (٥١٤) والترمذي (١٩٩) وابن ماجة (٧١٧) وابن سعد في الطبقات ج١ ق٢ ص٦٣ والطحاوي في معاني الآثار ج١ ص١٤٢ والبيهقي في الدلائل ج٤ ص١٢٧ وراجع: الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٢ ص٥٣١ وأسد الغابة ج٢ ص٢١٣ والوافي بالوفيات ج١٥ ص٦ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٦٣ والبداية والنهاية ج٥ ص٩٨.

واسم أخي صداء هذا: زياد بن الحارث[1].

وفي سياق آخر ذكروا: أنه بعد أن ضمن زياد بن الحارث للنبي «صلى الله عليه وآله» إسلام قومه كتب إليهم كتاباً، فقدم وفدهم بإسلامهم[2].

وذكروا أيضاً عن زياد هذا: أنه قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «وقلت: ألا تؤمرني عليهم؟

فقال: بلى.

فكتب إلي كتاباً يؤمرني.

قلت: مر لي بشيء من صدقاتهم، فكتب.

وكان في سفر له، فنزل منزلاً، فأتاه أهل ذلك المنزل يشكون عاملهم، فقال: لا خير في الأمارة لرجل مؤمن.

ثم أتاه آخر، فقال: اعطني.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١١ وتحفة الأحوذي ج١ ص٥٠٨ وفيض القدير ج٢ ص٥٣٠ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٧ ص٥٠٣ والمعجم الكبير ج٥ ص٢٦٣ وناسخ الحديث ومنسوخه ص٢٦٣ والمجموع للنووي ج٣ ص١٢١ ومكاتيب الرسول ج١ ص٢١٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٩ والخرائج والجرائح ج٢ ص٥١٣ والبحار ج١٨ ص٣٤ ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٢٦ وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص١٨٧ ودلائل النبوة للأصبهاني ج١ ص٢٨٢ وكنز العمال ج١٣ ص٣٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٤ ص٣٤٥ وتهذيب الكمال ج٩ ص٤٤٦ وفتوح مصر وأخبارها للقرشي المصري ص٥٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٦١ والبداية والنهاية ج٥ ص٩٧ وإمتاع الأسماع ج١٠ ص١٣٦.

فقال: من سأل الناس عن ظهر غنى، فصداع في الرأس، وداء في البطن.

فدخل في نفسي من ذلك شيء، فأتيته بالكتابين[1].

وهناك روايات أخرى ذكرت: أن (حبان بن بَحّ) الصدائي قال: إن قومي كفروا، فأخبرت أن النبي «صلى الله عليه وآله» جهز إليهم جيشاً، فأتيته، فقلت: إن قومي على الإسلام.

فقال: أكذلك؟

قلت: نعم.

قال فاتبعته ليلة إلى الصباح، فأذنت بالصلاة لما أصبحت، وأمَّرني عليهم، وأعطاني صدقتهم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: لا خير في الأمرة.. قال: إن الصدقة

---

(١) راجع مكاتيب الرسول ج١ ص٢٢٦ وأشار في هامشه إلى المصادر التالية: البحار ج١٨ ص٣٤ و ٣٥ عن الخرائج، والإستيعاب ج١ ص٥٦٧ وأوعز إليه في الإصابة ج١ ص٥٥٧/ ٢٨٥٠ وراجع: أسد الغابة ج٢ ص٢١٣ قال: وأخرجه الثلاثة، والمطالب العالية ج٤ ص١١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٦٧ و ٢٦٨ وكنز العمال ج٧ ص٣٨ و (في ط أخرى) ج١٦ ص١٢ و ١٣ والبداية والنهاية ج٥ ص٨٣ ومجمع الزوائد ج٥ ص٢٠٣ و ٢٠٤ وحياة الصحابة ج١ ص١٨٧ و ١٨٨ عن بعض من تقدم وعن البيهقي، وأحمد، والطبراني، والبداية، والبغوي، وابن عساكر، ومسند أحمد ج٤ ص١٦٩ ومجموعة الوثائق السياسية: ٢٧٧ و (في ط أخرى): ٣٢٦/ ٢٤٢ عن أبي عمر، وابن الأثير، وراجع: رسالات نبوية ص١٩ ومعجم القبائل ج٢ ص٦٣٦ والمعجم الكبير للطبراني ج٥ ص٣٠٣.

وراجع: الخرائج والجرائح للراوندي ج٢ ص٥١٤.

صداع في الرأس، وحريق في البطن، أو داء.

فأعطيته صحيفتي، أو صحيفة إمرتي وصدقتي»[١].

ونقول:

١ ـ إن الإختلافات بين هذه النصوص ظاهرة بأدنى تأمل، فلا حاجة إلى الإفاضة فيها..

٢ ـ قد يقال: إنه لا مجال لقبول ما ذكر آنفاً: من أن زياداً طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يؤمره على قومه، فأمره عليهم..

لأن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي يقول جواباً على طلب مشابه لرجلين من الأشعريين: إنَّا لا (لن) نستعمل على عملنا من أراده[٢]، فكيف

---

(١) راجع مكاتيب الرسول ج١ ص٢٢٧ وأشار في هامشه إلى المصادر التالية: مسند أحمد ج٤ ص١٦٨ و ١٦٩ والإصابة ج١ ص٣٠٣ / ١٥٥٥ عن البغوي، وابن أبي شيبة، والبارودي، والطبراني، وفي الإستيعاب (بهامش الاصابة) ج١ ص٣٦٤: «حيان بن مج الصدائي» ثم أوعز إلى القصة، وأسد الغابة ج١ ص٣٦٥ والمطالب العالية ج٤ ص٦ ومجموعة الوثائق السياسية: ٣٢٦ ومجمع الزوائد ج٥ ص١٩٩.

وراجع: والمعجم الكبير ج٤ ص٣٦ وكنز العمال ج١٢ ص٣٧٢ وأسد الغابة ج٢ ص٦٨ وفتوح مصر وأخبارها للقرشي المصري ص٥٣٢.

(٢) مواهب الجليل ج٨ ص٨٥ و ميزان الحكمة ج٤ ص٣٦٩٢ و مسند أحمد ج٤ ص٤٠٩ وصحيح البخاري ج٣ ص٤٨ وج٨ ص٥٠ و صحيح مسلم ج٦ ص٦ وفتح الباري ج٤ ص٣٦٣ وج٨ ص٤٩ وج١٢ص٢٤٢وج١٣ ص١٢٠وعون المعبود ج٨ ص١٠٦ وعن السنن الكبرى للنسائي ج١ ص١٣ و ٦٥ ومسند أبي يعلى ج١٣ ص٢١٤ والمعجم الأوسط ج١ ص٢١٦ والمعجم =

يولي زياداً هذا العمل بعد ان طلبه منه زياد؟!

إلا أن يقال: إن المقصود هو: أنه «صلى الله عليه وآله» لا يولي عمله ذلك الشخص الذي يريد أن يتخذ من منصبه ذريعة للحصول على المنافع والإمتيازات.. وأما من يطلب العمل، لأنه يرى في نفسه القدرة على حل مشكلة، أو إنجاز مهمة لا يعود نفعها إليه كشخص، فلا يقصده النبي «صلى الله عليه وآله» بكلمته تلك..

ولعل مما يشير إلى هذا المعنى: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال: «من يطلبه»، أي أنه يسعى جاهداً للحصول عليه ويظهر الحرص، ويجعل كل همه للوصول إليه..

وليس المقصود: من طلبه سؤاله ولو مرة واحدة، لعارض عرض اقتضى أن يتبرع بإنجاز مهمة، وتحمل مسؤولية، رأى أنه قادر على تحملها..

٣ ـ وأما طلب زياد من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكتب له بشيء من صدقاتهم، فقد جاء مبهماً، ولم يبين إن كان المطلوب هو أن يحدد له نسبة من تلك الصدقات، مثل الربع أو النصف، أو نحو ذلك، أو أنه طلب شيئاً منها لا يزيد على نفقته، أو أجرة عمله!!

فإن كان المطلوب هو الأول ـ كما قد يستظهر من سياق الكلام ـ فإن استجابة النبي «صلى الله عليه وآله» لطلبه تصبح في منتهى الغرابة، بل

= الكبير ج٢٠ ص٤٢ ومسند الشهاب ج٢ ص١٧٧ والجامع الصغير ج١ ص٣٨٦ وكنز العمال ج٦ ص٤٧ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٩ ص٢١٦ والأحكام لابن حزم ج٦ ص٧٦٤ والضعفاء للعقيلي ج٣ ص١٩٠ ولسان الميزان ج٤ ص٣٢٤.

طلبه هذا لابد أن يدعو النبي «صلى الله عليه وآله» إلى إعفائه من المهمة التي رشح نفسه لها..

وإن كان المطلوب هو الثاني، فهو مقبول، ومعقول.. في بادئ الأمر، غير أننا نقول:

إن المتوقع أن يبادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى هذا الأمر، من دون حاجة إلى أن يطلب زياد ذلك منه.

ولعل ما ذكر في آخر الرواية: من أنه حين سمع من النبي «صلى الله عليه وآله» ما سمع جاءه بالكتابين طالباً إعفاءه من مهمته، يؤيد: أن يكون قد طلب الإمارة لنفسه، وطلب من الصدقات أكثر مما يحتاج إليه، ولو على سبيل الأجر الذي يستحقه أمثاله في الأحوال المشابهة.

٤ ـ أما رواية حبان بن بَحّ فقد ذكرت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إليه بصدقة قومه، وبالإمارة عليهم..

وذلك غير معقول ولا مقبول، فإن الصدقة ليست للأمير، ولا للعامل وحده، فإن القرآن قد عيّن لها مصارفها، فما معنى أن يكتب له بصدقات قومه؟!

٥ ـ إنه قد يستظهر من رواية حبان بن بح: أن سبب إرسال الجيش إلى الصدائيين أنهم ارتدُّوا عن الإسلام، فأخبروا النبي «صلى الله عليه وآله» بأمرهم، فجهز لهم جيشاً ثم أخبروه بعودتهم إلى دينهم، فصرف ذلك الجيش عنهم.

ولعل سبب المبادرة إلى إرسال الجيش هو: أن شيوع ارتداد أية قبيلة من شأنه أن يترك آثاراً سلبية على غيرها، من حيث إنه يجعلهم يستسهلون أمر الإرتداد، خصوصاً إذا ظهر لهم أن ذلك لا يحمل لهم أية سلبية أو معاناة..

وتصبح قضية نشر الدين في مأزق حقيقي، ولاسيما لجهة اختلال الثقة في مجتمع أهل الإيمان، وترقب الإرتداد من أي كان من الناس، في أي وقت.. الأمر الذي يوجب ضعف، وانحلال رابطة الأخوة الدينية فيما بينهم.

وهذا يوجب المبادرة لمواجهة حالات الإرتداد، لأنها لا يمكن أن توصف بالبراءة أبداً.

فإن من يفعل ذلك، يكون مارس الخديعة أو الخيانة بأبشع مظاهرها. لأنه إما أن يكون هذا المرتد ممن قامت عليه الحجة بالأدلة البرهانية، أو بالقناعة الوجدانية عن طريق المعجزة، فآمن.. فلا مبرر لارتداده بعد هذا، بل ارتداده خيانة للدين، ولأهل الإيمان.

وإما أنه لم يبلغ درجة القناعة الوجدانية، ولا أقنعته الحجة البرهانية، فيكون دخوله في الإسلام في هذه الحال خداعاً وتدليساً ونفاقاً. وارتداده بعد ذلك إقراراً عملياً بهذا الخداع.. فلا بد من محاسبته على هذا الأمر أيضاً، لأن الأمر خرج عن كونه مسألة شخصية، ليصبح اعتراضاً على الدين، وطعناً في حقائقه، وتكذيباً لآياته، وجحوداً لمعجزاته..

٦ ـ على أن ثمة تساؤلاً يحتاج إلى الجواب المعقول والمقبول، وهو: أنه لماذا بادر «صلى الله عليه وآله» لتجهيز ذلك الجيش، قبل أن يستيقن الأمر بالطرق المعروفة والمألوفة..

وقد يجاب عن ذلك: بأن نفس مبادرة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى هذا، لا يعني أنه أراد أن يوقع بأولئك الناس قبل التثبت من الأمر.. فإن تجهيز ذلك الجيش قد كان علنياً وظاهراً، ولا بد أن يبلغ خبره إليهم.. فإن كان الخبر صحيحاً، فسيكون ردهم على هذا الإجراء هو الإستنفار،

والتهيوء للحرب.

وإن كان الخبر باطلاً، فإنهم سيبادرون إلى إظهار الإسلام وتكذيب الخبر، وسيتجنبون المواجهة مع ذلك الجيش.

٧ ـ إن تجهيز هذا الجيش قد جاء بمثابة رسالة أريد أن يفهم مراميها ومعانيها كل من تسوِّل له نفسه أمراً من هذا القبيل.

ويدل على ذلك: أنه بمجرد ان جاء رجل واحد من تلك القبيلة، وتكفل بعودة قومه إلى جادة الصواب.. أو بمجرد أن أخبره حبان بن بَحّ بأن قومه على الإسلام، صرف ذلك الجيش عنهم، وأعاده إلى قواعده بسلام وأمان..

٨ ـ وعن الحديث الذي يقول: من سأل الناس عن ظهر غنى، فصداع في الرأس، وداء في البطن، نقول:

إن هذا الحديث لا يبرر انصراف زياد عن أخذ ما طلبه من الصدقة، حتى لو كان غنياً.

فإن زياداً قد طلب إعطاءه نصيباً من صدقات قومه، وبما أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أجاب طلبه، فذلك يعني: أنه أعطاه ما يستحقه، فإن كان فقيراً فإنما يعطيه بمقدار ما يستحقه كما يعطي غيره مع الفقراء.. وإن كان غنياً (أو فقيراً أيضاً) فإنه يعطيه ما يستحقه من أجرة على العمل، أو على المهمة التي يتصدى لها..

ولا يدخل ذلك تحت عنوان: «من سأل الناس عن ظهر غنى»، إذ المقصود بالسؤال: هو طلب ما لا يستحقه.

والمفروض: أن الأمر ليس كذلك هنا، إذ لو كان كذلك لم يكتب له،

النبي «صلى الله عليه وآله» بشيء من الصدقات، لأنه لا يعطي أحداً ما لا يستحقه.

فإذا كان قد ردَّ كتاب الصدقة إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فالمتوقع: أن يسأله النبي «صلى الله عليه وآله» عن سبب ذلك، ثم يوضح له: أنه قد أخطأ في فهم ما يرمي إليه «صلى الله عليه وآله»، وليس فيما بأيدينا ما يشير إلى سؤال أو جواب للتصحيح أو التوضيح..

٩ ـ أما ما زعمه زياد: من أن أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» بدأوا في مسيرهم مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يستأخرون وينقطعون عنه، حتى لم يبق معه أحد غير زياد، وحتى استغرق لحوقهم به وقتاً طويلاً قد يصل إلى نحو عشر دقائق على أقل تقدير، فهو غير مقبول، بل ولا معقول أيضاً، إذ لا يمكن أن نصدق أن يُبقي المسلمون نبيهم في ذلك الليل البهيم يسير وحده في صحراء قاحلة لا يجد فيها قطرة من ماء، وليس فيها حسيس ولا أنيس. مع ما نعلمه من حرصهم على الكون بقربه، والسير في ركابه التماساً للبركة منه..

١٠ ـ يضاف إلى ذلك: أن تلك الروايات تضمنت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سار بأصحابه الليل بكامله، من العشاء حتى الفجر.. وهذا أيضاً أمر مستغرب.. لاسيما، مع عجز الروايات عن الإفصاح لنا عن وجهة سيره «صلى الله عليه وآله»، وأنها كانت إلى أي قوم!! وفي أية جهة!! فإن غزوات النبي «صلى الله عليه وآله» معروفة، ومسيره إليها ليس بالأمر المجهول، فقد وصفه الرواة لنا، وسجله المؤرخون، وحفاظ السيرة..

١١ ـ إن الرواية تفيد: أن الأذان قد حصل قبل طلوع الفجر، وانه

«صلى الله عليه وآله» لم يرض من زياد بأن يقيم حتى تحقق «صلى الله عليه وآله» من طلوع الفجر.. فما هو الداعي إلى هذا التقديم، ما دام أن الأذان بعد تحقق طلوع الفجر لا يفوِّت فضيلة الصلاة في أول الوقت؟!

١٢ ـ إن زياداً يزعم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «يا أخا صداء، لولا أني أستحي من ربي عز وجل لسقينا واستقينا ناد في أصحابي من له حاجة في الماء».

فكيف يستحي «صلى الله عليه وآله» من ربه أن يسقي ويستقي هو ومن معه، ثم يطلب من زيادٍ أن يدعو من أصحابه من له حاجة في الماء؟! أليس هذا سقياً واستسقاءً؟! فلماذا يناقض القول بالفعل، بل لماذا يكون الكلام متناقضاً في نفسه، فإن هذا وذاك مما نجلُّ عنه مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

إرسال ابن العاص إلى ابني الجلندى:

وفي ذي القعدة سنة ثمان بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندى، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم[1].

ونوضح ذلك كما يلي:

إن جَيْفَر وعبداً كانا ملكي عمان، وهما ابنا الجلندى بن المستكبر بن

---

(١) البحار ج٢١ ص١٨٤ عن الكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٥ وراجع: مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٦٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٦٢ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج٢ ص٢٧٢ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٣٦.

الحراز الأزدي، ولعل الجلندى كان قد شاخ ففوض الأمر إلى ولديه هذين.

وقد بعث النبي «صلى الله عليه وآله» عمرو بن العاص إلى ولديه بكتاب يدعوهما فيه إلى الإسلام، ولعل أباهما قد اطّلع على هذا الكتاب، أو لعله «صلى الله عليه وآله» كان قد أرسل إلى أبيهما الجلندى نفسه كتاباً آخر، فإن ابن إسحاق قد ذكر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث ابن العاص إليه[1].

ومهما يكن من أمر، فإن نص الكتاب الذي كتبه لهما كما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى: سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد، فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، إني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما».

وختم رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكتاب، وكتب أبي بن كعب[2].

---

(١) الإصابة ج١ ص٢٦٢ وراجع: الشفاء لعياض ج١ ص٤٨٤ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٦٤ و ٣٦٥.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٦١ وقال في هامشه: كما في زاد المعاد، ونشأة الدولة الإسلامية، والوثائق، ودحلان، وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٨٤ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٧٦ وصبح الأعشى ج٦ ص٣٦٥ و ٣٦٦ وأعيان الشيعة ج٢ ص١٤ و (في ط أخرى) ج١ ص٢٤٥ وأعلام =

= السائلين ص٢٦ ورسالات نبوية ص١٣٣ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٤١ عن: صبح الأعشى ج٦ ص٣٨٠ والمواهب اللدنية ج٣ ص٤٠٤، وراجع: نشأة الدولة الإسلامية ص٣٣١ وزاد المعاد ج٣ ص٦٢ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٣ ص٣٥٣. وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق٢ ص١٨ و ج٤ ق٢ ص١٨٨ وفتوح البلدان ص٨٧ و (في ط أخرى) ص١٠٤ والإصابة ج١ ص٥٧٦ في ترجمة زبيد بن الأعور بن جيفر الجلندى الأزدي، وص٢٦٤ في ترجمة جيفر، وص٢٦٢ في الجلندى، والتنبيه والإشراف ص٢٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٥٤ والمناقب ج١ ص١١٤ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٣٢ و ٢٧٢ و ٣٥٢ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٦٤٥ وج٣ ص٢٩ و ٩٥ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٧ وحياة الصحابة ج١ ص١٠٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص١١٦ و ١١٨ والبحار ج١٨ ص١٣٨ و ج٢١ ص١٨٤ وأسد الغابة ج١ ص٣١٣ والشفاء للقاضي عياض ج١ ص٤٨٤ ونسيم الرياض ج٢ ص٤٤٧ وشرح الشفاء للقاري (بهامش نسيم الرياض) ج٢ ص٤٤٧ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٢٦١ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٤ والتراتيب الإدارية ج١ ص٢٠١ والروض الأنف ج٣ ص٣٠٤ والمنتظم ج٤ ص١٠ ومجموعة الوثائق السياسية ١٦١/ ٧٦ عن جمع ممن ذكرناه، وعن المواهب اللدنية ج١ ص٢٩٤ وصبح الأعشى، ومنشآت السلاطين لفريدون بك ج١ ص٣٣ والوفاء لابن الجوزي ص٧٤١ وكتاب النبي للأعظمي، ونصب الراية للزيلعي ج٤ ص٤٢٣ والمصباح المضيء ج٢ ص٣٠٦ عن الهدى المحمدي، ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٩١ وقال: انظر اشپرنكر ج٣ ص٣٨٢ وزاد: يقول المؤلف (حميد الله): رأيت عند بعض الإخوان في باريس في السنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م فصيلة من جريدة يومية عربية من تونس فيها تصوير أصل مكتوب النبي «عليه السلام» إلى جيفر وعبد ابني الجلندى، ولكن لم =

ويقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث أبا زيد الأنصاري (وهو قيس بن السكن، وقيل: اسمه ثابت بن قيس، وقيل غير ذلك) وعمرو بن العاص بكتاب منه إلى ابني الجلندى، يدعوهما فيه إلى الإسلام، وقال لهما: إن أجاب القوم إلى شهادة الحق، وأطاعوا الله ورسوله، فعمرو الأمير، وأبو زيد على الصلاة، وأخذ الإسلام على الناس، وتعليمهم القرآن والسنن[1].

وقال المسعودي: إن إرسال عمرو إلى جيفر وعبد ابني الجلندى قد كان في السنة الحادية عشرة[2].

وقيل: إنه «صلى الله عليه وآله» أرسل أبا زيد الأنصاري بكتابه إلى عبد وجيفر سنة ست، ووجه عمرو سنة ثمان.

وقد أوصى النبي «صلى الله عليه وآله» أبا زيد (في سنة ثمان) بأن يأخذ

= يعرف اسم الجريدة ولا تأريخها. وفيما علقت عليه الجريدة التي نشرته: «عثر علماء الآثار على النسخة الأصلية... جاء هذا أثناء زيارة الأستاذ الإسماعيلي الرصاصي السفير العماني السابق لدى إيران لبعض البلدان العربية، وقد وجد الأصل في حوزة هاوي آثار وتحف لبناني الجنسية... الشخص المذكور رفض تسليم المخطوط لسعادة السفير إلا أنه سمح له بتصويره. ووعدنا سعادة سفير عمان في باريس أن يبحث فيه فجزاه الله خيراً.

(١) فتوح البلدان ص١٠٣ و ١٠٤ و (ط مكتبة النهضة) ج١ ص٩٢ وتاريخ الكوفة للسيد البراقي ص٢٦٥ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٣٦٩.

(٢) التنبيه والإشراف (ط دار صعب) ص٢٤٠ مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٩٦ عن التنبيه والإشراف.

الصدقة من المسلمين، والجزية من المجوس[1].

وقد كانت النتيجة هي: إسلام جيفر وعبد ابني الجلندى، وأسلم معهما خلق كثير[2].

عمرو.. وابنا الجلندى:

وقد حكى لنا عمرو بن العاص حواراً وتفاصيل زعم أنها جرت له مع جيفر، وعبد ابني الجلندى، والقصة هي التالية:

قال عمرو: فعمدت إلى عبد، وكان أحلم الرجلين، وأسهلهما خلقاً، فقلت: إني رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليك وإلى أخيك بهذا الكتاب.

فقال: أخي مقدم عليّ بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك. ثم قال: وما تدعو إليه؟

قلت: أدعوك إلى الله وحده، وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال: يا عمرو إنك ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك ـ يعني العاص

---

(١) راجع: فتوح البلدان ص١٠٥ ونشأة الدولة الإسلامية ص١٧٨.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٥٢٠ وج٣ ص٢٥٨ والكامل في التاريخ ج٢ ص٣٥٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق٢ ص١٨ ونسيم الرياض ج٢ ص٤٤٨ والسيرة النبوية لدحلان ج٣ ص٧٨ والفتوح لابن أعثم ص١٠٤ ونشأة الدولة الإسلامية ص١٩٧ والإصابة ج١ ص٢٦٤ وج٣ ص٢٣٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٨٣.

بن وائل ـ فإن لنا فيه القدرة؟[1].

قلت: مات ولم يؤمن بمحمد «صلى الله عليه وآله»، ووددت له لو كان آمن وصدق به، وقد كنت قبل على مثل رأيه حتى هداني إلى الإسلام.

قال: فمتى تبعته؟

قلت: قريباً.

فسألني أين كان إسلامي؟

فقلت: عند النجاشي، وأخبرته أنه قد أسلم.

قال: فكيف صنع قومه بملكه؟

قلت: أقروه واتبعوه.

قال: والأساقفة؟

قلت: نعم.

قال: انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفضح من كذب؟

قلت: وما كذبت، وما نستحله في ديننا.

ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي.

قلت له: بلى.

قال: بأي شيء علمت ذلك يا عمرو؟

قلت: كان النجاشي يخرج له خراجاً، فلما أسلم النجاشي وصدق بمحمد «صلى الله عليه وآله» قال: لا والله، ولو سألني درهماً واحداً ما أعطيته.

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصحيح هو «القدوة».

فبلغ هرقل قوله، فقال له أخوه: أتدع عبدك لا يخرج لك خراجاً، ويدين ديناً محدثاً؟

فقال هرقل: رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به، والله، لولا الظن[1] بملكي لصنعت كما صنع.

قال: أنظر ما تقول يا عمرو.

قلت: والله صدقتك.

قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟

قلت: يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنى وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب.

فقال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد «صلى الله عليه وآله» ونصدق به، ولكن أخي أضنّ بملكه من أن يدعه ويصير ذَنَباً.

قلت: إنه إن أسلم ملّكه رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم.

قال: إن هذا لخلق حسن، وما الصدقة؟

فأخبرته بما فرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الصدقات في الأموال، ولما ذكرت المواشي، قال: يا عمرو، ويؤخذ من سوائم مواشينا

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصحيح هو «الضنّ»، ويشهد له قول عبد فيما يأتي: «ولكن أخي أضنّ بملكه».

التي ترعى في الشجر وترد المياه؟

فقلت: نعم.

فقال: والله، ما أرى قومي في بعد دارهم، وكثرة عددهم يطيعون بهذا.

قال عمرو: فمكثت أياماً بباب جيفر، وقد أوصل إليه أخوه خبري، ثم إنه دعاني، فدخلت، فأخذ أعوانه بضبعي، قال: دعوه.

فذهبت لأجلس، فأبوا أن يدعوني، فنظرت إليه، فقال: تكلم بحاجتك.

فدفعت إليه كتاباً مختوماً، ففض خاتمه فقرأه.

ثم دفعه إلى أخيه، فقرأه، ثم قال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟

فقلت: تبعوه، إما راغب في الدين، أو راهب مقهور بالسيف.

قال: ومن معه؟

قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام، واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدي الله إياهم أنهم كانوا في ضلال مبين، فما أعرف أحداً بقي غيرك في هذه الحرجة، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه تطأك الخيول، وتبيد خضراؤك، فأسلم تسلم ويستعملك على قومك، ولا تدخل عليك الخيل والرجال.

قال: دعني يومي هذا، وارجع إلي غداً.

فلما كان الغد أتيت إليه، فأبى أن يأذن لي، فرجعت إلى أخيه فأخبرته أني لم أصل إليه.

فأوصلني إليه، فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب، إن ملكت رجلاً ما في يدي، وهو لا تبلغه خيله ههنا، وإن بلغت خيله ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقى.

قلت: وأنا خارج غداً.

فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه، فأصبح، فأرسل إلي، فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدقا وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني، وأسلما وأسلم معهما خلق كثير(١).

وتوفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعمرو بعمان(٢).

ونقول:

إن هذه الرواية التي يظهر عمرو فيها نفسه أنه أدار الحوار بصورة راقية، وقوية، وأورد لنفسه جملاً تحمل معاني جليلة، ولمعات جميلة، إنها رواية مكذوبة بلا شك، فلاحظ ما يلي:

١ ـ إن عمرو بن العاص لم يكن لا في ذلك الوقت، ولا قبله، ولا بعده

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٧٠ ـ ٣٧٢ وقال في هامشه: راجع في تفصيل قصة عمرو مع جيفر: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٨٤ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٧٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٦٢ و(في ط أخرى) ج١ ق٢ ص١٨ و ج٤ ق٢ ص١٨٨ وفتوح البلدان للبلاذري ص١٠٤ ونسيم الرياض ج٢ ص٤٤٨ والتراتيب الإدارية ج١ ص٢٠١ وزاد المعاد ج١ ص٦٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٤٥ والمصباح المضيء ج٢ ص٣٠٦ ـ ٣١١.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٧٢ وقال في هامشه: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٥٢٠ وج٣ ص٢٥٨ والكامل في التاريخ ج٢ ص٣٥٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق٢ ص١٨ ونسيم الرياض ج٢ ص٤٤٨ والسيرة النبوية لدحلان ج٣ ص٧٨ والفتوح لابن أعثم ص١٠٤ ونشأة الدولة الإسلامية ص١٩٧ والإصابة ج١ ص٢٦٤ وج٣ ص٢٣٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٨٣.

من أهل هذه المعاني، ولا من الذين يقدرون على مثلها.

٢ ـ إن روايته قد تضمنت بعض الأكاذيب، كقوله: إن إسلامه كان عند النجاشي في الحبشة، حين ذهب في طلب جعفر وأصحابه، أي قبل الهجرة بحوالي ثماني سنوات..

وهذا كذب واضح، فإنه أسلم سنة ثمان بعد الهجرة كما تقدم؛ بل إنه هو نفسه قد ذكر ما يناقضه قبله مباشرة، حيث قال: إنه إنما تبع النبي «صلى الله عليه وآله» قبل يسير، أي في السنة الثامنة بعد الهجرة مباشرة.. فإن كان قد أسلم منذئذٍ، فلماذا تأخر اتباعه للنبي «صلى الله عليه وآله» إلى هذا الوقت؟!

وهل يمكن أن يعتقد بنبوة النبي «صلى الله عليه وآله» ويكون مسلماً، ثم يحاربه كل هذه السنين؟!

٣ ـ إن ما زعمه من إسلام قوم النجاشي غير ظاهر، فإنهم قد حاربوه، وجرى له معهم أمور يطول ذكرها.

٤ ـ وأما حديثه عن هرقل والنجاشي، وأن هرقل لم يطالب النجاشي بالمال الذي كان قد فرضه عليه، فهو لو كان صحيحاً لشاع وذاع، ولبلغ ملك عمان، ولم يخفَ عليه أمر بهذه الأهمية..

٥ ـ كما أنه لو صح قوله: إنه لولا أنه يضن بملكه لكان قد أسلم، لا ينسجم مع حربه لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في مؤتة وفي غيرها بتلك الشراسة والحدة..

٦ ـ والأهم من ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبر بما سيجيب به ابنا الجلندى أيضاً، ولكنّ مؤرخيهم تجاهلوا ذلك، ولكن ابن شهرآشوب ذكره لنا، فقال:

وكتب «صلى الله عليه وآله» إلى ابن جلندى وأهل عمان، وقال: أما إنهم سيقبّلون كتابي، ويصدقوني، ويسألكم ابن جلندى: هل بعث رسول الله معكم بهدية؟

فقولوا: لا.

فسيقول: لو كان رسول الله بعث معكم بهدية لكانت مثل المائدة التي نزلت على بني إسرائيل وعلى المسيح.

فكان كما قال «صلى الله عليه وآله»[1].

ونقول:

إننا نذكر هنا ما يلي:

ملاحظة هامة:

ربما يقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي كان ينظر إلى الغيب بستر رقيق كان يعلم أن عمرو بن العاص سوف يحاول الإستفادة من مهمة حمله للكتاب لابني الجلندى في تسطير بعض الفضائل لنفسه والظهور في حالات استعراضيه.. وانتفاخات بهلوانية عن ذلك ليكون إخباره «صلى الله عليه وآله» هذا من موجبات إسقاط دعاويه، وإظهار أنه كاذب مفتر فيها، وهذا ما حصل بالفعل.

---

(١) البحار ج١٨ ص١٣٨ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١١٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص١٠٠.

مهمات أبي زيد ومهمة عمرو:

وقد رأينا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد وزع المهمات بطريقة لها مغزاها ومرماها.

فهؤلاء أناس يدخلون في الإسلام للتو، فهم بحاجة إلى أن يتذوقوا طعم الإسلام في روحانيته، وفي إنشاء العلاقة مع الله، وأن يعرفوا شيئاً من حقائق هذا الدين، واحكامه، وسننه، وتعاليمه.

وقد كان أبو زيد أقدر على إنجاز هذه المهمة، وأعرف بجزئياتها وتفاصيلها، وأميل إلى تحقيق الغاية المرجوة.

أما عمرو بن العاص فقد لا يهتم بهذا الأمر كثيراً، بل قد يكون أبعد الناس عن المعرفة بتفاصيل الدين، بل وبكلياته أيضاً، لأنه قد أسلم أو تظاهر بالإسلام في نفس تلك السنة، فهو يحتاج إلى ما يحتاجون إليه.

وأما الإمارة التي تعني تدبير الأمور الدنيوية، فهو أكثر اندفاعاً إليها، ورغبة بها وحرصاً عليها..

يضاف إلى ذلك: أنه لا مجال للإطمئنان إلى أنه كان يملك المواصفات التي تخوله لحمل أمانة الصلاة بالناس.. أو أنه كان أميناً على دين الناس بالقدر الذي يسمح بإفساح المجال له لتعليمهم أحكامه، حتى لو كان على علم بها.

مهاجري وأنصاري:

وكان «صلى الله عليه وآله» ـ كما يقولون ـ كلما أرسل رجلاً من المهاجرين قرنه برجل من الأنصار، وهكذا فعل في هذه المناسبة أيضاً.

الجلندى كيف تلقى الدعوة:

وقال: ذكروا أيضاً أن الجلندى حين جاءه كتاب النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «والله، لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يَغْلِبُ فلا يبطر، ويُغْلَبُ فلا يضجر (يهجر)، وأنه يفي بالعهد، وينجز بالموعود (بالوعد)، وأنه لا يزال سراً قد اطلع عليه يساوى فيه أهله، وأشهد أنه نبي»[1].

ثم أنشد أبياتاً منها:

أتاني عمرو بالتي ليس بعدها ... من الحق شيء والنصيح نصيح

فقلت له: ما زدت أن جئت بالتي ... جلندى عمان في عمان يصيح

فيا عمرو قد أسلمت لله جهرة ... ينادي بها في الواديين فصيح[2]

وقفات مع كتاب النبي ﷺ للجلندى:

وقد تضمن الكتاب المذكور: الكثير من الإشارات والدلالات التي ينبغي التوقف عندها لاستفادة السلوك والموقف، والمفهوم الإيماني والسياسي

---

(١) الإصابة ج١ ص٢٦٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٦٣٧ والروض الأنف ج٤ ص٢٥٠ والشفا لعياض ج١ ص٤٨٤ وراجع: نسيم الرياض ج٢ ص٤٤٧ و ٤٤٨ وشرح الشفا لملّا علي القاري (بهامش نسيم الرياض) في نفس الجزء والصفحة. وراجع: مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٦٤ و ٣٦٥.

(٢) الإصابة ج١ ص٢٦٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٦٣٧ وراجع: مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٦٤ و ٣٦٥.

منها. وبما أن كتابنا هذا ليس محل ذكر ذلك، فإننا نكتفي بالإلماح إلى ما ذكره بعضهم منها، وهو كما يلي:

ذكر العلامة الأحمدي «رحمه الله» عدة نقاط مفيدة هنا، وهي:

١ ـ «وتظهر نبوتي الخ..» هذه الجملة تعطينا درساً إضافياً، ومعنى حقيقياً كاملاً عن السلطنة والفتوحات الإسلامية، إذ المستفاد منها: أن الفتوحات الإسلامية يجب أن تكون فتحاً إلهياً، وظهوراً روحانياً، تحكم على القلوب، وتفتح الضمائر والصدور، محفوفة بالإيمان، ومشفوعة بالتقوى (قبل أن تكون مغالبة القدرة الظاهرة بالقوة، ورباط الخيل) لا مغالبة على الدنيا، كما قال أمير المؤمنين «عليه السلام»:

«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»[1].

وقال الحسين «عليه السلام»: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي محمد «صلى الله عليه وآله»، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر الخ..»[2].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٦٦ عن: نهج البلاغة (بشرح عبده) خطبة ١٢٩ وشرح النهج للمعتزلي (ط بيروت) ج٨ ص٢٦٤ و (البحراني) ج٣ ص١٤٨.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٦٦ عن: المناقب لابن شهرآشوب (ط قم) ج٤ ص٨٩ وراجع: مقتل الحسين «عليه السلام» للخوارزمي ج١ ص١٨٨ ونفس المهموم ص٣٧ والبحار ج٤٤ ص٣٢٩ ومكاتيب الأئمة «عليهم السلام» ج٢ ص٤٠ ولمعة من بلاغة الحسين «عليه السلام» ص١٠٦ وشرح إحقاق الحق =

وسلطنة الإسلام سلطنة عقيدة وإيمان، وروحانية ونبوة، وليست ملكاً وإمبراطورية مادية، والفرق بينهما واضح لمن عقل وتدبر، وكذلك الحكومات التي أسسها الأنبياء العظام، صلوات الله عليهم.

وإذا شئت أن تعرف الحقيقة فقس بين فتوحات ملوك العالم، والفتوحات التي وقعت في عصر النبي «صلى الله عليه وآله»، ولاحظ حكومة علي «عليه السلام» ومعاوية، هذا يعفو عن أعدى أعدائه، وذاك يقتل على الظنة والتهمة»[١].

٢ ـ وقال العلامة الأحمدي «رحمه الله» أيضاً: «لأنذر من كان حياً» أي فهماً عاقلاً، كنى عن العاقل بالحي، إيعازاً إلى أن الذي لا يعقل ولا يفهم فهو كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء﴾[٢] و ﴿إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاء وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[٣].

٣ ـ في الكتاب تصريح بعموم دعوته بقوله «صلى الله عليه وآله»: «إني رسول الله إلى الناس كافة»، وأنه لا تختص نبوته بالعرب، أو أم القرى ومن حولها.

٤ ـ ثم وعدهما ببقاء ملكهما إن أسلما وذهابه إن لم يسلما، وأخبر بأن خيله تحل بساحتهما، وتغلب نبوته على ملكهما[٤].

= (الملحقات) ج١١ ص٦٠٢.

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٦٦ و ٣٦٧.

(٢) الآية ٨٠ من سورة النمل.

(٣) الآية ٨ من سورة فاطر.

(٤) راجع ما تقدم في: مكاتيب الرسول ج٢ ص٣٦٥ و ٣٦٦.

ونضيف إلى ما تقدم:

ألف: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل لهما: إني أزيل ملككما، بل قال: إن ملكهما زائل عنهما، ولم يحدد لهما من الذي سيزيله، أو هل سيزول بسبب مرور الزمان، وبسنّة الموت والحياة؟! أو أنه سيزول على يد من يسلبهما إياه!!

ب: ولكنه أشار إلى أن استكبارهما سوف يسقط حرمتهما، ويجعلهما في معرض التحدي، ولابد أن يواجها الحرب لإسقاط ذلك الإستكبار، وإزالة ما يمارسونه من الظلم والقهر، والتسلط على الآخرين بما يملكونه من قوة..

ج: إنه لم يقل لهما: إنه هو سيظهر عليهما، بل تجاوز الحديث عن شخصه، وعنهما كأشخاص، ليتحدث عن مقام النبوة المرتبط بالله، الذي يريدان أن يستبدلاه بموقع الملك والسلطان، وانه إذا كان التحدي بين هذين، فإن الغلبة لابد أن تكون للنبوة، لأنها هي التي ترتبط بالله تعالى، وتستمد قوتها منه.

د: ويلاحظ: أنه تحدث عن مقام النبوة، لا عن الرسولية، في إثارة وجدانية، وإيقاظ للشعور الفطري الصافي والصادق، النابع من أعماق النفس الإنسانية بعيداً عن المؤثرات الخارجية، والصوارف المادية والأهوائية..

بعث المصدِّقين:

روى الواقدي، عن الزّهري، وعبد الله بن يزيد، عن سعيد بن عمرو، قالا: لما رجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الجِعِرَّانة قدم المدينة يوم

الجمعة لثلاث ليال بقين من ذي القعدة، فأقام بقية ذي القعدة وذي الحجة، فلما رأى هلال المُحَرّم بعث المُصَدِّقين.

فبعث بريدة بن الحُصَيب إلى سليم ومُزَينة.

وبعث رافع بن مَكِيث إلى جُهَينة.

وبعث عمرو بن العاص إلى فزارة.

وبعث الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب.

وبعث بسر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب.

وبعث ابن اللُّتْبيَّة الأزدي إلى بني ذُبيان.

وبعث رجلاً من بني سعد إلى هُذَيم على صدقاتهم[1].

سرية إلى بني العنبر:

وفي سنة ثمان بعث عيينة بن حصن الفزاري إلى بني العنبر، من تميم، فأغار عليهم، وسبى منهم نساء[2].

سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى القرطاء:

ومن السرايا التي تذكر هنا سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى القرطاء، وحيث إننا ذكرناها حين ترقيع الدلاء بكتب رسول الله «صلى الله

---

(١) المغازي للواقدي ج٣ ص٩٧٣ وراجع: تاريخ مدينة دمشق (ط دار الكتب العلمية) ج٢٠ ص١٤ و (ط دار الفكر) ج١٨ ص٢٣.

(٢) البحار ج٢١ ص١٨٤ عن الكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٢ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٦ وراجع: الكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج٢ ص٢٧٣.

عليه وآله، فإننا نكتفي بما ذكرناه هناك، فنرجوا من القارئ الرجوع إلى ذلك الموضع للوقوف على ما جرى.

سرية عكاشة بن محصن إلى الجباب (الجناب):

ويقولون: إنه في شهر ربيع الآخر من سنة تسع كانت سرية عكاشة بن محصن إلى الجباب (وهي أرض عذرة وبلي)[1] وهما قبيلتان من قضاعة.

وقيل: إلى أرض فزارة وكلب، ولعذرة فيها شركة[2].

وقد ذكرها ابن سعد، وتبعه اليعمري وغيره، ولم يبينوا سببها، ولا عدد من ذهب فيها، ولا ما جرى[3].

فهل كان فيها ما يوجب الطعن على بعض من يُتَّهم الرواة بالتستر عليه، وإبعاد الشبهات عنه؟ أم أنه لم يكن في تلك السرية حدث يستحق الذكر، أو نشاط يحسن التنويه به؟! أو يفيد في إعلاء شأن من يهمهم إعلاء شأنه؟! إلى غير ذلك من أسباب تدعو إلى الإهمال والكتمان!!

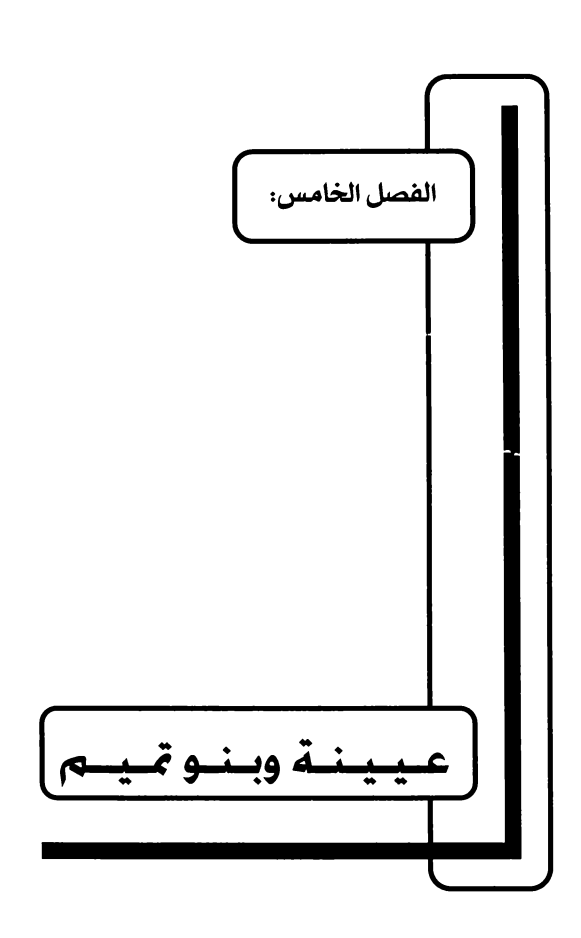
كل ذلك محتمل والله العالم بحقائق الأمور..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٢٠ عن ابن سعد وعن العيون، والمورد. وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٦٤ وعيون الأثر ج٢ ص٢٤٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٢٤

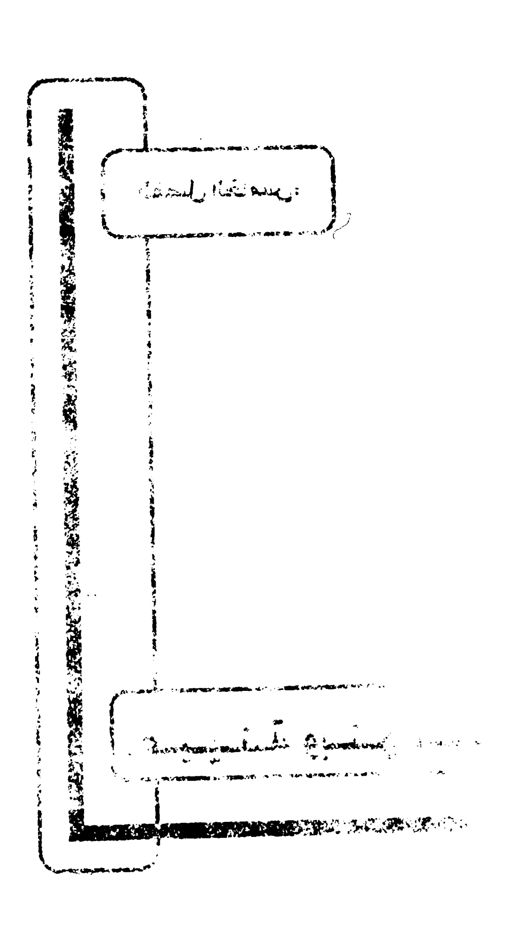
(٢) معجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج٢ ص٣٩٥.

(٣) راجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٥٠.



الفصل الخامس:

عيينة وبنو تميم



سرية عيينة إلى بني تميم:

وفي سنة ثمان كانت سرية عيينة بن حصن إلى بني العنبر (أو العتير)، من بني تميم، فأغار عليهم، وسبى منهم نساء[1].

وقيل: إن ذلك كان سنة تسع[2].

وسبب ذلك: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث رجلاً من بني سعد ـ هُذيم ـ على صدقاتهم، وأمره رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن يأخذ العفو، ويتوقى كرائم أموالهم.

فخرج بشر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب، فأمر بجمع مواشي خزاعة، ليأخذ منها الصدقة، فحشرت عليهم خزاعة الصدقة في كل ناحية، فاسكثرت ذلك بنو تميم (لكونهم لئاماً)، فقالوا: ما هذا؟! أتؤخذ أموالكم منكم بالباطل؟ فشهروا السيوف.

---

(١) راجع: البحار ج٢١ ص١٨٤ عن الكامل لابن الأثير ج٢ ص١٨٢ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٦ وراجع: الكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج٢ ص٢٧٣.

(٢) راجع: فتح الباري ج٥ ص١٢٥ وج٨ ص٦٦ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٦٠ وعيون الأثر ج٢ ص٢٣٤ وعمدة القاري ج١٨ ص١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٢.

فقال الخزاعيون: نحن قوم ندين بدين الإسلام، وهذا أمر ديننا.

فقال التميميون: لا يصل إلى بعير منها أبداً.

(**وفي رواية:** أن خزاعة وبني العنبر أعانوا بني تميم)[1].

فهرب المصدق، وقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره الخبر.

فوثبت خزاعة على التميميين، فأخرجوهم من محالهم، وقالوا: لولا قرابتكم ما وصلتم إلى بلادكم، ليدخلن علينا بلاء من محمد «صلى الله عليه وآله» حيث تعرضتم لرسوله، تردونه عن صدقات أموالنا، فخرجوا راجعين إلى بلادهم.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «من لهؤلاء القوم (الذين فعلوا ما فعلوا)»؟

فانتدب أول الناس عيينة بن حصن الفزاري، فبعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خمسين فارساً من العرب، ليس فيهم مهاجري، ولا أنصاري. فكان يسير الليل ويكمن النهار، فهجم عليهم في صحراء قد حلوا [بها]، وسرحوا مواشيهم.

فلما رأوا الجمع ولُّوا. فأخذ منهم أحد عشر رجلاً، ووجد في المحلة إحدى وعشرين امرأة. كذا في العيون.

وقال محمد بن عمر وابن سعد، وتبعهما في الإشارة والمورد: إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً.

فجلبهم إلى المدينة، فأمر بهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فحبسوا

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١١٩.

في دار رملة بنت الحارث. فقدم فيهم عدة من رؤسائهم[١].

فقدم منهم عشرة من رؤسائهم: العطارد بن حاجب بن زُرَارة، والزبزقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وقيس بن الحارث، ونعيم بن سعد، وعمرو بن الأهتم، والأقرع بن حابس، ورياح بن الحارث بن مجاشع، فدخلوا المسجد قبل الظهر، وسألوا عَن سبيهم، فأخبروهم، فجاؤوهم، فبكى الذراري والنساء.

فرجعوا إلى المسجد، ورَسُول الله «صلى الله عليه وآله» يومئذٍ في بيت عائشة، وقد أذّن بلال بالظهر، والناس ينتظرون خروجه «صلى الله عليه وآله»، فعجلوا خروجه، فنادوا: يا محمد، أُخرج إلينا.

فقام إليهم بلال، فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخرج الآن.

فاشتهر أهل المسجد أصواتهم، فجعلوا يخفقون بأيديهم.

فخرج رَسُول الله «صلى الله عليه وآله»، وأقام بلال الصلاة، وتعلقوا به يكلمونه، فوقف رَسُول الله «صلى الله عليه وآله» معهم بعد إقامة بلال الصلاة مليّاً، وهم يقولون: أتيناك بخطيبنا وشاعرنا، فاستمع منا.

فتبسم النبي «صلى الله عليه وآله» ثم مضى فصلّى بالناس الظهر، ثم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٢ عن العيون، والواقدي، وابن سعد، والإشارة والمورد، والإصابة ج١ ص٢٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٠ ص٣٦٠ و ٣٦١ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٧٣ ـ ٩٧٥ وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٠٨ وعن البداية والنهاية ج٥ ص٥١. وراجع: والطبقات الكبرى ج٢ ص١٦٠ و ١٦١ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٣٧ و ٣٨ وعيون الأثر ج٢ ص٢٣٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢١٦.

انصرف إلى بيته، فركع ركعتين، ثم خرج فجلس في صحن المسجد.

وقدّموا عطارد بن حَاجب التميمي، فخطب، فقال: الحمد لله الذي له الفضل علينا، والذي جعلنا ملوكاً، وأعطانا الأموال، (أو: ووهب لنا أموالاً عظاماً) نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزّ أهل المشرق، وأكثرهم مالاً، وأكثرهم عدداً، فمن مثلنا في الناس؟

ألسنا رؤوس الناس وذوي فضلهم؟ فمن يفاخر فليعدد مثل ما عددنا، ولو شئنا لأكثرنا من الكلام، ولكنا نستحي من الإكثار فيما أعطانا الله، أقول هذا لأن يؤتى بقول هو أفضل من قولنا.

فقال رَسُول الله «صلى الله عليه وآله» لثابت بن قيس: «قم فأجب خطيبهم».

فقام ثابت، وما كان درى من ذلك بشيء، وما هيأ قبل ذلك ما يقول، فقال:

الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهما أمره، ووسع كل شيء علمه، فلم يك شيء إلّا من فضله، ثم كان ممّا قدّر الله أن جعلنا ملوكاً، اصطفى لنا من خلقه رسولاً، أكرمهم نسباً، وأحسنهم زِياً، وأصدقهم حديثاً، أنزل عليه كتابه، وائتمنه على خلقه، وكان خيرته من عباده، فدعا إلى الإيمان، فآمن المهاجرون من قومه، وذوي رحمه، أصبح الناس وجهاً، وأفضل الناس فعالاً، ثم كنا أول الناس إجابة حين دعا رَسُول الله «صلى الله عليه وآله»، فنحن أنصار الله ورسوله، نقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله، فمن آمن بالله ورسوله منع منّا ماله ودمه، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في ذلك، وكان قتله علينا يسيراً، أقول قولي هذا وأستغفر الله

للمؤمنين والمؤمنات».

ثم جلس.

فقالوا: يا رَسُول الله ائذن لشاعرنا.

فأذن له.

فأقاموا الزبرقان بن بدر فقال (أو أن الزبرقان اقام رجلاً، فقام فقال):

نحن الملوك فلا حي يقاربنا ... فينا الملوك وفينا تنصب البيع

وكم قسرنا من الأحياء كلهم ... عند النهاب وفضل الخير يُتّبع

ونحن نطعم عند القحط ما أكلوا ... من السّديف إذا لم يؤنس القزع

وننحر الكوم عبطاً في أرومتنا ... للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا

وذكر بعضهم أبياتاً أخرى معها.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم ينكرها للزبرقان.

فقال رَسُول الله «صلى الله عليه وآله»: «أجبهم يا حسان بن ثابت»، فقام، فقال:

إن الذوائب من فهر وإِخوتهم ... قد شرعوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع

لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا

ولا يضنون عَن جار بفضلهم ... ولا ينالهم في مطمع طبع

(إن سابقوا الناس يوماً فاز سبقهم ... أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا)

إن كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تَبَع

أكرم بقوم رَسُول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشيع

أعفة ذكرت في الوحي عفتهم لا يطمعون ولا يرديهم طمع

كأنهم في الوغى والموت مكتنع أسد ببيشة في أرساغها فدع

لا فرَّحٌ إن أصابوا في عدوهم وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع

وإن أصبنا لحي لم ندبّ لهم كما يدبّ إلى الوحشية الذرع

نسموا إلى الحرب نالتنا مخالبها إذا الزعانف من أطرافها خشعوا

خذ منهم ما أبوا عفوا إذا غضبوا ولا يكن همك الأمر الذي منعوا

فإن [في] حربهم فاترك عداوتهم سمّاً غريضاً عليه الصاب والسَّلَع

أهدى لهم مدحاً قلب يؤازره فيما أحب لسان حائك صنع

وأنهم أفضل الأحياء كلّهم إنْ جدّ بالناس جدّ القول أو شمعوا

(وفي نص آخر: فقام شاعرهم الأقرع بن حابس، فقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا إذا خالفونا عند ذكر المكارم

وأن رؤوس الناس في كل معشر وأن ليس في أرض الحجاز كوارم

فأمر النبي «صلى الله عليه وآله» حساناً أن يجيبه، فقام، فقال:

بني دارم لا تفخروا إن فخركم يعود وبالاً عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم لنا خول ما بين قن وخادم

فكان أول من أسلم شاعرهم"[1].

---

(١) تاريخ الإسلام ج٢ ص١١٩.

وكان رَسُول الله «صلى الله عليه وآله» قد أمر بمنبر، فوضع في المسجد ينشد عليه حسان، وقال: «إنّ الله ليؤيد حسان» (بروح القدس ما دافع عن نبيه).

وخلا الوفد بعضهم إلى بعض، فقال قائلهم (وهو الأقرع بن حابس): تعلمنّ والله أن هذا الرجل مؤيد مصنوع له. والله، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعرهم أشعر من شاعرنا، ولهم أحلم منا.

وأنزل الله على نبيه «صلى الله عليه وآله» في رفع أصوات التميميين. ويذكر أنهم نادوا النبي «صلى الله عليه وآله» من وراء الحُجُرات، فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ إلى قوله: ﴿**أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[1]، فردّ رَسُول الله «صلى الله عليه وآله» الأسرى والسبي.

(فلما فرغ القوم أسلموا، جوَّزهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» [أي أعطاهم الجوائز]، فأحسن جوائزهم).

وقام عمرو بن الأهتم يومئذٍ، فهجا قيس بن عاصم، وكانا جميعاً في الوفد.

وكان رَسُول الله «صلى الله عليه وآله» قد أمر لهم بجوائز، وكان يجيز الوفد إذْ قدموا عليه، ويفُضّل بينهم من العطية على قدر ما يرى، فلمّا أجازهم رَسُول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «هل بقي منكم مَنْ لم نجزه».

فقالوا: غلام في الرحل، فقال رَسُول الله «صلى الله عليه وآله»: «أرسلوه نجزه».

---

(١) الآيات ٢ ـ ٤ من سورة الحجرات.

فقال قيس بن عاصم: إنه لا شرف له.

قال رَسُول الله «صلى الله عليه وآله»: «وإنْ كان، فإنه وافدٌ وله حقّ».

فقال عمرو بن الأهتم شعراً يريد قيس بن عاصم:

ظللت مفترشاً هلباك تشتمني ... عند الرسول فلم تصدقْ ولم تصبِ

إنا وسؤددنا عود وسؤددكم ... مخلّف بمكان العجب والذنب

إن تبغضونا فإن الروم أصلكم ... والروم لا تملك البغضاء للعرب

وكانت الجائزة لكل واحد منهم اثنا عشر أوقية ونشاً (أي نصفاً)[1].

صورة أخرى لما حدث:

قال العسقلاني: عن ابن عباس، قال: أصابت بنو العنبر دماء في قومهم، فارتحلوا، فنزلوا بأخوالهم من خزاعة، فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» مصدقاً إلى خزاعة، فصدقهم، ثم صدق بني العنبر، فلما رأت بنو العنبر الصدقة قد أحرزها وثبوا فانتزعوها، فقدم على رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٤٠ ص٣٦٠ ـ ٣٦٤ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٧٣ ـ ٩٨٠ وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٠٨ والإصابة ج١ ص٢٤٦ و ٢٤٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٩٤ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٨٧ ـ ٢٩١ وتاريخ الخميس ج٢ ص١١٩ وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص٥٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٨٦ الطبقات الكبرى ج٢ ص١٦١ و ١٦٢ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٣٨ و ٣٩ وعيون الأثر ج٢ ص٢٣٤ ـ ٢٣٦.

والقصيدة في ديوان حسان بن ثابت ص١٤٤ و ١٤٥.

وآله»، فقال: يا رسول الله، إن بني العنبر منعوا الصدقة.

فبعث إليهم عيينة بن حصن في سبعين ومائة، فوجد القوم خلوفاً، فاستاق تسعة رجال، وإحدى عشرة امرأة، وصبياناً.

فبلغ ذلك بني العنبر، فركب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منهم سبعون رجلاً، منهم الأقرع بن حابس، ومنهم الأعور بن بشامة العنبري، وهو أحدثهم سناً، فلما قدموا المدينة بهش إليهم النساء والصبيان، فوثبوا على حجر النبي «صلى الله عليه وآله» وهو في قائلته، فصاحوا به: يا محمد، علام تسبى نساؤنا، ولم ننزع يدا من طاعتك؟

فخرج إليهم، فقال: اجعلوا بيني وبينكم حكماً.

فقالوا: يا رسول الله، الأعور بن بشامة.

فقال: بل سيدكم بن عمرو.

قالوا: يا رسول الله، الأعور بن بشامة.

فحكمه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فحكم أن يفدى شطر، وأن يعتق شطر[1].

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات هي التالية:

خزاعة لا تعين بني تميم:

إنه لا ريب في بطلان الرواية التي ذكرها الدياربكري، من أن خزاعة

---

(١) الإصابة ج١ ص٢٤٦ و (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٢٤٦.

قد أعانت بني تميم على ما أرادوه من منع الصدقة التي جمعت، وأرادت أن ترسلها، وقد غضبت من بني تميم، وأخرجتهم عنها حينما فعلوا ما فعلوا.

إختلاف الروايات:

إن الصورة التي ذكرها العسقلاني تختلف عن تلك التي ذكرناها آنفاً، إذ هي تدَّعي:

١ ـ أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أخذ الصدقة من خزاعة ثم من بني العنبر، بينما تذكر الرواية الأخرى: أنه لم يأخذ صدقته من بني العنبر.

٢ ـ إن هذه الرواية تدَّعي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل إليهم عيينة في مائة وسبعين رجلاً، بينما تقول الرواية الأخرى: إنه بعثه في خمسين رجلاً فقط.

٣ ـ هذه الرواية تقول: أخذ منهم تسعة رجال، وتقول تلك: بل أخذ منهم أحد عشر رجلاً.

٤ ـ هذه الرواية زعمت: أن وفدهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله» كان مائة وسبعين رجلاً، وتلك تقول: كان وفدهم عشرة رجال، ولكنها ذكرت أسماء ثمانية منهم فقط.

وفي نص آخر: كانوا في وفد عظيم، يقال: كانوا سبعين (تسعين) أو ثمانين رجلاً[1].

____

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٨٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص١١٩ وراجع: الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١١٦٣.

٥ ـ إن هذه الرواية ذكرت طلبهم التحكيم، واستجابة النبي «صلى الله عليه وآله» لهم..

والرواية الأخرى ذكرت حديث الخطباء والشعراء ولم تشر إلى التحكيم بشيء.

٦ ـ إن هذه الرواية ذكرت: أن الحُكْمَ كان هو أن يفدى شطر، ويعتق شطر..

والرواية الأخرى ذكرت: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد رد الأسرى والسبي.

تاريخ هذه السرية:

إنه يبدو لنا: أنه لا مشكلة في اختلافهم في تاريخ هذه السرية، إذ لعل إرسال عيينة إلى بني العنبر قد كان في سنة ثمان.. ثم كان مجيء وفدهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سنة تسع، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عاد إلى المدينة من غزوة الفتح وحنين لثلاث ليال بقين من ذي القعدة..

ومن الواضح: أن أحداث هذه السرية تحتاج إلى وقت طويل لعله امتد حتى كان بعضه في سنة تسع أيضاً، فهو «صلى الله عليه وآله» قد أرسل المصدق إلى خزاعة، ثم جمعوا له الصدقات، ثم اعترض بنو تميم على تسليمها لمبعوث النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم عاد الرسول، ثم ارسل عيينة بن حصن إليهم على رأس جيش، فأسر وسبي بعض رجالهم ونسائهم، ثم عاد إلى المدينة، ثم جاء وفدهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

وذلك كله يستغرق وقتاً، وربما يكون ذلك أو بعضه قد حصل في شهر ذي الحجة، وبعضه الآخر قد حصل في شهر المحرم كما قلنا..

فنتج عن ذلك: أن أشار بعض المؤرخين إلى ما جرى في ذي الحجة سنة ثمان، وأشار بعضهم الآخر إلى ما جرى في المحرم، سنة تسع..

البغي الذميم:

ثم إن ما فعله بنو تميم لهو من أقبح وأسوأ البغي، حيث تعاورت عليه عناوين السوء والخزي من جهات عديدة، فهو بغي ذوي القربى، بعد سبق الإحسان من المبغي عليهم، وهو بغي الضيوف اللئام على مضيفيهم الكرام، وهو بغي يقصد به مخالفة أحكام الشريعة، وتوفير مال لغير مستحقيه، وحرمان أهله الحقيقين منه، وأهله هم الفقراء والمساكين.. وهو بغي فيه عدوان على نبي بالعدوان على مبعوثه.. فأي بغي ذميم أسوأ وأقبح من هذا؟!.

لا مبرر لخوف خزاعة:

وقد يقال: إذا كان البغاة المعتدون هم بنو تميم، فلا مبرر لخوف خزاعة من نشوء أية مشكلة لها مع النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، لأنها تعلم أنه لا يأخذ البريء بذنب المجرم.

وقد يجاب: بأنها ربما خافت من أن يكون مبعوث الرسول «صلى الله عليه وآله» لم يميز بني تميم عن خزاعة، ولا يدري أن الذين فعلوا ذلك هم ضيوف على خزاعة وليسوا منها، فظن أن الذين فعلوا ذلك هم طائفة من أصحاب الصدقة أنفسهم..

فيكون قد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بما رآه فيتغيظ النبي «صلى

الله عليه وآله» عليهم، ويعلن موقعاً سلبياً منهم، وفق ظواهر الأمور، التي كان يجب عليه أن يعامل الناس على أساسها..

فضول يثير القرف، ويلامس المساس بالشرف:

عن ابن عباس: أن بني العنبر التميميين كانوا قد أصابوا دماء في قومهم، فارتحلوا، فنزلوا بأخوالهم من خزاعة[1].. فما معنى أن يمنعوا مبعوث النبي «صلى الله عليه وآله» من قبض صدقة الخزاعيين؟!

وما هذه الجرأة على التدخل فيما لا يعنيهم، وما هذا التعدي على قرار قوم قبلوهم ضيوفاً عليهم، ومكّنوهم من العيش معهم بسلام وأمان؟!.

ألا يعتبر الإعتداء على قرار خزاعة اعتداء على الكرامة؟! وألا يعد هذا التصرف جبرية وتسلطاً على الآخرين بدون حق؟ رغم أن أولئك الآخرين متفضلون عليهم!!. ومحسنون إليهم!!.

أم أنهم يتهمون الخزاعيين بسوء الرأي، أو بقلة العقل، أو بالجبن والخور والضعف؟!.

وهل الإلتزام بأحكام الشرع والدين يعد ضعفاً، أو جبناً، أو يمكن اعتباره سوء رأي، وقلة تدبير؟!.

هذا شحٌّ! أم لؤم؟!:

إننا قد نتصور: أن يكون أحد من الناس شحيحاً، ولكننا لا نستطيع أن نقبل بأن يكون الشحّ هو الصفة المميزة لجماعة من الناس، من دون

---

(١) الإصابة ج١ ص٢٤٦ و (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٢٤٦.

استثناء، مع قبول تلك الجماعةكلها: بأن الشح صفة ذميمة، تجلب لهم العار، وتحط من قدرهم في جميع الأعصار والأمصار، ولا تجد أحداً يرضى بأن تنسب إليه مهما كانت ظاهرة وراسخة فيه.

أما إذا شَحَّ إنسان بمال غيره، فذلك مما يستعصي على العقول فهمه، فكيف إذا ظهر ذلك من جماعة أو من عشيرة بكاملها؟

ولماذا أقدمت تلك الجماعة أو العشيرة على منع أخذ الصدقات من عشيرة غيرها، إلى حد أنها رضيت بمباشرة القتال، وركوب الأهوال من أجل ذلك؟! كما هو الحال بالنسبة لبني تميم حين شحوا بمال قبيلة خزاعة، الذي لا تريد أن تعطيه ترفاً وسرفاً، ولا جوداً وكرماً، وإنما انقياداً للحكم الشرعي، والواجب الإلهي، والأمر النبوي.

إننا لا نستطيع تفسير هذا الأمر إلا على أساس أن هؤلاء القوم قد بلغوا الغاية وأوفوا على النهاية في النذالة واللؤم.. وقدموا بذلك أوضح الأدلة والبراهين على أنهم أبعد الناس عن الأدب، وعن الإلتزام بفروض اللياقة، أو الشعور بالكرامة.

كما أن ما فعلوه يدل دلالة واضحة على إغراقهم في الجهل، والأعرابية، إلى حد يثير القرف والإشمئزاز..

أخذ العفو، لا كرائم الأموال:

ثم إن أول ما يطالعنا في هذه السرية هو وصية النبي «صلى الله عليه وآله» لمبعوثه على الصدقات بأن يأخذ عفو المال، وأن يتوقى كرائمه.

وهذا هو العدل والرفق. فإن أخذ ما فضل من المال، الذي يحبه

الإنسان حباً جماً بصورة عفوية، ومن دون انتقاء كرائمه يسهّل على صاحب ذلك المال بذله، ويجعله مما تطيب به النفوس، ولا تجد أي حرج في التنازل وصرف النظر عنه.

أما كرائم الأموال، التي يكون لأصحابها تعلق خاص بها، فليس من السهل التنازل عنها، ولا أن تطيب بها النفوس.

والمطلوب في العبادات ـ والصدقات منها ـ هو: أن يقطع الإنسان رابطته بالمال قربة إلى الله تعالى، والقربة بهذا المعنى لا تتحقق إذا بقيت القلوب متعلقة بالمال.

على أن بقاء هذه العلقة سيكون من أسباب ظهور الحسد بين الناس. وحدوث درجة من التنافر فيما بينهم، ثم تنامي مشاعر الكراهية، وأن تتجه العلاقة نحو التوتر، والمزيد من الحساسية، لتصبح ثقيلة ومرهقة، وربما مؤذية أيضاً.

فالإخلاص في العبادة، المتمثل بإعطاء الناس صدقات أموالهم بطيب نفس، وقربة إلى الله تعالى، ورعاية سنن العدل، بإعطاء كل ذي حق حقه، ومن دون أدنى حيف على الشريك الآخر، وتحصين النفوس من مساوئ الشح، وغير ذلك ـ إن ذلك كله ـ يحتِّم أخذ العفو، وهو ما فضل، وتوقي كرائم الأموال، في استيفاء حقوق الفقراء والمساكين من أموال الناس..

تعهد عيينة لرسول الله صلى الله عليه وآله:

وقد تعهد عيينة بن حصن لرسول الله «صلى الله عليه وآله» تتبع آثار

«الذين فعلوا ما فعلوا»، ولو بلغوا يبرين[1]، حتى آتيك بهم إن شاء الله، فترى فيهم رأيك، أو يسلموا»[2].

ونقول:

إن هذا التعهد قد تضمن الأمور التالية:

١ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» حين انتدب المسلمين لهؤلاء المعتدين قد حصر هدف المواجهة بخصوص «الذين فعلوا ما فعلوا» دون سواهم، فلا يحق لأحد توسعة نطاق عمليات المواجهة لتشمل غير هؤلاء حتى لو كانوا من بني تميم، فضلاً عن غيرها.

٢ ـ إن عيينة قد تعهد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بملاحقة الفاعلين، لا بهدف قتلهم، بل ليأتي بهم إليه «صلى الله عليه وآله»، ليرى فيهم رأيه..

٣ ـ إنه ليس لرأي عيينة، ولا لرأي غيره فيهم أي قيمة أو أثر.

أعرابي أمير على أعراب:

وقد رأينا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يؤمِّر عيينة على مهاجري، ولا على أنصاري. بل أمَّره على خمسين رجلاً من الأعراب.

ويبدو أنه «صلى الله عليه وآله» لا يريد أن يجعل لعيينة الذي كان أعرابياً جافياً، لم يستقر الإيمان في قلبه، سبيلاً على أحد من أهل الإيمان، أو من ذوي السابقة فيه. فإنه كان يعلم: أن أمثال عيينة لا يراعون الآداب،

---

(١) يبرين: رمل معروف في ديار بني سعد بن تميم. راجع: معجم ما استعجم ص٨٤٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج٤٠ ص٢٦٠ و ٢٦١ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٧٤.

ولا يقيمون وزناً لمراتب الفضل في تعاملهم مع الآخرين..

أما حين يكون الذين تحت يد عيينة من أقرانه، وأشباهه في أعرابيته، فإن تصرفاته تجاههم تأتي منسجمة مع توقعاتهم، ولا تسبب لهم تلك المرتبة من الأذى والإساءة، التي ستنشأ عنها لو كان المعني بها من هم أكثر وعياً، وأسمى أنفساً، وأنبل أخلاقاً..

هذا كله عدا أنه «صلى الله عليه وآله» لا يريد أن يعطي عيينة أي سبب من اسباب الإستطالة على الآخرين بما ربما يخلعه على نفسه من مظاهر النبل والعظمة، وبما يمنحها من امتيازات، بالإستناد إلى تولية النبي «صلى الله عليه وآله» له على فريق من أهل النصرة والهجرة.

مدى وفاء عيينة بتعهداته:

وإذا نظرنا إلى النتائج التي انتهت إليها مهمة عيينة، فسنرى أنها قد جاءت قاصرة عن بلوغ المدى الذي تعهد هو لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بإبلاغها إياه، فقد تعهد أن يأتي بالذين اقترفوا ذلك الجرم ولو بلغوا ببرين.. ولكنه لم يأت إلا ببضع نساء، ونُفَيْر (تصغير نفر) من رجال كانوا قد تخلفوا في البيوت، فلما رأوا الجمع ولوا، فكان عدد الذين أخذوا منهم هو أحد عشر رجلاً، وإحد عشرة امرأة، وثلاثون صبياً..

أما سائر القوم فكانوا غائبين، ولم يأت بأحد منهم.

ولعل أولئك النفر الذين أخذوا من الرجال كانوا من المسنين والعجزة أيضاً، ولعلهم لم يشاركوا في منع رسول النبي «صلى الله عليه وآله» من أخذ صدقات خزاعة.

حبس الأسرى:

وعن مصير الأسرى والسبايا نقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» لم يبادر إلى اتخاذ أي إجراء في حقهم، فهو لم يقسمهم بين المسلمين، ولا أطلق سراحهم، بل احتفظ بهم، بانتظار مجيء قومهم في طلبهم.

كما أنه حبسهم في دار امرأة، وهذا من شأنه أن يمنع من تطفل المتطفلين عليهم، وتعرُّض الناس لهم بما يوجب لهم أي أذى، أو مهانة، أو أي شيء يوجب التهمة.

وهذا يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يسهل عليهم قبول الحق، والخروج من المأزق الذي أوقعوا أنفسهم فيه، بطريقة التوجيه نحو أفضل الخيارات، التي تفتح لهم أبواب الهداية، وتدفع بهم نحو سبيل الصلاح والخير في الدنيا وفي الآخرة. وهذا ما حصل بالفعل، كما تقدم.

سوء أدب الرؤساء:

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: أن رؤساء تلك القبيلة التي ارتكبت تلك الإساءة قد تصرفوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصورة غير لائقة، ولا مقبولة، فصاروا ينادونه من وراء الحجرات: أن يا محمد، أخرج إلينا.

وقد خلَّد الله تعالى سبحانه تصرفهم هذا في آية قرآنية إلى يوم القيامة، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾**[1].

---

(١) الآية ٤ من سورة الحجرات.

والذي تحسن ملاحظته هنا هو ما يلي:

١ ـ إنهم إنما جاؤوا في حاجة لهم، فالمفروض هو: أن يتبعوا سبيل التلطف، والرفق في التماسها، مع علمهم بأنهم لا قدرة لهم على مواجهة المسلمين، ولن يتمكنوا من أخذ حاجتهم عنوة.

٢ ـ إنهم إنما جاؤوا وافدين وضيوفاً، فالمفروض فيهم: أن يراعوا جانب مضيفهم، ولا يضايقوه، وأن يفسحوا له المجال ليفْرَغَ لهم، وليتمكن من النظر فيما جاؤوا له.

٣ ـ إن مراعاة الأدب في الخطاب، وفي السلوك، وعدم اللجاج، من شأنه أن يهيّيء النفوس للإستجابة للمطالب التي تضعف دوافع الإستجابة لها، بل الدواعي متوفرة لرفض الإستجابة.. إلا على سبيل التكرم، والتفضل في أجواء مفعمة بالرضا وبالأريحية.

ومن الواضح: أن هؤلاء القوم قد سبقت منهم إساءة قبيحة لمقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، تمثلت بالتعدي الوقح، والفضول السمج، والتدخل في أمر لا يعنيهم، ولا يرتبط بهم.. حيث انتهى الأمر بإشهار السيوف لمنع مبعوث رسول الله «صلى الله عليه وآله» من استلام صدقة قبيلة خزاعة، لإيصالها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حسبما تقدم.

٤ ـ ويلاحظ: أن الله تعالى قد ذكر سوء أدبهم هذا ليتعظ بهم غيرهم، وليقف الناس على مدى معاناة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودرجة صبره وتحمله، وجليل عفوه، وكريم أخلاقه، وجميل صفاته، ليكون للناس أسوة وقدوة في ذلك كله.

٥ ـ وقد وصف الله تعالى الذين ينادون رسول الله «صلى الله عليه وآله»

من وراء الحجرات بأنهم: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾..

وهذا معناه: أن من يملك العقل منهم، لا يملك القرار ما دام أن الأكثر لا يعقل، والذي يملك القرار، فإنه لا يعقل.. وتلك هي المصيبة العظمى التي كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يواجهها. فإنه مبتلى بقوم هذا واقعهم، وتلك هي حالهم.. فهم كالسلة التي ليس لها قعر، وهي مصنوعة من القصب أو من الشعر، ويراد لها أن تحمل الماء ليشربه العطاشى المجاهدون من أهل الثغر.

فإن من لا يملك عقلاً لا يملك أحد له خطاباً، ولا يعرف ما يلقى إليه إن كان خطأً أو صواباً..

ومن معجزات رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه قد صنع من نفس هؤلاء أمة هي أهدى الأمم، وحضارة هي من أرقى الحضارات. وظهر منهم بفضل رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكثير من العلماء، والحكماء، والعظماء.

٦ ـ وآخر كلمة نقولها هنا: إنه إذا كان الرؤساء لا يملكون العقل ولا الأدب، ولا الخلق الرضي، فما بالك بالأذناب والأتباع، والأكثر بعداً عن ممارسة الأمور، والأكثر استغراقاً في الجزئيات والصغائر، الذين يستضعفهم الرؤساء والأكابر..

بدلاً من الإعتذار:

وقد كنا نتوقع أن يأتي هؤلاء الرؤساء الوافدون بالإعتذارات التي تعيد لهم الإعتبار، وتخفف من قبح ما صدر منهم، وإذ بنا نراهم يبادرون

رسول الله «صلى الله عليه وآله» بإساءة الأدب معه، ثم يطلبون منه «صلى الله عليه وآله» أن يناظرهم، ويفاخرهم!! وأن يتبارى خطيبه وخطيبهم، وشاعره وشاعرهم!!

وكيف وبماذا يفاخر هؤلاء الأعراب الجفاة، والجهلاء القساة، وهم الذين اعتدوا بدون مبرر وتدخلوا فيما لا يعنيهم بكل صلف ورعونة على على أمر يعود لمضيفهم على النحو المخزي الذي سبق بيانه..

وبماذا يفخر هؤلاء الذين جاؤوا ليطالبوا بنسائهم ورجالهم، الذين أسروا بسبب رعونتهم وسوء فعلهم، فصاروا ينادون رسول الله «صلى الله عليه وآله» من وراء الحجرات، وهو أمر لا يصدر إلا عن أعرابي جاهل، لا يعرف شيئاً عن قواعد الأدب واللياقة..

وقد كان الأجدر بهم أن يخجلوا من أنفسهم، وأن يظهروا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» الندم والتوبة، ثم يوسطون أهل الخير والكرم، والشهامة والشمم، عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليرضى عنهم، ويقبل منهم.

ولولا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان أصبر الصابرين، وأحلم وأكرم العالمين، لطردهم من حضرته، وأعادهم أذلاء مقبوحين.. أو كان قبض عليهم، وقدمهم للعقاب على ما بدر منهم من سوء أدب، ومن تعدٍ خسيس على رسوله إلى بني خزاعة من افتئات مضيفهم!!

ولكنه «صلى الله عليه وآله» تحمل كل هذا الأذى، وصبر عليهم، وعاملهم بالرفق واللين، وعفا عنهم، وأعاد إليهم رجالهم ونساءهم، وحفظ لهم ما فرطوا فيه، وأقالهم عثراتهم المتلاحقة، لأنه لا ينطلق في حركته ومواقفه

من ردات الفعل، ومن الإنفعالات النفسية، ولا من المصالح الشخصية، ولا من منطلق الرغبة في مواجهة المعتدي بما يستحقه من القصاص والعقوبة، وإنما من واجبه الإلهي، وفي دائرة مهمته كنبي ورسول.

والأهم من ذلك كله، من خلقه الرضي، وإحساسه، وميزاته وخصائصه التي جعلت نفسه تذهب حسرات على الناس، حتى وهم يحاربونه، ويسعون في سفك دمه، ودم أهل بيته وأصحابه.. فإن كل همه كان منصباً على إنقاذهم من حمأة الجهالة، ومن التيه والضلالة، وأن يغمر أرواحهم، وكل وجودهم نور الإسلام، ويعيشوا روحانيته، وقيمه، ويتخلقوا بأخلاق أهل الإيمان..

وهذا هو ما يرضيه، ويسعد به «صلى الله عليه وآله»..

الأخلاق تعطي للعقل دوره:

ولعل هناك من يتساءل عن السبب الذي يكمن وراء اقتصار الآيات الكريمة في ملامتها لهؤلاء الناس على خصوص ندائهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من وراء الحجرات، مع انه امر يرتبط بشكليات السلوك، والآداب العامة، التي لا ترقى إلى رجة استباحة سمعة من يتخلف عنها، أو تسجيل ما يوجب له العار إلى يوم القيامة، مع أن جرمهم لا يقتصر على هذا فقد منعوا تحت طائلة التهديد بالقتل من إيصال الحق لأهله كما تقدم، بل يكفيهم سوءاً وشراً أنهم لا يزالون يتخذون سبيل الشرك والضلال..

ويمكن ان يجاب: بأن مسألة الأخلاق والآداب في غاية الأهمية، وهي حساسة جداً وأساسية في حياة البشر، وفي تعاطيهم مع القضايا، وفي وعيهم لأسبابها، ولآثارها، وتلمُّس ما يرتبط بها، أو ينشأ عنها..

بل إن لها دوراً في اختيارات الإنسان، وفي حصوله على السكينة والرضا بقضايا الإيمان، وفي تفاعله معها، والتأثر بها.

كما أنها تؤثر بشكل قوي في بعث العقول وإيقاظها من سباتها، لتتولى هي هداية الإنسان في حركته في الحياة، على أساس من الإدراك والوعي، المعتمد على التدبر والتأمل..

ولأجل ذلك ربط تعالى بين ندائهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من وراء الحجرات، وبين العقل، الذي به يزن الإنسان المتوازن أموره، ويأخذ بمشورته وبأحكامه في الإقدام والإحجام..

كما ويلاحظ: أن التعبير في الآية قد جاء بصيغة «يعقلون»، التي تشير إلى الصدور والفعل. ولم يقل: إنهم لا عقول لهم، أي أنهم لا يستعملون عقولهم.

بل إن الإبتلاء بواحدة من العاهات الأخلاقية قد يؤدي بالإنسان إلى إخراجه عن مقتضيات الفطرة وأحكام العقل، ثم إلى الإمعان في الإبتعاد والإنحراف عنها، حيث قد يستمر به هذا الإنحراف إلى ان يورده المهالك، وينتهي به إلى أن يصبح فرعونياً أو إبليسياً في فكره، ونظرته، وفي فهمه للقضايا، وفي سلوكياته ومواقفه..

وهذا ما يجعلنا نفهم بعمق سر اهتمام القرآن بالآداب والأخلاق المستندة إلى المفاهيم الحقة، وإلى القيم والمثل العليا..

وخلاصة القول: إن الإلتزام بالأدب إنما يكون انطلاقاً من مثل وقيم تفرضها وتقتضيها، وهذا الإلتزام يحتاج إلى الوقوف على حقائق تلك القيم ودقائقها ومعرفة حدودها وقيودها. وهو إنما يكون بتحريك العقل وإعطائه

دوره وموقعه، والإلتزام بأحكامه.. فإذا بلغ الإنسان هذه المرتبة، فإن أبواب الخير والفلاح ستفتح أمامه على مصاريعها في كل مجالات وشؤون الحياة، في الدين والدنيا. وتكون له السعادة الأبدية والخلود في النعيم.

مفاخر بني تميم:

ولسنا بحاجة إلى المقارنة، ولا إلى شرح ما فخر به التميميون، وما أجابهم به ثابت بن قيس.. فإن ما فخر به خطيبهم هو كثرة المال، وكثرة العدد، والزعامة.

أما خطيب الأنصار، الذي انتدبه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد اثنى على الله بما هو أهله، وحمده على أن اصطفى لهم رسولاً، متصفاً بأحمد الأوصاف وأسناها، وأفضلها، وأعلاها.

ثم اعتز بإيمانه وتصديقه وإجابته دعوته، وبنصرته له..

ولم يذكر كثرةً في الأموال ولا في العدد، ولا افتخر بزعامة ولا رئاسة، ثم تعهد بمجاهدة أهل الكفر والطغيان، وختم حديثه بالإستغفار لنفسه وللمؤمنين..

لماذا ثابت بن قيس؟!:

ويلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يطلب من رجل مهاجري أن يجيب خطيب بني تميم، ليس لأنه «صلى الله عليه وآله» لا يريد أن يرفع من شأن بني تميم حين يرون أنفسهم، ويراهم الناس مقابل رجالات قريش، فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يتعامل بهذه الطريقة، حتى لو كان وفد بني تميم يرغب في أن يرى نفسه ويراه الناس مقابل أعظم رجل خلقه الله

تعالى، وهو واسطة العقد في جميع مخلوقاته، فضلاً عن قريش وبني هاشم، وبني عبد المطلب. وهو الرجل الذي بهر الدنيا والعرب بالإنتصارات الإعجازية التي حققها على العرب وتجاوزتهم إلى الروم، وهو النبي الذي ظهرت معجزاته، وسطعت آياته، وأعجزت العقول دلائله وبيناته.

وإنما الذي دعا النبي «صلى الله عليه وآله» إلى انتداب ذلك الأنصاري للإجابة على ترهات بني تميم، هو أنه أراد أن يظهر لهم بالفعل قبل القول: أنه لا يريد أن يفاخرهم بقومه وعشيرته، على الرغم من أن أحداً لا يتوهم أن لبني تميم شأناً يذكر معهم، وما قياس بني تميم بهم، إلا كقياس حبة من خردل بالنسبة للطود العظيم!!

إنه يريد أن يجعل من استجابته هذه سبيل هداية لهم، وباب سداد ورشاد، ينقذهم مما هم فيه من جهالات وضلالات، ويعرفهم: أن العزة إنما هي لله، ومن الله، وأن الفخر إنما هو بالإيمان به، وبالإلتزام بطاعته، واجتناب معصيته، وبالجهاد في سبيله.

ولذلك اختار رجلاً من الأنصار ليجيب خطيبهم.

ومن جهة أخرى، فإنهم إذا كانوا يسيؤن إلى من يضيفهم، وهم خزاعة، ويتسببون بكل هذا الذي يجري، حتى تضطر خزاعة إلى طردهم، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي كان ينزل على الأنصار، قد رفع من شأن مضيفيه حتى جعلهم ملوكاً على الناس كما أعلنه خطيبه الأنصاري، وأصبح الأنصار يدافعون عنه، ويضحون بأنفسهم وبأبنائهم من أجله وفي سبيله، ثم هؤلاء هم يفاخرون عنه، ويكون جل بل كل فخرهم به ومنه..

فهل أدرك التميميون هذه الحقيقة؟! أم أن أكثرهم كانت لهم قلوب لا

يعقلون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها؟!

وهل يستطيع بنو تميم أن يجدوا حتى في حلفائهم وذوي رحمهم، من خزاعة أو غيرها من يدافع ويدفع عنهم، بمستوى دفاع ودفع الأنصار عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!.. أم أن ذوي رحمهم قد نبذوهم، وطردوهم وأخرجوهم، من أجل نفس هذا الذي جاء إليه وفد بني تميم، ليناظره ويفاخره؟!

ابن الأهتم، وابن عاصم:

وقد ظهر مصداق ما ذكرناه آنفاً في نفس مجلس المفاخرة الذي أرادوه في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فيما جرى بين عمرو بن الأهتم، وقيس بن عاصم.. حينما أراد قيس أن يصرف النبي «صلى الله عليه وآله» عن إشراك ابن الأهتم في الجائزة التي أعطاها «صلى الله عليه وآله» لوفد بني تميم، بدعوى: أن ابن الأهتم صغير السن لا شرف له.. فأصر النبي «صلى الله عليه وآله» على إجازته وقال: «فإنه وافد، وله الحق»، وأعطاه مثل ما أعطى القوم اثنتي عشرة أوقية ونصفاً.

لكن الواقدي قال: إنه أعطاه خمس آواق فقط، لحداثة سنه[1].

وروى البيهقي عن ابن عباس ما جرى بين الرجلين، فقال: «جلس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم التميميون. ففخر الزبرقان وقال: يا رسول الله، أنا سيد تميم،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩١ وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص٥٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٨٦.

والمطاع فيهم، والمجاب منهم، آخذ لهم بحقوقهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك. وأشار إلى عمرو بن الأهتم.

فقال عمرو بن الأهتم: إنه لشديد العارضة، مانع لجانبه، مطاع في أدانيه.

فقال الزبرقان: والله يا رسول الله، لقد علم مني غير ما قال، وما منعه أن يتكلم إلا الحسد.

فقال عمرو بن الأهتم: «أنا أحسدك؟! فوالله إنك للئيم الخال، حديث المال، أحمق الولد، مبغض في العشيرة.

والله يا رسول الله، لقد صدقت فيما قلت أولاً وما كذبت فيما قلت آخراً، ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت، وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت، ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعاً».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن من البيان لسحراً»[1].

فإذا كان رؤساء الوفد يسعون لمنع من جاؤوا يفاخرونه من إجازة بعض رفقائهم ببعض المال حسداً منهم لهم، وضناً بمال غيرهم، أو خشية من أن يعد ذلك امتيازاً لذلك البعض، يرفعه بين الناس بحيث يلحقه بهم..

فهل بعد هذا يمكن ان يتوقع هؤلاء من إخوانهم الإيثار والفداء، والتضحية بالنفس والمال لدفع الأسواء عنهم؟!.. أم أن عليهم أن يتوقعوا من نفس رؤسائهم أن يقذفوا بهم في أتون المكاره والأسواء، لينعموا هم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩١ وراجع: الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١١٦٣ والتمهيد لابن عبد البر ج٥ ص١٧٢ وأسد الغابة ج٤ ص٨٧ والوافي بالوفيات ج١٤ ص١١٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٢٠.

بالجاه والمال وبالراحة، وليحصلوا على المنافع والمناصب من خلال ذلك.

الله يؤيد حسان ما دافع عن نبيه:

وقد ورد في الرواية: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس، ما دافع عن نبيه.

أو قال له: لا تزال ـ يا حسان ـ مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»[1].

ولسنا بحاجة إلى تذكير القارئ بأن هذا القيد الوارد في دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» لحسان، يشير إلى علمه بأن حساناً سوف ينقطع عن هذا النصر، ويتحول عن نصرة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى نصرة بني أمية، وغيرهم، حين يؤيد غاصبي حق علي «عليه السلام»، ويخالف أوامر الله ورسوله فيه، ويعرّض نفسه لدعاء النبي «صلى الله عليه وآله» عليه بالخذلان، في قوله «صلى الله عليه وآله» في حديث الغدير: «وانصر من نصره واخذل من خذله».

وقد نظم ذلك الحديث حسان شعراً، فقال:

وقال: فمن مولاكم ووليكم ... فقالوا: ولم يبدوا هناك التعاديا

إلهك مولانا وأنت ولينا ... ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا

---

(١) راجع: الإرشاد للمفيد ج١ ص١٧٧ وخصائص الأئمة للشريف الرضي ص٤٢ والفصول المختارة للشريف المرتضى ص٤٩ و ٢٩١ والصوارم المهرقة للتستري ص٣٣٦ والبحار ج١٠ ص٢٩٣ وج٢١ ص٣٨٨ وج٢٩ ص٦٩ وج٣٧ ص١٦٦ والغدير ج٢ ص٧ و ٣٤ و ٣٧ ومجمع البيان ج٨ ص٢٨٧ والتفسير الصافي ج٤ ص٢٦٠ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٣٩٣ ومصادر كثيرة أخرى.

فقال له: قم يا علي فإنني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أنصار صدق مَوَالياً
هناك دعا اللهم والِ وليه وكن للذي عادى علياً معاديا[1]

هذا.. وقد قال الشيخ المفيد «رحمه الله»: «وإنما اشترط رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الدعاء له، لعلمه بعاقبة أمره في الخلاف، ولو علم سلامته في مستقبل الأحوال لدعا له على الإطلاق. ومثل ذلك: ما اشترط الله تعالى في مدح أزواج النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يمدحهن بغير اشتراط، لعلمه أن منهن من يتغير بعد الحال عن الصلاح الذي يستحق عليه المدح والإكرام، فقال عز قائلاً: ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾[2].

ولم يجعلهن في ذلك حسب ما جعل أهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله» في محل الإكرام والمدحة، حيث بذلوا قوتهم للمسكين واليتيم والأسير، فأنزل سبحانه وتعالى في علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين «عليهم السلام»، وقد آثروا على أنفسهم مع الخصاصة التي كانت بهم، فقال جل قائلاً: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً

---

(١) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٧٧ والاقتصاد للشيخ الطوسي ص٢٢١ وخصائص الأئمة للشريف الرضي ص٤٢ والفصول المختارة للشريف المرتضى ص٢٩١ وكتاب سليم بن قيس (تحقيق محمد باقر الأنصاري) ص٣٥٦ وأقسام المولى للشيخ المفيد ص٣٥.

(٢) الآية ٣٢ من سورة الأحزاب.

عَبُوساً قَمْطَرِيراً فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾[1]، فقطع لهم بالجزاء، ولم يشترط لهم كما اشترط لغيرهم، لعلمه باختلاف الأحوال على ما بيناه[2].

ومما يشير إلى انحراف حسان قول المسعودي: «كان حسان عثمانياً منحرفاً عن غيره. وكان إليه محسناً، وهو المتوعد للأنصار في قوله:

يا ليت شعري، وليت الطير يخبرني	ما كان شأن علي وابن عفانا
لتسمعن وشيكاً في ديارهم	الله أكبر يا ثارات عثمانا»[3]

وقال ابن الأثير: «بايعت الأنصار علياً «عليه السلام» إلا نفيراً يسيراً، منهم حسان بن ثابت.. وقال رجل لعبد الله بن حسن: كيف أبى هؤلاء بيعة علي وكانوا عثمانية؟!

قال: أما حسان فكان شاعراً لا يبالي ما يصنع؟!»[4]

الشاعران يفتخران:

وقد افتخر شاعر بني تميم، وهو الزبرقان بن بدر بالإنتهاب عنوة من

---

(١) الآيات ٨ ـ ١١ من سورة هل أتى.

(٢) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٧٧ و ١٧٨ والبحار ج٢١ ص٣٨٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٤٢٠.

(٣) مروج الذهب ج٢ ص٣٤٧.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٤٢٥ والكامل في التاريخ ج٣ ص١٩١ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ج٤ ص٨٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٤٤٤.

الأحياء، وبنحر الجزور الكوماء، وبإطعام الطعام والأضياف والنزلاء..

أما حسان فافتخر برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبالعفاف الذي ذكره الوحي الإلهي، وبالقناعة حين يثور الطمع المردي، وبالتقوى، وبالشجاعة في ساحات الوغى، من دون أن يفرحهم النصر، ومن دون أن يجزعهم أو أن يسقطهم عند المصاب، وبأنهم لا يدبون إلى المغلوبين كما يدب المفترس إلى فريسته ليمزقها، ونحو ذلك من معان، تشير إلى عظمة الإيمان، وسمو نفوس المؤمنين والصالحين، وإلى الخصال الحميدة، التي تجذرت ونمت في تلك النفوس..

وقد كان لا بد لهم أن يدركوا، ثم أن يقروا بهذا التفاوت الظاهر بين ما قاله خطيبهم وشاعرهم، وما قاله خطيب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وشاعره.

وهذا ما حصل بالفعل.

حديث التحكيم:

١ ـ وإن صح حديث التحكيم في السبايا والأسرى، فإننا نقول: إن من الأمور التي تزيد في وضوح سوء حال هؤلاء القوم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد تحكيم واحد منهم في الأسرى والسبايا.. فيبادرون إلى الرفض، ويقترحون عليه غيره.. وهذه إساءة أخرى تضاف إلى جملة إساءاتهم.

ولعل سبب رفضهم هذا هو: أنهم لا يريدون الإقرار بزعامة ذلك الذي اقترحه «صلى الله عليه وآله»، أو لايريدون تكريس زعامته عليهم، رغم أنه منهم!! ورغم أن الأمر يتعلق بمصير أسراهم وسباياهم.

وهل يعلمون أن النبي «صلى الله عليه وآله» لو ألغى هذا التحكيم، غضباً من تصرفهم السيء هذا، فإن نساءهم سوف تتعرض لخطر

الإسترقاق، وهو الأمر الذي يدَّعون أنهم لا يرضون به لأنفسهم، وتأباه لهم غيرتهم وكرامتهم..

فلماذا لم يقدّروا للنبي «صلى الله عليه وآله» حلمه عنهم، وتفضله عليهم؟! بوضعه مصير رجالهم ونسائهم في يد رجل منهم، لا من قبيلة أخرى. بل إن نفس أن يبادر النبي «صلى الله عليه وآله» لإخراج هذا الأمر من يده ويرضى بالتحكيم في هذا الأمر لهو فضيلة عظيمة، ومنة، وكرامة لا مثيل لها، فإن أحداً لا يرضى مهما ألحوا عليه ـ وهو منتصر ـ بأن يجعل القرار في الأسرى والسبايا الذي هم بيده إلى غيره.. ولاسيما إذا كان هو الذي اعتدي عليه من قبل أولئك الأسرى، وقبائلهم أنفسهم..

فما بالك بمن يبادر هو إلى ذلك، بل هو يبادر إلى تحكيم نفس المعتدين عليه؟!

والأعظم والأهم من ذلك كله، أن يكون هذا الذي رضوا به حكماً، قد حكم بأن يفدى شطر وأن يعتق شطر..

ولا ندري لماذا حكم على النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يعتق ذلك الشطر؟! ألا يعد هذا الحكم مجحفاً وغير منصف.

ومع غض النظر عن ذلك كله، فإن هذا الحكم يمثل إقراراً من زعيم وحاكم اختاروه هم أنفسهم، بأن هؤلاء الناس رقٌّ لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهو بالتالي إقرار بالعدوان واعتراف بالظلم والطغيان، فلماذا يريد هؤلاء الظالمون والمعتدون أن يفاخروا من ظلموه واعتدوا عليه، وهو يعاملهم بهذا الحلم والكرم والإباء والشمم، وذلك حين توّج ذلك كله القرار النبوي برد الأسرى والسبي، والعفو عنهم من دون مقابل كما أوضحته الرواية الأخرى..

عيينة في وفد بني تميم:

وبعد.. فإن النصوص التاريخية قد صرحت: بأن عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس كانا في وفد بني تميم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»[١].

مع أن عيينة هو الذي تبرع للنبي «صلى الله عليه وآله» بالإتيان بهم أسرى إليه، وقد قام بذلك فعلاً.

فما معنى: أن ينضم إلى وفدهم، ويأتي معهم؟!

ألا يدل ذلك على: أنه كان لا يزال على شركه، وعلى قلة وعيه للأمور، وانتهازيته، وعلى أعرابيته، وها قد حن إلى إلفه، وسعى إليهم بظلفه؟!

غرور بني تميم:

وقد قال بنو تميم لرسول الله «صلى الله عليه وآله» حين خرج إليهم: «إن مدحنا لزين، وإن ذمنا لشين، نحن أكرم العرب».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كذبتم، بل مدحة الله عز وجل الزين، وذمه الشين، وأكرم منكم يوسف بن يعقوب»[٢].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٨٧ عن ابن مردويه، وابن إسحاق. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج١٠ ص٢٧٢ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٢ ص٥٢٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٧٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٥١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٧٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٨٧ والدر المنثور ج٦ ص٨٧ عن ابن مردويه، وابن إسحاق. وراجع: تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج٣ ص٣٣١ وتفسير الآلوسي ج٢٦ ص١٤١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢١٧.

ويظهر من رواية أخرى مروية عن الأقرع بن حابس، والبراء بن عازب: أن الأقرع بن حابس نفسه هو الذي قال ذلك، فقد رويا: أنه جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا محمد، اخرج إلينا. فلم يجبه.

فقال: يا محمد، إن حمدي لزين، وإن ذمي لشين.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ذاك الله عز وجل».

فقالوا: إنَّا أتيناك لنفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا.

قال: قد أذنت لخطيبكم، فليقل الخ..»[1].

ونقول:

١ ـ يتجلى غرور هؤلاء القوم بما لا مزيد عليه، حين يضعون أنفسهم في مقام لا يجرؤ أحد على وضع نفسه فيه. فلو سلمنا ـ وإن كان هذا التسليم لا مبرر له ـ أن دافعهم للمدح أو الذم ليس هو الهوى والعصبية، والرعونة

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٨٧ و ٢٨٨ عن أحمد عن الأقرع، عن ابن جرير بسند جيد، وأبي القاسم البغوي، والطبراني بسند صحيح، والترمذي وحسنه، وابن أبي حاتم، وابن المنذر عن البراء ابن عازب، والدر المنثور ج٦ ص٨٦ عن أكثر من تقدم. وراجع: مجمع الزوائد ج٧ ص١٠٨ وتحفة الأحوذي ج٩ ص١٠٩ وكنز العمال ج٣ ص٨١٠ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٢٣ ولباب النقول للسيوطي (ط دار إحياء العلوم) ص١٩٦ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٧٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٩٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٩ ص١٨٤ و ١٨٥ وج٤٠ ص٣٥٨ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٢٥٣ والوافي بالوفيات ج١٠ ص٢٨٠ والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٥٥ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٤١ وج٣ ص٤٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٨٦.

وما إلى ذلك، وقبلنا جدلاً أنهم يتحرون الدقة والأمانة والصدق فيما يقولون، فإن الكل يعلم أنهم حين يمدحون أو يذمون، إنما يذكرون ما ظهر لهم.. ونحن نعلم علم اليقين أنهم لا يملكون القدرة على كشف الحقائق، واستكناه بواطن الأمور، بل إن الله وحده هو العالم بالسرائر، والمطلع على ما في الضمائر وقد يطلع على ذلك أنبياءه.. فكل مدح أو ذم من سواه يبقى في دائرة احتمالات الصدق والكذب، أو الخطأ والصواب، أو التمام والنقص.. فلا يمكن أن يكون زيناً، ولا شيناً.

أما حين يأتي المدح أو الذم من علام الغيوب، والواقف على ما في الضمائر والقلوب، والخالق والمدبر والمهيمن والمسيطر، فلا ريب في أنه هو الحق، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولابد أن يكون مدحه زيناً، وذمه شيناً.

٢ ـ أما قوله «صلى الله عليه وآله»: «وأكرم منكم يوسف بن يعقوب» إن صح أنه قوله.. فلربما يكون مقصوده إلزامهم بما يلزمون به أنفسهم، والإحتجاج عليهم بمن لا سبيل لهم إلى إنكاره، مما أخذوه عن أهل الكتاب الذين كانوا يمثلون المرجعية لهم، وعن يوسف «عليه السلام»، فإنه أكرم منهم، على الرغم مما ينسبه إليه أهل الكتاب من ترهات وأباطيل، فيما يرتبط بعفته، ووفائه، وحفظه للعزيز في عرضه، إلى غير ذلك مما قد يتظاهر بنو تميم بالتنزه عنه.. مع اعترافهم بنبوته.

وتسقط بذلك دعواهم الفضل والكرامة على سائر العرب. وهم يرون أن العرب أكرم الأمم.

بنو تميم، والأعور الدجال:

قال ابن إسحاق عن وفد بني تميم: وفيهم نزل من القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1].

وسئل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «هم جفاة بني تميم، لولا انهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم»[2].

ونقول:

إن هذه الرواية لم ترد في أي مصدر يتكفل برواية حديث أهل بيت العصمة، وإذا راجعنا تاريخ بني تميم، فسنجد أنهم كانوا بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ في الأكثر ـ أعداء لعلي «عليه السلام»، حتى إن غالبية الخوارج كانوا من بني تميم[3].

ويستظهر الجاحظ: أن بني صريم ـ وهم من بني تميم ـ كانوا من الخوارج أيضاً[4].

وكل ذلك يجعلنا نظن ـ أو نحتمل ـ أن هذه الرواية قد وضعت مكافأة لبني تميم على بغضهم لعلي «عليه السلام»، وشكراً لهم على محاربتهم إياه. فليلاحظ ذلك.

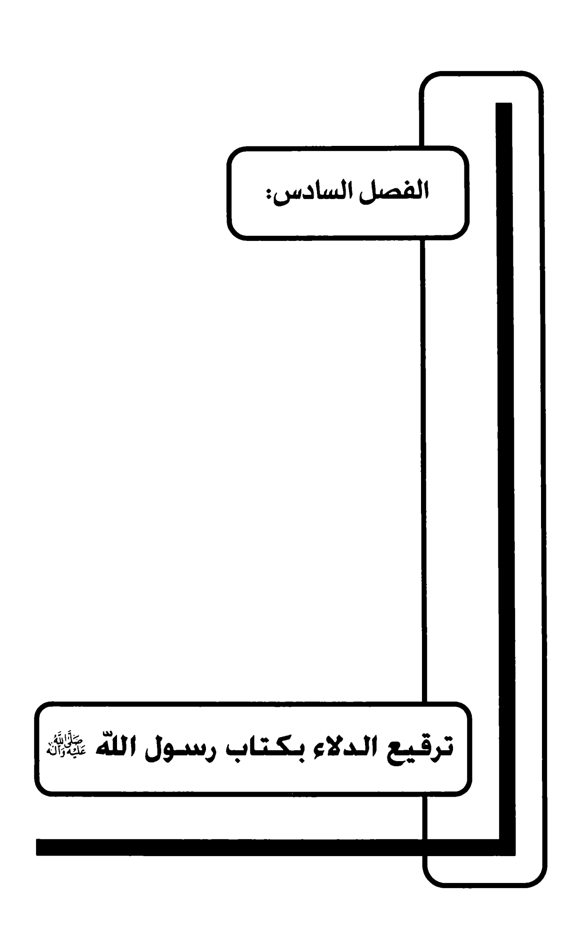
---

(١) الآية ٤ من سورة الحجرات.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩١.

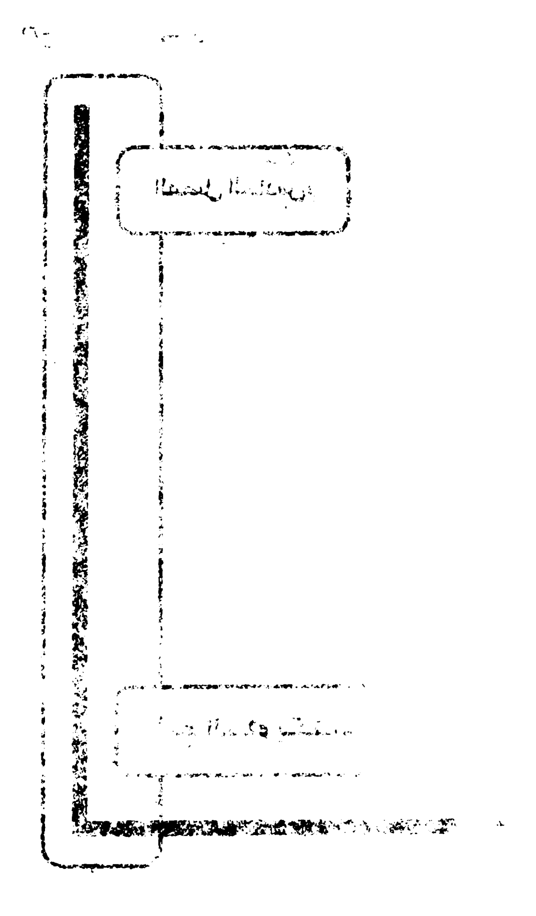
(٣) فجر الإسلام ص٢٥٦ وقضايا في التاريخ الإسلامي ص٣٧ و ٦٨ و ٧١ عن تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٥١٦ وعن العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص١٤٥ وضحى الإسلام ج٣ ص٣٣٢ والخوارج والشيعة ص٧٤ وتاريخ الإسلام السياسي ج١ ص٣٩٧ ودائرة المعارف الإسلامية ج٨ ص٤٧٠.

(٤) البيان والتبيين ج١ ص٢٠٦.



الفصل السادس:

ترقيع الدلاء بكتاب رسول الله ﷺ



ترقيع الدلاء بكتاب الرسول ﷺ:

وقد ذكرت عدة سرايا إرسلت إلى جماعات، أو أشخاص، كتب إليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام، فرقعوا دلاءهم بكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» استهانة منهم به، وسوء خلق وأدب لا مبرر له..

واللافت هنا: أن هذه الأحداث المتشابهة في هذا الأمر ـ أعني ترقيع الدلاء ـ قد جاءت متقاربة من حيث الزمان، فهل هذا يشير إلى أن بعض الرواة قد وهموا في تحديد من فعل ذلك؟! أو أنهم تعمدوا أن يلقوا التهمة على هذا أو ذاك، ليجنبوا الفاعل الحقيقي هذا العار؟!.. أو أن هناك من فعل هذا الأمر أولاً، ثم تناقله الناس، فراق لبعض الفئات أن تقتدي بمن سبقها إلى هذا الأمر الشنيع؟!..

إن ذلك كله ممكن، ولا مجال لاستبعاده بصورة قاطعة، فإن له نظائر في التاريخ.

وحيث إننا غير قادرين على الحسم في هذا الأمر، فلا بد لنا من اعتماد الإحتمال الأخير، الذي يدعونا للأخذ بهذه الروايات حتى يظهر لنا ما يردعنا عنها، أو يقوي الشبهة في صحة بعض أطرافها..

وقد جمعنا ما ظهر لنا منها في صعيد واحد، لأن للتفريق آفاته ومتاعبه، ومشكلاته، التي ربما يؤثر بعضها على ذهنية القارئ الكريم..

فإلى ما يلي من مطالب.. وعلى الله نتوكل، ومنه نستمد القوة والعون، والسداد والرشاد..

بعث الضحاك الكلابي إلى القرطاء:

قال محمد بن عمر، وابن سعد: سنة تسع[1].

وقال الحاكم: في آخر سنة ثمان[2].

وقال محمد بن عمر الأسلمي: في صفر[3].

وقال ابن سعد: في ربيع الأول وجرى عليه في المورد والإشارة[4].

قالوا: بعث رسول الله صلى «صلى الله عليه وآله» جيشاً إلى القرطاء، (وهم بطن من بكر)[5]، عليهم الضحاك بن سفيان الكلابي، ومعه الأصيد بن سلمة بن قرط، فلقوهم بالزُّج، زج لاوة بنجد، (موضع بناحية

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٦٢ وعيون الأثر ج٢ ص٢٣٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٢٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٥ و ٢١٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٥ و ٢١٦.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٦٢ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٤٣ وعيون الأثر ج٢ ص٢٣٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٢٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٢٠ عن المواهب اللدنية، والإصابة ج١ ص٥٣.

(٥) شرح المواهب اللدنية ج٣ ص٥٧.

ضرية)[1]، فدعوهم إلى الإسلام، فأبوا، فقاتلوهم، فهزموهم.

فلحق الأصيد أباه سلمة، وسلمة على فرس له في غدير بالزُّج، فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان، فسبه وسب دينه، فضرب الأصيد عرقوبي فرس أبيه، فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على رمحه في الماء، ثم استمسك به حتى جاءه أحدهم، فقتل سلمة ولم يقتله ولده[2].

وقد ذكر ابن حبان: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إلى القرطاء، فرقعوا دلوهم بكتابه[3].

وفي شواهد النبوة: بعث النبي «صلى الله عليه وآله» سرية إلى بني كلاب، وكتب إليهم في رق، فلم ينقادوا، وغسلوا الخط عن الرق، وخاطوه تحت دلوهم.

فلما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» الخبر قال: ما لهم! أذهب الله عقولهم!!

فلذا لا يوجد من بني كلاب إلا مختل العقل، ومختلط الكلام، وبعضهم بحيث لا يفهم كلامه[4].

وعند البلاذري: أنه أرسل الضحاك بن سفيان الكلابي في شهر ربيع الأول سنة تسع إلى قوم من بني كلاب، كتب إليهم «صلى الله عليه وآله»،

---

(١) وفاء الوفاء ج٢ ص٣١٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٦٣ و ٣٥٦ وعيون الأثر ج٢ ص٢٣٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٢٣.

(٣) الثقات ج٢ ص٩١.

(٤) تاريخ الخميس ج٢ ص١٢٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٢٢.

فرقعوا بكتابه دلوهم، فأوقع بهم»[1].

وقال ابن حجر في ترجمة سمعان بن عمرو الكلابي: «ذكر أبو الحسن المدائني في كتاب رسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأسانيده، قالوا:

وبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى سمعان بن عمرو مع عبد الله بن عوسجة، فرقع بكتابه دلوه.

فقيل لهم: بنو المرقع. ثم أسلم سمعان، وقد قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنشده:

أقـلني كـما أمـنـت ورداً ولم أكـن ... بأسـوأ ذنـبـاً إذ أتـيـتـك مـن ورد

يشير بذلك إلى ورد بن مرداس[2].

جفينة يرقع دلوه أيضاً:

ورووا أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إلى جفينة النهدي، أو الجهني، أو الغساني كتاباً فرقع به دلوه، فقالت له ابنته: عمدت إلى كتاب سيد العرب، فرقعت به دلوك؟!

فهرب فأخذ كل قليل وكثير هو له، ثم جاء بعد مسلماً[3].

---

(١) أنساب الأشراف ج١ ص٣٨٢.

(٢) الإصابة ج٢ ص٨٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج٣ ص١٥٣ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج١ ق١ ص٣١ و (ط دار صادر) ج١ ص٢٨٠ ورسالات نبوية ص٢٢ ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٧٦ ومكاتيب الرسول ج١ ص١٩٥ .وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٦٤.

(٣) مكاتيب الرسول ج١ ص٢٠٣ وقال في هامشه: راجع: البحار ١٩ ص١٦٦ =

سرية إلى رعية السحيمي:

وروي أيضاً بسند جيد: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتب إلى رعية السحيمي كتاباً في أديم أحمر، فأخذ كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فرقع به دلوه.

فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» سرية، فلم يدعوا له سارحة ولا رائحة، ولا أهلاً ولا مالاً إلا أخذوه، وانفلت عرياناً على فرس له، ليس عليه سترة حتى انتهى إلى ابنته، وهي متزوجة في بني هلال، وقد أسلمت وأسلم أهلها. وكان مجلس القوم بفناء بيتها، فدار حتى دخل عليها من وراء البيت.

فلما رأته ألقت عليه ثوباً وقالت: مالك؟

قال: «كل الشر نزل بأبيك، ما ترك له رائحة ولا سارحة ولا أهل ولا مال.

قالت: دعيت إلى الإسلام؟

قال: أين بعلك؟

قالت: في الإبل.

فأتاه. قال: ما لك؟

قال: كل الشر نزل بي، ما تركت لي رائحة ولا سارحة، ولا أهل ولا

= والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٢٦١ والإصابة ج١ ص٢٤١ / ١١٧٥ وأسد الغابة ج١ ص٢٩١ وكنز العمال ج١٥ ص٢٩٥ عن أبي نعيم، ورسالات نبوية ص١٥ والأمالي للشيخ الطوسي ج١ ص٣٩٧ ومجموعة الوثائق السياسية ١٧٤/ ٩٢ عن قسم من المصادر المتقدمة، وقال: قابل الجرح والتعديل لأبي حاتم الرازي ج١ ص٢١ الرقم (٢٢٦٣) وراجع: المعجم الكبير للطبراني ج٢ ص٣٢٥ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٠٨ والكامل لابن عدي ج٤ ص١٤٥٧.

مال، وأنا أريد محمداً قبل أن يقسم أهلي ومالي.

قال: فخذ راحلتي برحلها.

قال: لا حاجة لي فيها.

قال: فخذ قعود الراعي. وزوده إداوة من ماء.

قال: وعليه ثوب إذا غطى به وجهه خرجت استه، وإذا غطى استه خرج وجهه، وهو يكره أن يعرف، حتى انتهى إلى المدينة، فعقل راحلته. ثم أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فكان بحذائه حيث يقبل. فلما صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصبح قال: يا رسول الله، ابسط يدك أبايعك، فبسطها. فلما أراد أن يضرب عليها قبضها إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: ففعل ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاثاً ويفعله.

فلما كانت الثالثة قال: «من أنت»؟

قال: أنا رعية السحيمي.

قال: فتناول رسول الله «صلى الله عليه وآله» عضده، ثم رفعه، ثم قال: «يا معشر المسلمين، هذا رعية السحيمي الذي بعثت إليه كتابي فرقع به دلوه».

فأخذ يتضرع إليه.

قلت: يا رسول الله، أهلي ومالي.

قال: «أما ما لك فقد قسم، وأما أهلك فمن قدرت عليه منهم».

فخرج، فإذا ابنه قد عرف الراحلة وهو قائم عندها، فرجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله، هذا ابني.

قال: «يا بلال، أخرج معه فسله أبوك هو؟ فإذا قال: نعم، فادفعه إليه».

فخرج إليه، فقال: أبوك هذا؟

قال: نعم.

فرجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله، ما رأيت أحداً منهما استعبر لصاحبه.

قال: «ذاك جفاء الأعراب»[1].

سرية إلى بني حارثة بن عمرو:

وفي مستهل شهر ربيع الأول سنة تسع بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» عبد الله بن عوسجة [إلى بني حارثة بن عمرو] يدعوهم إلى الإسلام. فأخذوا الصحيفة، فغسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهم، وأبوا أن يجيبوا، فرفع ذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «ما لهم ذهب الله بعقولهم»؟

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤١ و ٢٤٢ عن أحمد، وابن أبي شيبة، ومسند أحمد ج٥ ص٢٨٥ و ٢٨٦ وراجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٢١٠ عن الإصابة ج١ ص٥١٦/ ٢٦٥٩ في رعية وص٢٤١ في جفينة الجهني، وأسد الغابة ج٢ ص١٧٦ و ١٧٧ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٥٣٦ وكنز العمال ج٤ ص٣٤٠ عن أحمد، وعبد الرزاق بأسانيد وص٣٤١ عن ابن أبي شيبة، وص٣٤٢ عن الطبراني، وأعلام السائلين ص٣١ ورسالات نبوية ص١٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج١٤ ص٣٤٤ وراجع: مجموعة الوثائق السياسية ص٢٧٥ و (في ط أخرى) ص٣٢٣/ ٢٣٥ عن جمع ممن تقدم وعن: إمتاع الأسماع للمقريزي ج١ ص٤٤ وتعجيل المنفعة لابن حجر ص٣٢١ وأنساب الأشراف للبلاذري ج١ ص٣٨٢. وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق٢ ص٣١ والكامل لابن عدي ج٤ ص١٤٥٧ والمعجم الكبير للطبراني ج٥ ص٧٧/ ٤٦٣٥ و ص٧٨/ ٤٦٣٦ ومجمع الزوائد ص٢٠٥ ـ ٢٠٦.

فهم إلى اليوم أهل رعدة، وعجلة، وكلام مختلط وأهل سفه.

قال محمد بن عمر: قد رأيت بعضهم عيياً لا يحسن يبين الكلام.

وقالت أم حبيب بنت عامر منكرة عليهم:

إذا ما أتتهم آية من محمد محوها بماء البئر فهو عصير[1]

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

سرايا دعوة:

قد صرحت النصوص المتقدمة بما لم نزل نشير إليه، ونذكر القارئ به، وهو: أن سرايا رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانت إما استباقية، حينما كان يبلغه «صلى الله عليه وآله» أن جماعة قد جمعوا وتهيأوا لمباغتة المسلمين بالحرب، وإما لأجل الدعوة إلى الإسلام، فإذا واجهوا الدعاة بالعنف،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٣ عن أبي سعيد النيسابوري في الشرف، وعن دلائل النبوة، وأنساب الأشراف ج١ ص٣٨٢ والإصابة ج٢ ص٣٥٥ وج٤ ص٤٤٦ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٣٨٤ وأسد الغابة ج٣ ص٢٣٩ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٨٢ و ٩٨٣ والإمتاع ص٤٤١ والبحار ج١٨ ص١٦ والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٨١ والثقات لابن حبان ج٢ ص٩١ ومعجم قبائل العرب ص٨٣ عن المواهب اللدنية، ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٧٥ ورسالات نبوية ص١٢ وعن السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٣٦٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٢٠ عن سيرة مغلطاي، وعن شرف المصطفى للنيسابوري، وعن المواهب اللدنية.

دافعوا عن أنفسهم، وهو حق مشروع لهم.

دعاء النبي ﷺ يناسب منطقهم:

وقد لاحظنا: أن رد بني حارثة بن عمرو، وسائر من تقدم ذكرهم، على كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليهم قد اتسم بالاستهتار والخفة، وبالصلف، وبالسفه والوقاحة، حيث كانوا يأخذون الصحيفة، وبعد أن يغسلوها، يرقعون بها أسفل دلائهم.. فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليهم بأن يبتليهم الله بما يتناسب مع نفس فعلهم، وهو خفة العقل، وظهور الإختلاط والسفه.

وقد أظهر الله كرامة نبيه باستجابة دعائه فيهم.. ليكون ذلك عبرة لهم، ولغيرهم ممن يسير في طريق الإستكبار، والعنجهية، والإستهتار بالحق، والإستخفاف بأهله.

نعم، لقد جاءت هذه الدعوة النبوية، واستجابتها منسجمة مع طبيعة المنطق الذي واجهوا به النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنه كان يتسم بالإستخفاف المتمثل بترقيع دلائهم بكتابه «صلى الله عليه وآله».. فإن تصرفهم هذا تجاه دعوة الحق والخير والهدى قد جاء مجانباً للمنطق، وللإنصاف، يتسم بالخفة والصبيانية، وعدم التعقل، حيث لم يواجهوا الحجة بالحجة، ولا استجابوا لنداء الضمير والوجدان، الذي يفرض عليهم الخضوع للحق، والأخذ بأحكامه، والإستسلام لقضاء الفطرة، وحكم الوجدان. فاستحقوا أن يكونوا في نفس هذا الموقع الذي ارتضوه لأنفسهم، فكانت الدعوة النبوية، التي أعقبتها الإستجابة الإلهية.. تماماً كما كان الحال بالنسبة لقوم ثمود، الذين قال الله تعالى

عنهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى..﴾(1).

لا يوجد إلا مختل:

وقد صرحت الروايات المتقدمة: بأنه لم يوجد في أولئك القوم، إلا مختل العقل، فيه رعدة وسفه، واختلاط..

بل لقد زعم الواقدي: أنه رأى بعضهم عيياً لا يحسن الكلام.

ونحن لا يخالجنا شك في أن الله تعالى قد استجاب لنبيه «صلى الله عليه وآله» دعوته فيهم.. غير أننا نقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» إنما يدعو على من أذنب دون سواه.. فما معنى أن يستمر العي والإختلاط و.. و.. الخ.. في أعقابهم؟!

ويمكن أن يقال في الجواب: إن ذلك يخضع للسنن الإلهية المودعة في المخلوقات، ولعل منها: أن تبقى آثار العي في أعقابهم من خلال قانون الوراثة للخصال، وللأمراض والعاهات، وانتقال بعض ذلك إلى الذرية بنحو أو بآخر، فإن العرق دساس..

وليكن هذا من جملة العقوبات التي يستحقها من يستهينون برسل الله تبارك وتعالى.

جفاء الأعراب:

وقد تعجب بلال من عدم استعبار الولد لأبيه، والعكس، فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بما رآه، وكأنه يريد أن يعبر للنبي «صلى الله عليه وآله»

---

(١) الآية ١٧ من سورة فصلت.

عن شكه في أن يكونا أباً وابناً، متخذاً من عدم استعبار أحدهما للآخر، وهما في محنة دلالة تؤكد شكه هذا..

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي كان يعرف طبائع الناس وحالاتهم قد أوضح لبلال أن سبب ما رآه، وهو جفاء الأعراب، حيث إن طبائعهم تختلف عن طبائع غيرهم، فإنهم يعيشون قسوة الناس عليهم، بما يمارسونه ضد بعضهم البعض من سلب ونهب، وأسر، وقتل. ويواجهون قسوة الطبيعة عليهم في حرها وبردها، وفي شحها بالماء والكلأ، وقسوة الجهل، وعدم المعرفة بنتائج وآثار كثير من أعمالهم، وبواقعهم.

نعم، إنهم يشاهدون ويعانون من ذلك كله، فيقسمونه على بعضهم البعض، ويهون على الوالد رؤية ولده في مشقة وتعب وجهل وتخلُّف، وأن يرى الولد أباه على نفس هذه الحال، ما دام أن الجهد والتعب، ومواجهة المصائب والبلايا يشمل الجميع، وهو جزء من حياتهم اليومية.. فلا غرابة في أن نراهم جفاة قساة في حياتهم العادية، مع القريب والبعيد من دون استثناء.

قتال من يأبى الإسلام:

تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل الضحاك الكلابي مع جيش إلى القرطاء، فدعوهم إلى الإسلام، فأبوا، فقاتلوهم.

فقد يستظهر من قوله في سرية القرطاء: «فقاتلوهم، فهزموهم»: أن الإستعداد للقتال كان قائماً من كلا الطرفين.

وقد قلنا أكثر من مرة: إن مجرد عدم قبول فئة من الناس الإسلام لا

يدفع الدعاة إلى القتال، لو لم تكن تلك الفئة قد تصرفت بصورة عدوانية تجاه أولئك الدعاة، وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1].

وقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2].

ومما يدل على أن سرايا رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانت سرايا دعوة أنها كانت قليلة العدد، ضعيفة العدة، وكانت تتعرض للتحدي وللقتل في كثير من الأحيان، وكثيراً ما يكون إرسال سرايا القتال لمعالجة الموقف، أو للرد على العنف والعدوان الذي تعرضت له سرايا الدعوة.

الأصيد.. لا يقتل أباه:

١ ـ وقد ظهرت المباينة بين سلوك الأصيد من جهة، وبين سلوك أبيه من جهة أخرى، حيث إن الأصيد يريد لأبيه النجاة، فيعطيه الأمان في الدنيا، ويطلب منه المبادرة لقبول ما ينجيه في الآخرة، وهو الإسلام..

ولكن أباه يقابله على ذلك بالشتيمة والسب له ولدينه.. وقد صدق الشاعر حيث يقول:

أريـد حبـاءه ويـريـد قتـلي   عـذيـرك مـن خـليـلك من مراد

---

(١) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

(٢) الآية ٣٤ من سورة فصلت.

٢ ـ وحين أصر سلمة على موقفه، لم يبادر ولده إلى إيصال الأذى إليه، بل اكتفى بعرقبة فرسه، أمسك عنه تأدباً، فلحقه المسلمون، فقتلوه..

٣ ـ ولا ندري ما المبرر لسب سلمة لولده، وهو إنما يدعوه إلى ما فيه نجاته ونجاحه، وفلاحه وصلاحه، كما أننا لا ندري ما الذي دعاه لأن يسب دينه، وهو دين الخير والبركات، والقول السديد، والرأي الحميد، وهو دين الحق والهدى، والرشاد والسداد؟! فهل نظر في هذا الدين فوجد فيه ما يوجب هذا السب؟!. أم أنه اللجاج والعناد، والإستكبار والجحود؟!

ترقيع الدلاء:

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: أن الذين رقعوا دلاءهم بكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد تعددوا، فهل كان عامة العرب يعانون من أزمة في دلائهم، فلا يجدون ما يرقعونها به؟! حتى جاءتهم كتب النبي «صلى الله عليه وآله»، فاغتنم بعضهم الفرصة، واجترأ على مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» دون أن يفكر بالعواقب. وخاف الآخرون من الإقدام على هذا الأمر؟!..

إن الحقيقة هي: أن الأمر لم يكن كذلك، وإنما هو سوء أدب، وأعرابية وقحة، ومتجرئة ولا مبالية، تنقاد للهوى، ولا تعيش معنى القيمة والكرامة الإنسانية إلا في عناوين تتلاءم مع عقلياتها، وعصبياتها، وجهلها، وحاجاتها الشهوانية والأهوائية.

السحيمي وابنته:

وقد قرأنا في النصوص المتقدمة قصة السحيمي، وما جرى بينه وبين

ابنته حينما وصل إليها على تلك الحال المزرية، والمتناهية في السوء والذلة والخزي. حتى إنه لم يجرؤ على دخول بيتها من بابه، بل دخل من وراء البيت، كي لا يرى الناس حاله..

وقد أدركت ابنته بمجرد رؤيتها إياه: أنه اتخذ سبيل العناد واللجاج، وواجه الدعوة إلى الحق بالرد اللئيم والحاقد، الذي يحتقر حتى أنبياء الله وأصفياؤه، من دون ذنب أتوه إليه، سوى الرغبة في إخراجه من الظلمات إلى النور، ومن النار إلى الجنة، ومن الضلال إلى الهدى..

والظاهر: أن ابنته كانت تعرف طبيعة تصرفاته، وترى أنها بعيدة عن الإتزان، والسداد. فسألته عن حاله، فظهر لها من حاله ومقاله: أن ظنها قد أصاب كبد الحقيقة. ولعل ذلك هو السبب في أننا لا نجد ما يظهر لنا أنها اهتمت لما حصل له..

جفينة أو رعية:

ثم إننا لا ندري إن كان جفينة هو رعية، والسحيمي هو الجهني. وقد صحف النساخ الكلمات والأسماء.. أم أنهما شخصان مختلفان؟!

وفي جميع الأحوال نقول:

إن استغراب بنت جفينة من فعل أبيها بكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يشير إلى: أن ما فعله جهينة لم يكن مستساغاً حتى عند الأعراب، البعيدين عن الوعي والثقافة، والمعروفين بالجفاء وسوء الأدب. بل إن ذلك كان مستهجناً حتى عند النساء منهم، فلا مجال لادعاء أن يكون جفينة أو غيره قد فعلوا أمراً مستساغاً ومرضياً عندهم..

ولذلك نلاحظ: أن لحن كلام ابنة جهينة يدل دلالة واضحة على إدراكها قبح هذا الأمر، حيث قالت له على سبيل الإنكار: «عمدت إلى كتاب سيد العرب، فرقعت به دلوك»؟!.

وقد أدرك جفينة قبح وخطورة ما صدر منه، فبادر إلى الهرب..

حتى جاء بعد ذلك مسلماً..

[illegible]

[illegible]

[illegible]

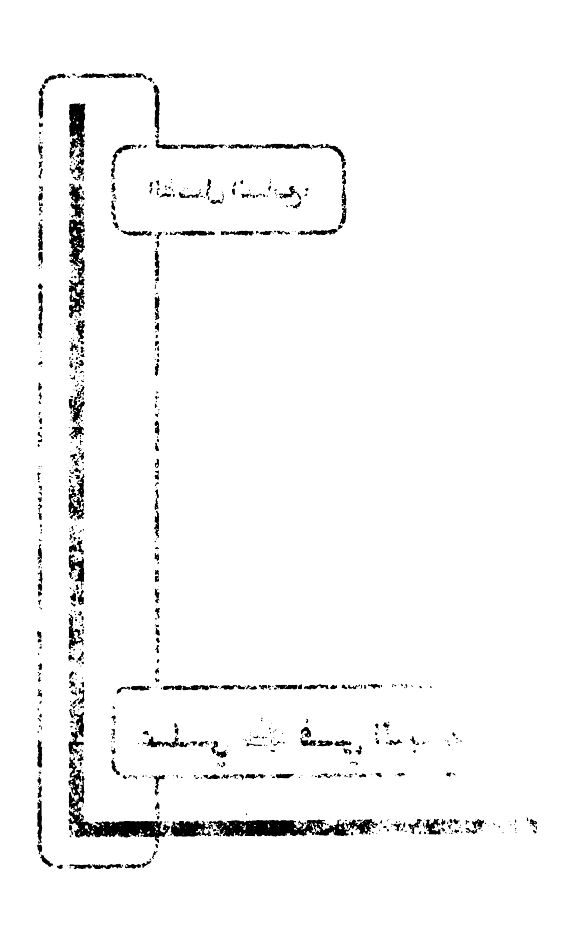
[illegible]

[illegible]



الفصل السابع:

علي عليه السلام في اليمن



سرية خالد وعلي عليه السلام، وإسلام همدان:

عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوا.

ثم إن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث علي بن أبي طالب مكان خالد وأمره أن يقفل خالداً، وقال: «مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل».

قال البراء: فكنت فيمن عقب مع علي، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلى بنا علي، ثم صفنا صفاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأسلمت همدان جميعاً.

فكتب علي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بإسلامهم.

فلما قرأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكتاب خر ساجداً، ثم رفع رأسه وقال: «السلام على همدان»، مرتين.

زاد في نص آخر أنه قال أيضاً: نِعم الحي همدان ما أسرعها إلى النصر!

وأصبرها على الجهد ! فيهم أبدال، وفيهم أوتاد[1].

وعند البخاري عن البراء قال: «فغنمت أواق ذوات عدد»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٣٥ و ٤٢٧ عن البيهقي في السنن بإسناد صحيح، والدلائل، والمعرفة، وعن البخاري مختصراً، وقال في الهامش: أخرجه البيهقي في السنن ج٢ ص٣٦٦ و ٣٦٩ وفي الدلائل ج٥ ص٣٦٩ والبخاري ج٧ ص٦٦٣ (٤٣٤٩) وراجع: المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٧٦ و ١٧٧. وأشار في مكاتيب الرسول ج٣ ص٣٨٧ إلى المصادر التالية أيضاً: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٩ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٣١ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص٣٠٠ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٣ ص١٣١ و ١٣٢ وأنساب الأشراف للبلاذري ج١ ص٣٨٤ وعن فتح الباري ج٨ ص٥٣ وينابيع المودة ص٢١٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ص٨٣٣ و (في ط أخرى) ج٢ ق٢ ص٥٥ والبحار ج٢١ ص٣٦٠ و ٣٦٣ عن إعلام الورى، وغيره، وج٣٨ ص٧١ والمناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص١٢٩ والإرشاد للمفيد «رحمه الله» ص٢٨ والبداية والنهاية ج٥ ص١٠٥ وزاد المعاد ج٣ ص٣٦ ومجموعة الوثائق السياسية ص١٣٢/ ٨٠ عن إمتاع الأسماع للمقريزي ج١ ص٥٠٤ و ٥٠٩ و ٥١٠، وحياة الصحابة ج١ ص٩٥ والعدد القوية ص٢٥١ والتنبيه والإشراف ص٢٣٨ وذخائر العقبى ص١٠٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٤٥ وملحقات إحقاق الحق ج١٨ ص٦٤ وج٢١ ص٦٢٠ عن: الجامع بين الصحيحين ص٧٣١ ونثر الدر المكنون ص٤٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٠١ من طرق كثيرة، والتدوين للقزويني ج٢ ص٤٢٩ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٤.

(٢) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٥ ص١١٠ وراجع: عمدة القاري ج١٨ ص٦.

بغضهم علياً عليه السلام:

وعن البراء قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى اليمن جيشين، وأمَّر علياً على أحدهما. وعلى الآخر خا لد بن الوليد. وقال: «إذا كان قتال فعلي رضي الله تعالى عنه الأمير».

قال: فافتتح علي حصناً، فغنمت أواقي ذوات عدد، وأخذ علي منه جارية.

قال: فكتب معي خالد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ الذي في جامع الترمذي «يشي به».

قال الترمذي: يعني النميمة ـ يخبره.

قال: فلما قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقرأ الكتاب رأيته يتغير لونه، فقال: «ما ترى في رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله تعالى ورسوله»؟

فقلت: أعوذ بالله من غضب الله تعالى وغضب رسوله، إنما أنا رسول. فسكت[1].

وعن بريدة بن الحصيب قال: «أصبنا سبياً، فكتب خالد إلى رسول الله

---

(١) سبل الهدى ج٦ ص٢٣٥ عن الترمذي، وقال في هامشه: أخرجه الترمذي ج٤ ص١٨٠. وراجع: نهج السعادة للمحمودي ج٥ ص٢٨٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٩٦ والبحار ج٣٩ ص١١ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص١٤٢ وسنن الترمذي ج٣ ص١٢٤ وينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي ج١ ص١٦٩.

«صلى الله عليه وآله»: «ابعث إلينا من يخمسه». وفي السبي وصيفة هي من أفضل السبي.

فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً إلى خالد ليقبض منه الخمس، وفي رواية: ليقسم الفيء، فقبض منه، فخمس وقسم، واصطفى علي سبية، فأصبح وقد اغتسل ليلاً.

وكنت أبغض علياً بغضاً لم أبغضه أحداً، وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا لبغضه علياً.

فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا؟

وفي رواية: فقلت: يا أبا الحسن، ما هذا؟

قال: ألم تر إلى الوصيفة، فإنها صارت في الخمس، ثم صارت في آل محمد، ثم في آل علي، فوقعت بها.

فلما قدمنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذكرت له ذلك[1].

---

(١) سبل الهدى ج٦ ص٢٣٥ و ٢٣٦ عن أحمد، والبخاري، والنسائي، والإسماعيلي، وفي هامشه قال: أخرجه البخاري في كتاب النكاح(٥٢١٠). وراجع: فتح الباري ج٨ ص٥٢ ونيل الأوطار ج٧ ص١١٠ والعمدة لابن البطريق ص٢٧٥ ونهج السعادة ج٥ ص٢٨٤ ومسند أحمد ج٥ ص٣٥١ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٧ وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص١٠٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٩٦ و البداية والنهاية ج٥ ص١٢٠ وج٧ ص٣٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٠٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ج١١ ص٢٦٠ وشرح إحقاق الحق ج٢١ ص٦٣٠ وج٢٣ ص٥ و ٢٧٤ و ٢٧٦ وج٣٠ ص٢٧٢.

وفي رواية: فكتب خالد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقلت: ابعثني، فبعثني، فجعل يقرأ الكتاب وأقول: صدق، فإذا النبي «صلى الله عليه وآله» قد احمر وجهه، فقال: «من كنت وليه فعلي وليه».

ثم قال: «يا بريدة أتبغض علياً»؟

فقلت: نعم.

قال: «لا تبغضه، فإن له الخمس أكثر من ذلك»[1].

وفي رواية: «والذي نفسي بيده لنصيب علي في الخمس أفضل من وصيفة، وإن كنت تحبه فازدد له حباً»[2].

---

(١) سبل الهدى ج٦ ص٢٣٦ وراجع: نيل الأوطار ج٧ ص١١٠ والعمدة لابن البطريق ص٢٧٥ ونهج السعادة ج٥ ص٢٨٣ ومسند أحمد ج٥ ص٣٥٩ وصحيح البخاري (ط دار المعرفة) ج٥ ص١١٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٤٢ وفتح الباري ج٨ ص٥٣ وعمدة القاري ج١٨ ص٦ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص١٤٥ وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص١٠٢ ومعرفة السنن والآثار ج٥ ص١٥٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٩٤ و ١٩٥ وأسد الغابة ج١ ص١٧٦ وتهذيب الكمال ج٢٠ ص٤٦٠ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٨٠ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ج١ ص٨٨ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٨٦ وج١٦ ص٤٥٣ ج٢١ ص٥٣٢ وج٢٣ ص٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ وج٣٠ ص٢٧٨.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٣٦ ونيل الأوطار ج٧ ص١١١ والعمدة لابن البطريق ص٢٧٥ والبحار ج٣٩ ص٢٧٧ ونهج السعادة ج٥ ص٢٨٥ ومسند أحمد ج٥ ص٣٥١ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٧ وفتح الباري ج٨ ص٥٣ وعمدة القاري ج١٨ ص٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٣٦ =

وفي رواية: «لا تقع في علي، فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي»[1].

قال بريدة: فما كان في الناس أحد أحب إلي من علي.

وعن بريدة: بعث «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وخالد بن الوليد كل واحد منهما وحده، وجمعهما، فقال: إن اجتمعتما فعليكم علي.

= وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص١٠٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٩٦ والبداية والنهاية ج٥ ص١٢١ وج٧ ص٣٨١ وكشف الغمة ج١ ص٢٩٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٠٢ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ج١ ص٨٧ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٨٥ وج١٦ ص٤٥١ ج٢١ ص٦٣٠ وج٢٣ ص٦ و ٢٧٥ و ٢٧٦ وج٣٠ ص٢٧٢.

(١) سبل الهدى ج١١ ص٢٩٧ وج٦ ص٢٣٦ وقال في هامشه: أخرجه أحمد في المسند ج٥ ص٣٥٦، وذكره الهيثمي في المجمع ج٩ ص١٢٨، والمتقي الهندي في الكنز (٤٢٩٤٢). وراجع: ذخائر العقبى ص٦٨ والبحار ج٣٧ ص٢٢٠ وج٣٨ ص٣٢٦ والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص٥٦٠ وفتح الباري ج٨ ص٥٣ وعمدة القاري ج١٨ ص٧ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص١٤٦ و ١٤٧ وكنز العمال ج١١ ص٦٠٨ وفيض القدير ج٤ ص٤٧١ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٣ ص٣٨٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٩٠ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٨٠ وكشف الغمة ج١ ص٢٩٤ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ج١ ص٨٧ وينابيع المودة ج٢ ص١٥٩ وشرح إحقاق الحق ج٥ ص٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩٢ وج١٥ ص١٠٣ و ١٠٦ و ١٠٧ وج٢٠ ص٥٢٧ وج٢٣ ص٥٤٤.

قال: فأخذ يميناً ويساراً، فدخل علي، وأبعد وأصاب سبياً، وأخذ جارية من السبي، قال بريدة: وكنت من أشد الناس بغضاً لعلي.

قال: فأتى رجل خالد بن الوليد فذكر أنه أخذ جارية من الخمس، فقال: ما هذا؟

ثم جاء آخر، ثم تتابعت الأخبار على ذلك، فدعاني خالد، فقال: يا بريدة قد عرفت الذي صنع، فانطلق بكتابي هذا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فكتب إليه، فانطلقت بكتابه حتى دخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخذ الكتاب بشماله، وكان كما قال الله عز وجل: لا يقرأ ولا يكتب، وكنت إذا تكلمت طأطأت رأسي حتى أفرغ من حاجتي، فطأطأت رأسي، فرأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» غضب غضباً لم أره غضب مثله إلا يوم قريظة والنضير.

فنظر إليّ، فقال: يا بريدة أحِبَّ علياً، فإنما يفعل ما أمر به، فقمت وما من الناس أحد أحب إليّ منه[1].

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص١٢٨عن الطبراني في الأوسط.

وراجع روايات بريدة على اختلافها في المصادر التالية: شرح الأخبار ج١ ص٩٤ والعمدة لابن البطريق ص١٩٨والطرائف للسيد ابن طاووس ص٦٦ وذخائر العقبى ص٦٨ والصراط المستقيم ج٢ص٥٩ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١١١والبحار ج٣٧ ص٢٢٠وج٣٨ ص٣٢٦ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٣٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص٣٠٦ و ٣٠٧ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٢٢٣ والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص٣٣٩ و ٥٦٠ والغدير=

عن بريدة: أنه لما استلم علي «عليه السلام» الغنائم من خالد بن الوليد في غزوتهم لبني زبيد، حصلت جارية من أفضل السبي في الخمس، ثم

= ج٣ ص٢٤٤ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٦٤ ونهج السعادة ج٥ ص٢٧٧ و ٢٧٨ ومسند أحمد ج٥ ص٣٥٦ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٨ وفتح الباري ج٨ ص٥٣ وعمدة القاري ج١٦ ص٢١٤ وعمدة القاري ج١٨ ص٧ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص١٤٦ و ١٤٧ وكنز العمال ج١١ ص٦٠٨ وفيض القدير ج٤ ص٤٧١ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٣ ص٣٨٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٨٩ و ١٩٠ ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن مردويه الأصفهاني ص١١٩ والبداية والنهاية ج٥ ص١٠٤ وج٧ ص٣٤٢ و و٣٤٤ و ٣٨٠ وكشف الغمة للشعراني ج٢ ص١١٤ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٩٤ ومجمع الفوائد ج٢ ص٦٨ والمنهل العذب المورود ج١ ص١١٤ ومشكل الآثار ج٤ ص١٦٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص٤٨٣ و ٤٨٣ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ج١ ص٨٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٣٨ وينابيع المودة ج٢ ص١٥٩ والشافي في الإمامة للشريف المرتضى ج٣ ص٢٤٣ وغاية المرام للسيد هاشم البحراني ج٥ ص٢٦ ونظرة في كتاب البداية والنهاية للشيخ الأميني ص٩٣ وشرح إحقاق الحق للمرعشي ج٥ ص٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ وج١٥ ص١٠٣ و١٠٦ و ١٠٧ وج١٦ ص١٥٧ وج٢٠ ص٥٢٧ وج٢١ ص٢٣ و ١٤٤ وج٢٢ ص٥٨٢ وج٢٣ ص١٦١ و ٥٤٤ وج٣٠ ص٤١٥ والفضائل لأحمد بن حنبل ج٢ ص٣٥١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٤٢ وخصائص أمير المؤمنين علي «عليها السلام» للنسائي (ط التقدم بمصر) ص٢٥ وتيسير الوصول ج٢ ص١٣٢ ومناقب علي «عليها السلام» للعيني الحيدرآبادي ص٤٨ وإزالة الخفاء ج٢ ص٤٤٩ وقرة العين في تفضيل الشيخين ص١٦٩ والتاج الجامع للأصول ج٣ ص٢٩٨.

صارت في سهم آل علي، فخرج عليهم علي «عليه السلام» ورأسه يقطر، فسألوه؛ فأخبرهم: أنه وقع بالوصيفة التي صارت في سهم آل علي.

فقدم بريدة في كتاب من خالد على النبي «صلى الله عليه وآله»، وصار يقرؤه عليه بريدة، ويصدق (أي بريدة) ما فيه، فأمسك «صلى الله عليه وآله» بيده، وقال: يا بريدة أتبغض علياً؟

قال: نعم.

فقال «صلى الله عليه وآله»: لا تبغضه، وإن كنت تحبه فازدد له حباً، فوالذي نفسي بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة.

وفي نص آخر: فتكلم بريدة في علي عند الرسول، فوقع فيه، فلما فرغ رفع رأسه، فرأى رسول الله غضب غضباً لم يره غضب مثله إلا يوم قريظة والنضير، وقال: يا بريدة، أحب علياً، فإنه يفعل ما آمره. وكذا روي عن غير بريدة[1].

---

(١) راجع: مجمع الزوائد ج٩ ص١٢٨ عن الطبراني، وخصائص النسائي ص١٠٢ و ١٠٣، ومشكل الآثار ج٤ ص١٦٠، ومسند أحمد ج٥ ص٣٥٩ و ٣٥٠ و ٣٥١، وسنن البيهقي ج٦ ص٣٤٢ وقال: رواه البخاري في الصحيح، وحلية الأولياء ج٦ ص٢٩٤، وسنن الترمذي ج٥ ص٦٣٢ و ٦٣٩، وكنز العمال ج١٥ ص١٢٤ و ١٢٥ و١٢٦ ـ ٢٧١، ومناقب الخوارزمي الحنفي ص٩٢، ومستدرك الحاكم ج٣ ص١١٠ و ١١١ على شرط مسلم، وتلخيص المستدرك للذهبي بهامشه وسكت عنه، والبداية والنهاية ج٧ ص٣٤٤ و٣٤٥ عن أحمد والترمذي، وأبي يعلى وغيره بنصوص مختلفة. والغدير ج٣ ص٢١٦ عن بعض من تقدم، وعن كنز العمال ج٦ ص١٥٢ و ١٥٤ و ٣٠٠، وعن نـزل الأبـرار =

وفي الرواية التي عند المفيد رضوان الله عليه: «فسار بريدة، حتى انتهى إلى باب النبي «صلى الله عليه وآله»، فلقيه عمر، فسأله عن حال غزوتهم، وعن الذي أقدمه؛ فأخبره: أنه إنما جاء ليقع في علي، وذكر له اصطفاءه الجارية من الخمس لنفسه، فقال له عمر: امض لما جئت له؛ فإنه سيغضب لابنته مما صنع علي»[1].

قال الصالحي الشامي:

تنبيهات:

الأول: قال ابن إسحاق وغيره: غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن مرتين، قال في العيون: ويشبه أن تكون هذه السرية الأولى، وما ذكره ابن سعد هي السرية الثانية كما سيأتي.

الثاني: قال الحافظ: كان بعث علي بعد رجوعهم من الطائف، وقسمة الغنائم بالجعرانة.

الثالث: قال الحافظ أبو ذر الهروي: إنما أبغض بريدة علياً، لأنه رآه أخذ من المغنم، فظن أنه غلّ.

فلما أعلمه رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه أخذ أقل من حقه أحبه.

قال الحافظ: وهو تأويل حسن، لكن يبعده صدر الحديث الذي رواه

= للبدخشي ص٢٢، والرياض النضرة ج٣ ص١٢٩ و ١٣٠، وعن مصابيح السنة للبغوي ج٢ ص٢٥٧. والبحر الزخار ج٦ ص٤٣٥، وجواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار للصعدي (مطبوع بهامش المصدر السابق) نفس الجلد والصفحة، عن البخاري والترمذي.

(١) إرشاد المفيد ص٩٣، وقاموس الرجال ج٢ ص١٧٣ عنه.

أحمد، فلعل سبب البغض كان لمعنى آخر وزال، ونهى النبي «صلى الله عليه وآله» عن بغضه.

الرابع: استشكل وقوع علي رضي الله تعالى عنه على الجارية.

وأجيب: باحتمال أنها كانت غير بالغ، ورأى أن مثلها لا يستبرأ، كما صار إليه غيره من الصحابة.

أو أنها كانت حاضت عقب صيرورتها له، ثم طهرت بعد يوم وليلة، ثم وقع عليها.

أو كانت عذراء.

الخامس: استشكل أيضاً قسمته لنفسه.

وأجيب: بأن القسمة في مثل ذلك جائزة ممن هو شريكه فيما يقسمه، كالإمام إذا قسم بين الرعية وهو منهم، فكذلك ممن نصبه الإمام، فإنه مقامه[1].

ثلاث سرايا أم سرية واحدة؟!:

قد ذكر بعض كتَّاب السيرة النصوص المتقدمة في موضع واحد، وتحت عنوان واحد.. وقد تابعناه في ذلك مع بعض الإضافات التي رأيناها مفيدة، وسديدة..

فكان هذا البعض قد فهم أنها تتحدث عن أحداث سفرة واحدة وهي في سفرة علي «عليه السلام» وخالد إلى اليمن..

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٣٦.

وربما يكون ذلك صحيحاً بالنسبة لخالد، فإنه هو الذي بقي ستة أشهر في اليمن دفعة واحدة، أما علي «عليه السلام» فربما يكون قد سافر أكثرمن مرة، تارة لأجل بني زبيد كما ذكره في الإشارة، أو لمعالجة أمور خالد، أو لغير ذلك..

ويمكننا أن نعرض فهمنا لما جرى كما يلي:

كان خالد قد سار إلى اليمن، ليدعو أهلها إلى الإسلام، ولعله قد خاض حرباً مع بعض الفئات، فأصاب منهم سبياً، فطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يرسل إليه من يقبضه منه، فأرسل علياً «عليه السلام»، فاصطفى علي «عليه السلام» جاريته من السبي، فأرسل خالد بريدة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليشتكيه.. حسبما تقدم.. أو أنه «عليه السلام» اصطفاها بعد أن أوغل في داخل البلاد وأبعد، وافتتح في طريقه حصناً، وأصاب سبياً، وانضم السبي بعضه إلى بعض، فاصطفى «عليه السلام» من مجموع السبي تلك الجارية، فشكاه بريدة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأجابه بما تقدم.

ولعل علياً «عليه السلام» قد عاد إلى النبي «صلى الله عليه وآله» على الظاهر، وبقي خالد في بلاد اليمن، لكي يسعى لأسلمة أهلها، فلم يفلح. ولعله قد أساء إلى أولئك الناس، فلم يستجيبوا له ـ كما سنرى ـ وبعد ستة أشهر أرسل «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إليه، ليقفله، ويمضي هو إلى اليمن ليدعو أهلها، ففعل ذلك، فأسلمت همدان في ساعة واحدة[1].

---

(١) راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٣٦٩ وفتح الباري ج٨ ص٥٢ وتاريخ =

قبلوا من علي عليه السلام ورفضوا دعوة خالد:

ثم إنه قد يثور هنا سؤال يقول:

لا شك في أن الإسلام الذي دعا إليه علي «عليه السلام» أهل اليمن، هو نفس الإسلام الذي دعا إليه خالد بن الوليد، فلماذا لم يقبلوا من خالد، رغم أنه بقي هو ومن معه ستة أشهر يدعونهم إلى الإسلام؟! بينما لما أرسل «صلى الله عليه وآله» علياً أمير المؤمنين «عليه السلام»، فأقفل خالداً ومن معه، ثم ذهب إليهم وصلى بأصحابه، وقرأ عليهم كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أسلمت همدان كلها في ساعة واحدة؟!

فما هذه المفارقة التي ظهرت في فعل هؤلاء؟!

وقد حاول البعض أن يجيب على هذا السؤال بما يلي:

«كانت التجريدات العسكرية تقف على أهبة الاستعداد لمواجهة المقاومة التي يبديها أولئك الذين يرفضون الإستجابة للنداءات المتكررة لقبول الإسلام من قبل الدعاة. وبذلك تحمل القوة الحربية رسالة هؤلاء الدعاة السلمية.

وقد بعث خالد بن الوليد في العام العاشر إلى اليمن للقيام بهذا الواجب، واستمر في ذلك ستة أشهر، ولكن جهوده لم تثمر النجاح الذي

= الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٩٠ والبداية والنهاية ج٥ ص١٢١ وأعيان الشيعة ج١ ص٤١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٠٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٣٥ و ٤٢٧ السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣١٩ وشرح إحقاق الحق ج٢١ ص٦٢٢ و ٦٢٦.

كا يريده محمد «صلى الله عليه وآله»، فعززت قوات خالد بجيش يقوده علي بن أبي طالب. وزحف في رمضان من ذلك العام.

وكان لذلك أثره الحاسم الذي برز في النتائج السريعة التي نجمت عنه، فقد قيل: إن كل همدان أسلمت في يوم واحد»[1].

ونقول:

إن ما ذكره هذا البعض لا يمكن الموافقة عليه، وذلك لما يلي:

أولاً: إن هذا الرجل يريد أن يدَّعي: أن هؤلاء الناس قد أسلموا تحت وطأة التهديد، والجبر، والقهر، وأن الإسلام كان يفرض على الناس بقوة السيف.. وهذا باطل جزماً، فإنه ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[2]، و ﴿فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾[3]، و ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[4]، وغير ذلك كثير.. والقتال الذي كان يجري، إنما كان دفاعياً، أو استباقياً حين يتآمر المشركون، ويتجمعون للانقضاض على المسلمين على حين غرَّة.

ثانياً: قد تقدم: أن ذهاب خالد وعلي «عليه السلام» إلى اليمن إنما كان سنة ثمان بعد فراغ النبي «صلى الله عليه وآله» من الفتح وحنين، حيث أرسلهما حين كان «صلى الله عليه وآله» لا يزال بالجعرانة، ولم يكن سنة عشر.

---

(١) راجع: نشأة الدولة الإسلامية، تأليف عون شريف قاسم ص٢٢٧ و ٢٤٠.

(٢) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٢٩ من سورة الكهف.

(٤) الآية ٩٩ من سورة يونس.

ولعل الأجدر الإجابة على السؤال المتقدم، بما يلي:

أولاً: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب[1]، وإنما أسلم خالد في السنة الثامنة، وهي نفس السنة التي أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» فيها إلى اليمن.. في حين أنه هو نفسه بقي يحارب الله ورسوله طيلة أكثر من عشرين سنة، رغم أنه يرى المعجزات الإلهية، ويشاهد محاسن الإسلام وهي تتجلى في سلوك المؤمنين، وفي أقوالهم، وأفعالهم.

ثم إنه لما رأى سطوع نجمه، وظهوره على الدين كله وأفول نجم الشرك، وتهاوي أركانه واحداً تلو الآخر، وطمس أعلامه، وسقوط دعاته في حمأة الخزي والذل والعار، آثر أن يكون مع الكفة الراجحة والناجحة، ليضمن له موقعاً قبل فوات الأوان.

فأظهر الإسلام ولكنه بقي يحمل مفاهيم الشرك، وعقلية الجاهلية، ويعيش طموحاته الشخصية والفئوية والعشائرية كما أظهرته ممارساته، وسيرة حياته.

فراجع ما فعله بمالك بن نويرة لمجرد رفضه بيعة أبي بكر، فإنه خدعه، ثم قتله وزنى بزوجته في نفس ليلة قتله..

فشتان بين من يريد الإسلام، ليكون وسيلة للوصول إلى أهدافه وتحقيق مآربه، ونيل غاياته التي يرى أنها هي الأهم والأغلى عليه.. وبين علي بن أبي طالب «عليه السلام» الذي يرى أن الإسلام هو الأعلى

---

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج٢٠ ص٢٨٧ وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج٢ ص٨ وشرح اللمعة للشهيد الثاني ج١ ص٦٦١.

والأغلى، وأن عليه أن يضحي بنفسه وماله وولده من أجله..

فإذا دعا خالد الناس إلى الإسلام، فإنه لن يكون الداعي الصادق، والمخلص في دعوته، ولن تخرج كلماته عن الإسلام من قلبه، لتجد سبيلها إلى قلوب الآخرين، وفقاً لما قيل: «من القلب إلى القلب سبيل»[1].

ثانياً: لقد خاطب الله نبيه بقوله: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].

وهذا يدلنا على: أن خالداً لم يدْعُ أهل اليمن بالحكمة، والموعظة الحسنة، ولا جادلهم بالتي هي أحسن. ولذلك لم يستجيبوا له رغم مرور ستة أشهر على محاولاته، كما أن الناس لم يروا محاسن الإسلام على تصرفات خالد، ومن معه، ولم تظهر لهم حقائقه ودقائقه، ولا تلمسوا أهدافه، ومراميه..

أي أنه لم يكن داعياً إلى الله بأفعاله وسلوكه، ليكون مصداقاً لقول أهل بيت العصمة: «كونوا دعاة إلى الله بغير ألسنتكم».

بل ربما يكون قد أساء إليهم، وحاول أن يبتزهم في أموالهم أو في أعراضهم، أو أن يفرض عليهم الإستسلام، والخضوع لأوامره ونواهيه، ليكون إسلامهم مجرد لقلقة لسانية ليس وراءها إيمان ولا اعتقاد..

أي أنه لم يزد على أن قدم لهم مجرد دعوة لسانية، ولعلها كانت تحمل في ثناياها الكثير من التحديات، والمنفرات لهم.

---

(١) راجع: تفسير الآلوسي ج٢٣ ص٢١٤.

(٢) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

أما علي «عليه السلام» فقد بادر إلى إظهار عبوديته ومن معه لله تعالى، وأظهر لهم أيضاً أن الإسلام يجعل من جميع الناس، الذين هم متفرقون عشائرياً، ومناطقياً وطبقاتياً في مجتمعاتهم، من الناحية الإقتصادية، والثقافية، والعرقية وغير ذلك من عناوين أراد الله أن تكون من أسباب التكامل والتعاون فيما بين البشر، فجعلت منها الأهواء أسباباً للتمزق، والتفرق، والتشتت والتفتت ـ أظهر لهم أن الإسلام يجعل منهم ـ صفاً واحداً كأنهم بنيان مرصوص، لهم قائد واحد، وهدف واحد، واتجاه واحد.

ثالثاً: قد نجد في النصوص المتقدمة ما يشير إلى أن خالداً كان هو المشكلة والعائق، حيث إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر بإرجاعه، دون جميع من عداه.. فإنه قد خيرهم بين الرجوع معه، والمضي مع علي «عليه السلام»، وإن كنا لم نستطع أن نتبين طبيعة الإساءة التي صدرت منه، ولا بينت لنا النصوص حقيقة ما صدر منه بالتفصيل.. فلاحظ ما سنشير إليه فيما يلي أيضاً..

إرجاع خالد دون من عداه:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن النبي«صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام» أن يقفل خالداً إليه، أما من معه، فهم بالخيار بين أن يقفلوا معه، وأن يلحقوا بأمير المؤمنين «عليه السلام»..

وهذا يثير أكثر من علامة استفهام حول خالد، وحول طبيعة أدائه فيما يرتبط بالمهمة التي انتدبه النبي «صلى الله عليه وآله» إليها.

وتتأكد هذه الشبهة إذا لوحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يلزم أحداً

ممن كانوا مع خالد بالمضي، أو بالرجوع..

ولعل عدم الإلزام هذا يهدف إلى تحقيق فرز طبيعي، وطوعي لمن كان يوافق على مسلكية خالد عمن كان لا يوافقه رأيه، ولا يرضى مسلكيته. ويكون الذين يلتحقون بعلي «عليه السلام» هم هذا الفريق الأخير..

غير أن النصوص المتوفرة لنا لا تخولنا تحديد طبيعة الخلل الذي ظهر من خالد ومن مؤيديه.. ونحن لا نستغرب شحة النصوص هنا، فإن الأمر يتعلق من جهة بخالد بن الوليد سيف السلطة الذي أشهرته في وجه معارضيها، ممن رفض البيعة لأبي بكر..

ويرتبط بنحو أو بآخر بعلي «عليه السلام»، الذي غُصب حقه، ومورست ضده مختلف اساليب القهر والتزوير، وغير ذلك، ولم يزل مبغَّضاً لكل الذين تعاقبوا على مقام الخلافة منذ وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإلى ما بعد المئات من السنين..

فغنمت أواقي ذوات عدد:

والذي يقرأ سياق القصة، الذي ذكرناه آنفاً وفقاً لما ذكره الصالحي الشامي لا يجد فيها ما يشير إلى أن المسلمين قد خاضوا حرباً، فما معنى قول البراء: فغنمت أواقي ذوات عدد..

بل المذكور فيها هو: أن علياً «عليه السلام» صلى بأصحابه، ثم قرأ الكتاب على الناس، فأسلمت همدان.. فمِمَّن غنم البراء تلك الأواقي ذات العدد الكثير؟ وأين جرى ذلك القتال؟ ومع من؟ ومن الذي قُتل أو أسر فيه؟ ومن هم السبايا؟ وما مصيرهم؟

فالظاهر الذي تعطيه مراجعة النصوص في المصادر الروائية والتاريخية:

أن ثمة خلطاً بين الروايات، والصحيح هو: أن علياً «عليه السلام» قد ذهب في سرية وذهب خالد في سرية أخرى، وقال لهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن التقيتما فعلي هو الأمير..

ثم جرى فتح بعض الحصون على يد علي «عليه السلام»، ولعل خالداً أيضاً قد حصّل بعض السبايا بسبب قتال في مجال آخر.. ثم اصطفى علي «عليه السلام» جاريته، واشتكى عليه بريدة بتحريض من خالد. أو بمشاركة منه كما تقدم..

ولعل هذا قد حصل في سرية كانت إلى بعض أطراف اليمن، أو القريبة منها، وهي غير إرسال علي «عليه السلام» وخالد لدعوة أهل اليمن.. حسبما فصلناه..

سرور النبي صلى الله عليه وآله بإسلام همدان:

إن سرور النبي «صلى الله عليه وآله» بدخول الناس في الإسلام لهو أمر طبيعي يفرضه حرصه «صلى الله عليه وآله» على إخراج الناس من الظلمات إلى النور. بالإضافة إلى أن يشعر كل من ينجز عملاً يتضمن نجاة النفوس من الهلاك بنشوة خاصة، ولذة غير عادية.

ولكن ما أظهره النبي «صلى الله عليه وآله» من سرور حين بلغه إسلام قبيلة همدان كان غير عادي أيضاً إذا قيس بما رأيناه منه حين إسلام جماعات أخرى من الناس قد تكون أكثر عدداً، ولها موقع قد يتراءى أنه أشد حساسية، وأعظم أهمية..

فقد سجد «صلى الله عليه وآله» ثم رفع رأسه وقال: السلام على همدان.. أكثر من مرة. وأطلق كلمات هامة في حق همدان أيضاً..

ونحن نعلم: أن اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بأمر، يعكس أهمية ذلك الأمر في تأييد الدين، ونيل رضا رب العالمين، فهل تراه كان ينظر إلى الغيب، وتكشف له الحجب عن موقف مميز لهذه القبيلة، يكون له أثر هام في تأييد دين الله، وفي نصرة وصيه «صلى الله عليه وآله»، ووليه تبارك وتعالى؟!

وإذا راجعنا التاريخ، فإننا لا نجد لهمدان هذا الموقف المميز في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل كانت لها مواقف عظيمة بعد وفاته «صلى الله عليه وآله» طافحة بالتأييد والنصرة في ساحات الجهاد لوصي علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، في صفين وفي غيرها، حتى قال «عليه السلام» مادحاً لها:

فلو كنت بواباً على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام[1]

---

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج١ ص٣٩٤ والبحار ج٣٢ ص٤٧٧ وج٣٨ ص٧١ وأصدق الأخبار للسيد محسن الأمين ص٩ والغدير ج١١ ص٢٢٢ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٥٥٢ والإمام علي بن ابي طالب «عليه السلام» للرحماني الهمداني ص٧٧٠ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٥٥٦ و ٥٧٥ ومواقف الشيعة ج١ ص٣٩٠ ونهج السعادة للمحمودي ج٥ ص٤٣ وشرح النهج للمعتزلي ج٥ ص٢١٧ وج٨ ص٧٨ وتفسير الآلوسي ج١٩ ص١٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٤٨٧ والأعلام للزركلي ج٨ ص٩٤ وأنساب الأشراف للبلاذري ص٣٢٢ والأنساب للسمعاني ج٥ ص٦٤٧ =

ونذكر مثالين آخرين هنا أيضاً من مواقف همدان في نصرة الحق وأهله، وهما:

١ ـ إنه حين أراد أهل الكوفة بعد موت يزيد «لعنه الله» أن يؤمروا عليهم الخبيث المجرم عمر بن سعد لعنه الله واخزاه، جاءت نساء همدان، وربيعة، وكهلان، والأنصار، والنخع إلى الجامع الأعظم صارخات، باكيات، معولات، يندبن الحسين«عليه السلام» ويقلن: أما رضي عمر بن سعد بقتل الحسين حتى أراد ان يكون أميراً علينا على الكوفة؟!

فبكى الناس وأعرضوا عنه[1].

٢ ـ إنه حين طعن الإمام الحسن «عليه السلام» دعا ربيعة وهمدان. فأطافوا به ومنعوه، فسار ومعه شوب من غيرهم[2].

= والجوهرة في نسب الإمام علي وآله للبري ص٢٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق١ ص٢٥٢ وتاريخ الكوفة للسيد البراقي ص٢٣٤ و ٥٣١ وأعيان الشيعة ج١ ص٤١٠ و ٤٨٩ و ٥٠٥ و ٥٥٣ وج٢ ص٥١٥ وج٤ ص١٦٠ و ٣٦٦ وج٧ ص٤٣ و ٢٤٣ و ٢٤٥ وج٩ ص٢٣٤ ووقعة صفين للمنقري ص٢٧٤ و ٤٣٧ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٦٠٤ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ج٢ ص٢٥٥ والخصائص الفاطمية للشيخ الكجوري ج٢ ص١١٠.

(١) مروج الذهب ج٢ ص١٠٥ ومقتل الحسين للمقرم ص٢٤٦ عنه. وأنصار الحسين «عليه السلام» للشيخ محمد مهدي شمس الدين ص١٩٩عن المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): الكامل (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة ـ مطبعة نهضة مصر) (غير مؤرخة) ج١ ص٢٢٣.

(٢) كشف الغمة للأربلي ج٢ ص١٦٣ وراجع: الأخبار الطوال ص٢١٧ والإرشاد=

لعله يغضب لابنته:

وقد ذكرت بعض نصوص حديث بريدة المتقدم: أنه لما ارتد عمرو بن معديكرب أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إلى بني زبيد، فغنم وسبى، واصطفى «عليه السلام» جارية، وذهب بريدة ليشتكي على علي «عليه السلام».

فسار حتى انتهى إلى باب النبي «صلى الله عليه وآله»، **فلقيه عمر بن** الخطاب، فسأله عن حال غزوتهم، وعن الذي أقدمه. فأخبره أنه إنما جاء ليقع في علي «عليه السلام»، وذكر له اصطفاءه الجارية من الخمس لنفسه.

فقال له عمر: امض لما جئت له، فإنه سيغضب لابنته مما صنع علي.

ثم ذكرت الرواية: أن بريدة دخل على النبي «صلى الله عليه وآله» وجعل يحدثه بما جرى، فتغير وجه النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال له بريدة: إنك إن رخصت للناس في مثل هذا ذهب فيؤهم..

فقال له «صلى الله عليه وآله»: ويحك يا بريدة، أحدثت نفاقاً!!

إن علي بن أبي طالب يحل له من الفيء ما يحل لي.

إن علي بن أبي طالب خير الناس لك ولقومك، وخير من أخلف بعدي لكافة أمتي.

يا بريدة، احذر أن تبغض علياً فيبغضك الله.

= للمفيد ج٢ ص١٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٦ ص٤١ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٦٩.

قال بريدة: فتمنيت أن الأرض انشقت لي فسخت فيها الخ..»[1].

والذي يثير الإنتباه في هذا النص هو الأمور التالية:

١ـ إن بريدة قدم خصيصاً ليقع في علي «عليه السلام».

والسؤال الظاهر هنا هو: ألم يكن بإمكانه هو وخالد بن الوليد أن يصبرا حتى يقدما مع السرية على رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

أم أنهما أرادا أن يتخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» إجراءً غيابياً في حق علي «عليه السلام» من دون أن يتمكن علي «عليه السلام» من الدفاع عن نفسه؟

أم أن الذي دعاهما للعجلة هو شدة بغضهما لعلي «عليه السلام»، وقد وجدا الفرصة للتنفيس عن هذا الحقد؟

أم أنهما خافا أن يحن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى صهره، وابن عمه، لو أن الشكوى كانت بحضوره؟!

أما في حال غيبته، فإن وطأة هذا الحنين ستكون أخف، ولعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يسارع إلى إصدار حكمه ضده، وسيكون التراجع عنه صعباً، أو سيكون تراجعاً ضعيفاً وترقيعياً، لا يفي بالغرض، ولا يزيل جميع الآثار والندوب والتشويهات؟!

٢ ـ إن علياً «عليه السلام» قد بين لهم الحكم الشرعي، فلماذا، وما هو

---

(١) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٦٠ و ١٦١ وراجع: قاموس الرجال ج٢ ص٢٨٨ عنه. وراجع: المستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٩٨ والبحار ج٢١ ص٣٥٨ وكشف الغمة ج١ ص٢٣٠.

المبرر للوقيعة به عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد أن اتضح لهم أنه «عليه السلام» لم يخالف حكم الله، فإن كانوا يرون خطأ علي «عليه السلام» فيما قال فلماذا لم يعترضوا عليه، ويفندوا أقواله؟!

ثم ألم يخطر في بالهم أن يجيبهم النبي«صلى الله عليه وآله» بنفس ما أجابهم به علي «عليه السلام»؟

وهذا ما حصل بالفعل، فإنه «صلى الله عليه وآله» قد أكد ما قاله لهم علي «عليه السلام» وزاد عليه: أن نصيب علي في الخمس كان أكثر من وصيفة.

٣ ـ ما هذا الحرص من عمر بن الخطاب على رؤية النبي«صلى الله عليه وآله» يغضب على علي بن أبي طالب «عليه السلام»، من أجل ابنته فاطمة الزهراء «عليها السلام»..

فهل كان يرى أن النبي «صلى الله عليه وآله» يبيح للناس أمراً.. ثم إنه حين يكون الأمر متعلقاً بابنته، يغضب ويمنع منه، انطلاقاً من هواه والعياذ بالله؟

ولماذا لم يقل عمر لبريدة: إن وقيعته بعلي «عليه السلام» لا تجدي، لأن علياً «عليه السلام» قد فعل ما يحل له.. إلا إذا كان عمر بن الخطاب أيضاً يجهل هذا الحكم الشرعي ؟! وهذا ما لا يرضى فريق كبير من الناس بنسبته إلى عمر!!

٤ ـ إن علياً «عليه السلام» كان رجلاً حيياً وستِّيراً ولم يكن من عادته أن يظهر للناس أي شيء يدلهم على طبيعة ممارساته الجنسية، إلا إذا قتضت ضرورات دينية ذلك منه، وقد رأيناه هنا وكأنه يعتمد دفعهم إلى معرفة ما فعله، حيث يخرج على الناس ورأسه يقطر، فدعاهم ذلك إلى سؤاله عن

ذلك، وإذ به يجيبهم بالتفصيل، مصرحاً لهم: بأنه قد وقع بتلك الوصيفة التي هي من أفضل السبي، على حد تعبير الروايات، وقد رأوها وعرفوها ولعلهم كانوا يرغبون بها أيضاً.

مع أنه كان يستطيع أن يتجنب التصريح بهذا الأمر، فإن الإغتسال قد يكون لأكثر من سبب، أو أن يمتنع عن الإجابة، ويقول: ما أنتم وهذا السؤال؟

خير الناس علي عليه السلام:

وقد ذكرت رواية المفيد «رحمه الله»: أن النبي«صلى الله عليه وآله» قد قال لبريدة عن علي «عليه السلام»: إنه خير الناس لبريدة ولقومه، بل هو خير من يخلف بعده لكافة أمته «صلى الله عليه وآله».

وبذلك يكون «صلى الله عليه وآله» قد أدخل علياً «عليه السلام» إلى قلب بريدة عن طريق الرغبة الطبيعية لكل إنسان باستجلاب المنافع لنفسه ولقومه، ودرء المضار والأسواء عن نفسه وعنهم..

ثم أطلق «صلى الله عليه وآله» دعوته الشاملة لكافة أمته إلى محبة علي «عليه السلام»، مرتكزاً في دعوته تلك على نفس هذه المعادلة التي قدمها لبريدة..

وبديهي: أن الناس قبل تصفية أرواحهم، والسمو بنظرتهم، وإطلاق عقولهم من أسر الأهواء والشهوات، ينطلقون في مواقفهم من حبهم وبغضهم، وارتباطاتهم، ويكون إقدامهم وإحجامهم من منطلقات محسوسة أو قريبة من الحس بالنسبة إليهم، ولا يتفاعلون بعمق مع المُثل والقيم الشريفة، والمفاهيم والمعاني الإيمانية العالية، ذات القيمة الروحية والمعنوية.

من أجل ذلك كان لابد من الرفق بهم، وتيسير الأمور عليهم، بإبراز الجانب الحسي، أو القريب من الحس لتقريبهم من خط الإستقامة على طريق تصفية قلوبهم، وأرواحهم، ليتمكنوا من نيل المعاني السامية، والتفاعل الروحي معها، والإنصهار في بوتقة الإيمان، والإنشداد إلى كل حقائقه ودقائقه، والتفاعل معها بكل وجودهم.

ما المبرر لهذا البغض؟!:

وقد دلنا بريدة على بغضه الشديد لعلي «عليه السلام»، حتى لقد ذكر أنه كان يحب البعض لمجرد معرفته بشدة بغضه لأمير المؤمنين «عليه السلام».. ولكنه لم يذكر لنا أي مبرر لهذا البغض، رغم أن بريدة قد أسلم في أول سني الهجرة، حين مرَّ النبي «صلى الله عليه وآله» به ـ مهاجراً ـ من مكة، ثم قدم إلى المدينة بعد بدر وأحد[1].

وقيل: إنه أسلم بعد منصرف النبي «صلى الله عليه وآله» قبل بدر[2].

---

(١) الإصابة ج١ ص١٤٦ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج١ ص١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٢٣٥.

(٢) سبل السلام ج١ ص١٠٧ وتحفة الأحوذي ج١ ص٤٠٠ وج٢ ص١٩١ وشرح مسند أبي حنيفة للملا علي القاري ص١٠٣ وفيض القدير ج١ ص٤٢١ والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص٢٧ وتقريب التهذيب ج١ ص١٢٤ و ٣٧٨ والأعلام للزركلي ج٢ ص٥٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٧٦ وأعيان الشيعة ج٣ ص٥٦٠ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٧٧ والإصابة ج١ ص١٤٦ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج١ ص١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥.

فبريدة إذن قد عاش مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومع علي «عليه السلام» سنوات عديدة، يرى فيها تضحيات علي «عليه السلام» وسلوكه المثالي، وعبادته، واستقامته، ويرى حب النبي «صلى الله عليه وآله»، وتقديمه له، ويسمع أقواله فيه، فلماذا استمر على بغضه، ولم يؤثر فيه شيء من ذلك؟!

ثم جاء هذا التحول الذي يتحدث عنه بريدة، بعد أن وجد نفسه أمام غضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وغضب الله سبحانه، الأمر الذي جعله أمام خيار خطير جداً لا قِبَلَ له به، فآثر أن يعلن توبته عن هذه الموبقة الكبرى، على الرضا بأن يكون في دائرة الكفر والنفاق، الذي انتقل ـ بما سمعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ من الخفاء إلى العلن، وكاد أن يجد نفسه أمام فضيحة مرعبة وهائلة.. تجعله في مواجهة الخزي والعار، وفي موضع غضب الله ورسوله في الدنيا والآخرة.

وقد كان بريدة قبل هذه الحادثة يرى أنه قادر على التعلل فيما بينه وبين نفسه بأن له الحق في أن يبغض علياً «عليه السلام»، إن كان لم يسمع قول النبي «صلى الله عليه وآله» فيه: لا يبغضك إلا منافق، أو ابن زنا، أو نحو ذلك.. ثم أن يزين لنفسه أن جهاد وتضحية علي «عليه السلام» وما يراه من مواقف له، وما يسمعه من ثناء نبوي عليه، إنما يجري وفق ظواهر الأمور، وربما تكون البواطن على خلاف ذلك..

ولكنه بعد هذا الحدث ـ الصدمة ـ لم يعد قادراً على السير في هذا الإتجاه، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبره ـ وهو كما قال الله عز

وجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1] ـ: أن الله يبغض مبغض علي «عليه السلام»، وأن حبه واجب عليه، وأنه ولي كل مؤمن، فلم تعد القضية مقتصرة على ظواهر الأمور، بل هي قد كشفت بواطنها أيضاً..

إختلاف أقوال النبي ﷺ:

وقد ظهر من الروايات التي ذكرناها فيما سبق: أنها تتضمن نصوصاً متعددة كلها منسوبة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في حق علي «عليه السلام»..

ونبادر إلى القول:

إن ذلك الإختلاف لا يقلل من قيمتها، ولا يسيء إلى صدقيتها، واختلافها لا يؤيد الحكم باختلاقها. لأن من القريب جداً أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك كله، لكن الرواة قد اختزلوا أقواله لدواع مختلفة.

ولعل بعض الإختلاف قد كان بسبب النقل بالمعنى أحياناً، كما أن نسيان الراوي لبعض الفقرات، قد يكون له دور في اقتصار روايته على فقرات دون غيرها. فليلاحظ ذلك.

علي عليه السلام قابض أم قاسم:

قد اختلفت الروايات المتقدمة في المهمة التي أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» لإنجازها، هل هي قبض الخمس من خالد؟

---

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

أم قسمة الفيء؟

ولعل الأرجح: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسله ليغنم، وليقبض، ويقسم، إذ لو كان المقصود هو مجرد قبض الخمس، فقد كان بإمكان خالد أن يرسله، أو أن يوصله هو إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من دون حاجة إلى الطلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأن يرسل إليه من يقبضه منه..

وقد كانت السرايا تقتسم الغنائم، وتحتفظ بالخمس إلى حين قدومها على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولم نعهد في أية سرية سوى هذه السرية أن قائد سرية أرسل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يطلب منه أن يبعث إليه من يقبض منه خمس الغنائم، وما أكثر السرايا التي أسر وسبى فيها المسلمون الشيء الكثير، العشرات والمئات، وغنموا في بعضها المئات والألوف، من الإبل، والغنم، وغير ذلك..

فما جرى في هذه الحادثة يعطينا: أنه «صلى الله عليه وآله» ـ لسبب ما ـ كان قد منع خالداً من التصرف بشيء من السبي والغنائم. إما لأنه كان يتهمه في أمانته، أو لأنه أراد أن ينبه الناس على أن تأميره على السرية لا يعني صلاحيته لأي أمر آخر قد يحاول أن يرشح نفسه، أو يرشحه محبوه له.

أو لغير ذلك من مقاصد..

تتابع المخبرين:

وقد صرح النص المذكور عن الطبراني: بأن المخبرين قد تتابعوا على

خالد بما صنعه علي «عليه السلام»، ثم تتابعت الأخبار.

وهذا يدل على: أن المهتمين بإيصال أخبار علي «عليه السلام» إلى خالد كانوا على درجة كبيرة من الكثرة، وفي ذلك إشارة إلى كثرة المتعاطفين مع خالد، والمتحاملين على علي «عليه السلام»..

ولابد أن ينتج ذلك أيضاً: أن يكون الذين سوف يطلعون على موقف رسول الله «صلى الله عليه وآله» من هذا الأمر سيكونون كثيري العدد جداً، خصوصاً بعد انضمام كثير من أهل المدينة إليهم.. وسوف يزداد انتشار خبر بريدة، حين يرى الناس تبدل أحواله تجاه علي «عليه السلام» وتحوله من مبغض حاقد إلى محب مادح وحامد. ولابد أن يكون ذلك مفيداً جداً في تعريف الناس على ولاية علي «عليه السلام»، التي أنشأها النبي «صلى الله عليه وآله» في قوله لبريدة: من كنت وليه فعلي وليه.

أخذ الكتاب بشماله:

وعن أخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاب خالد من بريدة بشماله نقول:

إن لهذا الحديث مغزى عميقاً، ودلالة هامة جداً، لأن المروي عنه «صلى الله عليه وآله» أنه: «كان يمينه لطعامه وشرابه، وأخذه وإعطائه، فكان لا يأخذ إلا بيمينه، ولا يعطي إلا بيمينه، وكان شماله لما سوى ذلك من بدنه، وكان يحب التيمن في كل أموره»[1].

---

(١) مكارم الأخلاق ص٢٣ والبحار ج١٦ ص٢٣٧ وسنن النبي للسيد الطباطبائي ص١٢٠ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي =

فأخذه كتابه بشماله ـ وهو ما لم نقرأ ولم نسمع أنه فعله في أي مورد آخر ـ يدلنا على: أن الله سبحانه قد كشف لنبيه «صلى الله عليه وآله» عن مضمون تلك الرسالة، وعرفه أنها تحمل في طياتها أموراً لا خير ولا يمن فيها، بل هي بمثابة قاذورات لابد من التنزه عنها قولاً، وفعلاً، وممارسة، كما لابد من إرفاقها بدلالات عملية، من شأنها أن تتجذر في عمق الذاكرة، لتبقى العلامة

= ج١ ص١٤٤ ومستدرك سفينة البحار ج١٤ ص١٥٤ وتفسير الميزان ج٦ ص٣١٣ ومعجم المحاسن والمساوئ لأبي طالب التبريزي ص٤٧١.

وراجع: سنن النسائي ج٨ ص١٣٣ ومنتهى المطلب (ط ق) ج١ ص٣٠٦ ومغني المحتاج للشربيني ج١ ص٥٥ وفتح المعين ج١ ص٦٥ والمغني لابن قدامة ج١ ص٩٠ والشرح الكبير لابن قدامة ج١ ص١٩ و ١١٠ وج٢ ص٨٧ وتلخيص الحبير ج١ ص٤١٩ ومسند أحمد ج٦ ص٩٤ و ١٣٠ و ١٤٧ و ٢١٠ وصحيح البخاري ج١ ص١١٠ وج٦ ص١٩٧ وج٧ ص٤٩ وصحيح مسلم ج١ ص١٥٦ وسنن أبي داود ج٢ ص٢٧٧ وشرح مسلم للنووي ج٣ ص١٦٠ و ١٦١ ومسند أبي داود الطيالسي ج١ ص٢٠٠ ومجمع الزوائد ج٥ ص١٧١ وج١٠ ص١٣٩ وجامع الأحاديث والمراسيل ج٥ ص٥١٩ ومشكاة المصابيح للهيثمي ج٢ ص١١١ والفتح الكبير ج٢ ص٣٦٤ وعمدة القاري ج٣ ص٣١ وج٤ ص١٧١ وج٢١ ص٣١ ومسند ابن راهويه ج٣ ص٨٢٠ و ٨٢١ ومسند ابي يعلى ج٤ ص٤٧٨ والجامع الصغير ج٢ ص٣٥١ وكنز العمال ج٧ ص١٢٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٣٨٦ و ٤٨١ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٤١١ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٦١ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٢٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٩٣ وج٩ ص٣٥٤ والنهاية في غريب الحديث ج٥ ص٣٠٢ ولسان العرب ج١٣ ص٤٥٨ ومجمع البحرين ج٤ ص٥٨٣.

الفارقة، التي لا مجال للتلاعب بها، أو التحايل عليها، والتي تشير إلى أن ثمة معنى سلبياً لا يتمكن أصحاب الأهواء من التعمية عليه، وتضييع سبل الوصول إليه.

من كنت مولاه فعلي وليه:

ويأتي قوله «صلى الله عليه وآله» لبريدة في هذه المناسبة بالذات: «من كنت وليه، فعلي وليه»، ليدل على أن ما يفعله علي «عليه السلام» في الشأن العام وكل ما يرتبط بالناس، فإنما هو من موقع الولاية، التي بيّن النبي «صلى الله عليه وآله» فيها ثلاثة أمور:

الأول: أنها من سنخ ولايته «صلى الله عليه وآله»..

الثاني: أن سعتها وامتدادها يوازي سعة وامتداد ولاية رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

الثالث: أنها ولاية فعلية، وفي عرض ولاية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليست إنشائية، بحيث تكون فعليتها بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما ربما يتوهمه البعض.

علي عليه السلام يفعل ما أمر به:

وقد صرحت رواية الطبراني المتقدمة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لبريدة حينما وقع في علي «عليه السلام» بسبب الجارية: «أحب علياً، فإنما يفعل ما أمر به».

وهذا معناه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه هو الذي دبر هذا الأمر، وذلك بأمر من الله تبارك وتعالى، ربما ليمهد السبيل إلى التقرير

الواضح والصريح: في أن ولاية علي «عليه السلام» على الناس على حد ولاية النبي «صلى الله عليه وآله» عليهم.

فإن استدراج خالد وحزبه لإظهار دخائل نفوسهم تجاه علي «عليه السلام» كان مطلوباً.. لتعريف الناس بأن ذلك يغضب الله ورسوله.. وليكون كل موقف يتخذه هؤلاء، ومن هم على شاكلتهم إذا كان يتضمن الطعن في علي «عليه السلام»، والإنتقاص منه، فإنما يمثل تمرداً منهم على وليهم الذي تبلغ حدود ولايته نفس ما بلغته ولاية رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليهم..

وبذلك تكون الحجة قد أقيمت وتمت على هؤلاء وعلى غيرهم، من الله ورسوله، قبل اتخاذهم أي موقف. الأمر الذي يجعل مواقفهم المخالفة قبل حدوثها مدانة ومرفوضة، وساقطة سلفاً، وهي من موجبات غضب الله ورسوله، ولا مجال لأي بحث، ولا يصح أي جدل فيها وحولها.

الغضب العظيم:

وقد صرح بريدة: بأنه رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد غضب غضباً لم يره غضب مثله إلا يوم قريظة والنضير..

وكيف لا يغضب «صلى الله عليه وآله» وهو يرى أن هؤلاء يصرون على الطعن في علي «عليه السلام»، وعلى عدم الاستسلام لأمر الله ورسوله فيه، رغم مرور السنوات على رؤيتهم لجهاده وتضحياته، وكراماته الظاهرة، وآياته الباهرة، في بدر وفي أحد، وفي خيبر، والخندق، والفتح، وحنين، وذات السلاسل وغير ذلك، ورغم سماعهم مباشرة، أو من خلال الشياع في الآفاق

ما كان ينزله الله تعالى فيه من آيات، وما يقوله رسوله «صلى الله عليه وآله» في حقه «عليه السلام».

فلماذا يصمون آذانهم، ويطبقون أعينهم، فلا يرون، ولا يسمعون، ولا يعقلون ذلك كله، ولا يستجيبون لما يريده الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»؟! وذلك هو سر تناهي غضب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى هذا الحد، فإن من الواضح: أن عدم الإنقياد للإمام «عليه السلام» وعدم الرضا بالإمامة يوازي هدم أساس الإسلام، وتقويض أركانه.

وفد همدان:

وفي سنة تسع، وبعد مرجع النبي «صلى الله عليه وآله» من تبوك جاء وفد همدان إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع وفود وملوك حمير.

قالوا: «وكان الوافدون من كل بطن سيدهم، فكتب لهم «صلى الله عليه وآله» كتاباً، وجعل لهم بعض الأراضي «ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة»، فأسلموا، واستعمل مالك بن نمط على من أسلم من قومه، وأمره بقتال ثقيف، فكان لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه»[1].

---

(١) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٣ ص٣٧٩ و (ط دار الجيل) ج٣ ص١٣٦٠ والإصابة ج٣ ص٣٥٦ و (ط دار الكتب العلمية) ج٥ ص٥٥٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٩٥ شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٤ وأسد الغابة ج٤ ص٢٩٤ وزاد المعاد ج٣ ص٣٤ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٩ وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٤٤ ـ ٢٤٥ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٣٩١ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٦ ص٤٨٢.

وذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال حين قدوم وفد همدان: «نعم الحي همدان، ما أسرعها إلى النصر، وما أصبرها على الجهد، وفيهم أبدال، وفيهم أوتاد الإسلام»[1].

ونقول:

إن لنا ملاحظات على ما سبق هي التالية:

١ ـ قالوا: «لم تكن همدان تقاتل ثقيفاً، ولا تغير على سرحهم، فإن همدان باليمن، وثقيف بالطائف»[2].

ولذلك رجحوا بل صححوا الحديث المتقدم، عن أن إسلام همدان كان على يد علي «عليه السلام» في اليمن نفسها، لا أنهم وفدوا إلى المدينة وأسلموا فيها[3].

٢ ـ استدل الزرقاني على بطلان حديث وفود همدان وإسلامها بنفس حديث إرسال خالد ثم علي «عليه السلام» إلى اليمن، إذ لو كانوا وفدوا إلى المدينة وأسلموا لم يرسل النبي «صلى الله عليه وآله» خالداً ولا علياً «عليه

---

(١) أسد الغابة ج٢ ص٥١ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٣٧٧ و ٣٨٧ وكنز العمال ج١٢ ص٦٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٤١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٥ ص١٨٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٤٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٦٥.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص١٩٥ عن هدى العباد لابن القيم، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٣٠ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٢٧ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٣٩١.

(٣) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٠.

السلام» إليهم.

وهناك مفارقة أخرى، وهي: أن في حديث البراء: أن بعث خالد وعلي «عليه السلام» قد كان في السنة الثامنة بعد قسمة غنائم حنين في الجعرانة، والوفد إلى المدينة إنما كان في التاسعة بعد تبوك.

فكيف يقال: إنهم أسلموا حين وفدوا إلى المدينة؟.

ثم جمع بين القولين: بأنه قد يكون الذين أسلموا طائفة من همدان، والوفد إلى المدينة كان من طائفة أخرى منها، وإن اتحدا في الاسم[1].

ونقول:

إن هذا الجمع لا يصح، لأن النص المتقدم يقول: «فأسلمت همدان جميعاً».

إلا أن يقال: لعل المقصود: أن جميع من حضر منها قد أسلم بدعوة علي «عليه السلام».

ولكن هذا الإحتمال خلاف ظاهر النص، فلا يصار إليه..

ولعل الأقرب إلى الإعتبار أن يقال: قد تضمن كلام مالك بن نمط في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما يدل على أنهم كانوا مسلمين قبل وفودهم إليه، لا أنهم قد وفدوا، ثم أسلموا عنده، فقد قال مالك:

«أتوك على قلص نواج، متصلة بحبال الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخلاف خارف، ويام، وشاكر، أهل السَّوَد، والقَوَد.أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا الآلهات والأنصاب، الخ..»[2].

---

(١) راجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٤.

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٤٤ و (نشر مكتبة علي صبيح بمصر) =

ومما يدل على ذلك دلالة واضحة أيضاً: قولهم: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إلى عمير ذي مرَّان ومن أسلم من همدان كتاباً جاء فيه:

«أما بعد ذلك، فإنه بلغنا إسلامكم، مرجعنا من أرض الروم (أي من غزوة تبوك) فأبشروا، فإن الله قد هداكم بهداه..».

إلى أن قال: «إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة تزكونها عن أموالكم لفقراء المسلمين..».

إلى أن قال: «وكتب علي بن أبي طالب»[1].

= ج٤ ص١٠١٧ وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص١٠١ وغريب الحديث لابن قتيبة ج١ ص٢٣٩ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٣٨٩ والفايق في غريب الحديث ج٣ ص٢٩٩ ومعجم ما استعجم ج٣ ص٨٤٨ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج١ ص٣٣٣.

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٧٠ ونقله في مكاتيب الرسول ج٣ ص٣٩٣ عن اليعقوبي، وعن: المعجم الكبير ج١٧ ص٤٧ و ٤٨ وأسد الغابة ج٤ ص١٤٧ ورسالات نبوية ص٢٠٢ وإعلام السائلين ص٢٤ والإصابة ج٣ ص١٢١ في ترجمة عمير وج٣ ص٣٥٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج١٤ ص٣٣٩ و ٣٤٠/ ١٨٤٧٩ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٤٦. ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٣٠/ ١١١ عن جمع ممن تقدم، وعن: معجم الصحابة لابن قانع خطية كوپرلو ملخصاً ورقة: ١٢١ ـ ألف، ثم قال: قابل المعارف لابن قتيبة ص٢٣٤ وراجع ص٧١٩ عن سبل الهدى والرشاد للشامي خطية باريس/ ١٩٩٢ ورقة: ٦٧ ـ ألف. وأوعز إليه في: أسد الغابة ج٢ ص١٤٥ في «ذي مران» وج٣ ص٨٣ في عامر بن شهر، والإصابة ج٢ ص٢٥١ في عامر بن شهر، والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٢ ص٤٩٣ والطبقات الكبرى ج٦ ص١٨ و ٤٢ =

فيلاحظ في هذا الكتاب:

١ ـ إنه يذكر: أن إسلام همدان قد بلغه بعد رجوعه من تبوك، وهو يدل على أنهم قد أسلموا في بلادهم قبل وصول وفدهم إليه، بل إن هذا الكتاب نفسه يدل على أنهم قد أسلموا أولاً، فبلغ ذلك النبي «صلى الله عليه وآله»، فكتب لهم هذا الكتاب، ولعلهم قد أرسلوا إليه وفداً بعد وصول هذا الكتاب إليهم..

٢ ـ إن هذا الكتاب كان بخط علي «عليه السلام»، فلعله كان هو الذي أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بإسلامهم.

ولكن السؤال هنا هو: إذا كان علي «عليه السلام» قد ذهب إليهم فور الفراغ من حرب حنين، فإنه قد عاد قبل غزوة تبوك قطعاً، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد خلفه في المدينة في هذه الغزوة قائلاً له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى..»، فلماذا أخر إخبار النبي «صلى الله عليه وآله» بإسلامهم إلى ما بعد عودته من تبوك؟!

بل إن النصوص المتقدمة قد صرحت: بأنه لما أسلمت همدان كتب «عليه السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بإسلامهم، فلما قرأ الكتاب خر «صلى الله عليه وآله» ساجداً، وقال: السلام على همدان الخ..

ويمكن أن يجاب: بأن ذلك وإن كان صحيحاً، لكن لعله «صلى الله

= والكامل لابن عدي ج٦ ص٢٤١٤ والإكليل ج١٠ ص٤٩. وفي رسالات نبوية: قال الحافظ وابن الأثير: أخرج الطبراني ـ ثم ساق الكتاب، فقال ـ قال ابن الأثير: أخرجه ابن مندة، وأبو نعيم، وابن عبد البر، وأخرجه ابن سعد في الطبقات.

عليه وآله» كان ينتظر تأكد إسلامهم عملياً، بحيث يظهر ذلك، ويرى الناس صدقهم فيه، وأنه لم يكن عن خوف من علي «عليه السلام».. فلما بلغه ذلك كتب إليهم بهذا الكتاب.

٣ ـ لقد لاحظنا: أنه «صلى الله عليه وآله» يستبق الأمور فيما يرتبط بدفع الوساوس والشبهات عن الناس، وتحصينهم من سوء الظن الذي يسيء إلى صفاء العقيدة، بل قد يسوقهم إلى التشكيك بالنبوة، والخروج من الإسلام، أو يجعل إسلامهم مشوباً بالنفاق، حين يظنون برسول الله «صلى الله عليه وآله» حب الدنيا، والطمع بأموالهم..

فأفهمهم «صلى الله عليه وآله» بما كتبه إليهم عن الصدقات التي تؤخذ منهم: أنه لا مجال لتلك التوهمات في حقه، لأن ذلك مما لا يمكن حصوله، فقد أعلمهم أن هذه الأموال التي يأخذها منهم محرمة عليه وعلى أهل بيته أيضاً.

يضاف إلى ذلك: أنها ملك الغير، وليس مطلق الغير، بل خصوص الفقراء منهم.

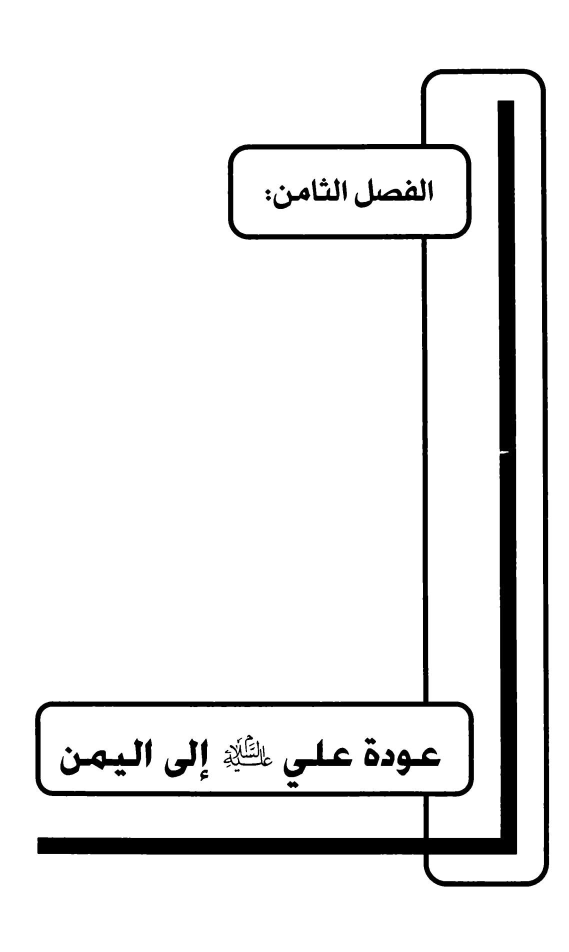
فيتعاضد الحاجز الشرعي المتمثل بحرمة ذلك، مع المانع العاطفي والإنساني، ما دام أن ذلك المال هو للفقراء، الذين يكون نفس فقرهم حاجزاً للإنسان عن العدوان على أموالهم، الأمر الذي يجعل من أي وسوسة شيطانية ظاهرة الفساد، ولا يمكن إفساح المجال لها، إلا ممن يكون في قلبه مرض.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



الفصل الثامن:

عودة علي عليه السلام إلى اليمن

الفصل الثاني:

سرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن المرة الثانية:

قال محمد بن عمر، وابن سعد، واللفظ للأول: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً إلى اليمن في شهر رمضان، وأمره أن يعسكر بقناة، فعسكر بها حتى تتامّ أصحابه. فعقد له رسول الله «صلى الله عليه وآله» لواءً، وأخذ عمامته فلفها مثنية مربعة، فجعلها في رأس الرمح، ثم دفعها إليه. وعممه بيده عمامة ثلاثة أكوار، وجعل له ذراعاً بين يديه، وشبراً من ورائه، وقال له: «امض ولا تلتفت».

فقال علي «عليه السلام»: يا رسول الله، ما أصنع؟

قال: «إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، وادعهم إلى أن يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فإن قالوا: نعم، فمرهم بالصلاة، فإن أجابوا، فمرهم بالزكاة، فإن أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك، والله، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت».

فخرج علي «عليه السلام» في ثلاثمائة فارس، فكانت خيلهم أول خيل دخلت تلك البلاد. فلما انتهى إلى أدنى الناحية التي يريد من مذحج فرق أصحابه، فأتوا بنهب وغنائم وسبايا، نساءً وأطفالاً، ونعماً وشاءً، وغير ذلك.

فجعل علي «عليه السلام» على الغنائم بريدة بن الحصيب الأسلمي،

فجمع إليه ما أصابوا قبل أن يلقى لهم جمعاً. ثم لقي جمعهم، فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا، ورموا أصحابه بالنبل والحجارة.

فلما رأى أنهم لا يريدون إلا القتال صف أصحابه، ودفع اللواء إلى مسعود بن سنان السلمي، فتقدم به، فبرز رجل من مذحج يدعو إلى البراز، فبرز إليه الأسود بن خزاعي، فقتله الأسود، وأخذ سلبه.

ثم حمل عليهم علي «عليه السلام» وأصحابه، فقتل منهم عشرين رجلاً، فتفرقوا وانهزموا، وتركوا لواءهم قائماً، وكفَّ علي «عليه السلام» عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام، فأسرعوا وأجابوا.

وتقدم نفر من رؤسائهم، فبايعوه على الإسلام وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا. وهذه صدقاتنا، فخذ منها حق الله تعالى.

وجمع علي «عليه السلام» ما أصاب من تلك الغنائم، فجزأها خمسة أجزاء، فكتب في سهم منها لله، ثم أقرع عليها، فخرج أول السهمان سهم الخمس، وقسم علي «عليه السلام» على أصحابه بقية المغنم. ولم ينفل أحداً من الناس شيئاً، وكان من كان قبله يعطون خيلهم الخاص دون غيرهم من الخمس، ثم يخبرون رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك فلا يردُّه عليهم، فطلبوا ذلك من علي «عليه السلام»، فأبى، وقال: الخمس أحمله إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يرى فيه رأيه[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٣٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٠٦ والطبقات الكبرى ج٢ ق١ ص١٢٢ وشرح المواهب اللدنية ج٥ ص١٧٧ عن ابن سعد وراجع: إمتاع الأسماع ج٢ ص٩٦ و ٩٧ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢١ ص٦٢٧.

وأقام فيهم يقرئهم القرآن، ويعلمهم الشرائع، وكتب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً مع عبد الله بن عمرو بن عوف المزني يخبره الخبر.

فأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يوافيه الموسم، فانصرف عبد الله بن عمرو بن عوف إلى علي «عليه السلام» بذلك، فانصرف علي «عليه السلام» راجعاً.

فلما كان بالفتق تعجل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخبره الخبر، وخلَّف على أصحابه والخمس أبا رافع، فوافى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمكة قد قدمها للحج.

وكا ن في الخمس ثياب من ثياب اليمن، أحمال معكومة، ونعم وشاء مما غنموا، ونعم من صدقة أموالهم. فسأل أصحاب علي «عليه السلام» أبا رافع أن يكسوهم ثياباً يحرمون فيها، فكساهم منها ثوبين ثوبين.

فلما كانوا بالسدرة داخلين خرج علي «عليه السلام» ليتلقَّاهم ليقدم بهم، فرأى على أصحابه الثياب، فقال لأبي رافع: ما هذا؟

فقال: «كلموني، ففرقت من شكايتهم، وظننت أن هذا ليسهل عليك، وقد كان مَنْ قبلك يفعل هذا بهم».

فقال: «قد رأيت امتناعي من ذلك، ثم أعطيتهم؟! وقد أمرتك أن تحتفظ بما خلَّفت، فتعطيهم»؟.

فنزع علي «عليه السلام» الحلل منهم.

فلما قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» شكوه، فدعا علياً «عليه السلام»، فقال: «ما لأصحابك يشكونك»؟

قال: ما أشكيتهم، قسمت عليهم ما غنموا، وحبست الخمس حتى

يقدم عليك فترى فيه رأيك.

فسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

ونقول:

إن هذا النص قد تضمن أموراً عديدة يحسن الوقوف عندها، وهي التالية:

أول خيل دخلت إلى اليمن:

ذكر النص المتقدم: أن خيل علي «عليه السلام» كانت أول خيل دخلت إلى بلاد اليمن.

وهذا يلقي بظلال من الشك على ما تقدم، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل خالداً إلى اليمن، وأنه قد حصل على بعض الغنائم، فطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يرسل إليه من يقبضها منه..

إلا أن يقال: إنه ليس بالضرورة أن يكون خالد قد حصل على تلك الغنائم من بلاد اليمن، فلعلها حصلت له من مواجهات مع بعض القبائل التي صادفها في طريقه، أو قصدها لغرض الدعوة..

ولعله حين دخل خالد إلى بلاد اليمن لم يدخلها في خيل قتال.. ولكنه قد تعرض لأهل اليمن ببعض ما يسوءهم، فأثار حفيظتهم، فامتنعوا عن الإسلام.. ثم لما جاءهم علي «عليه السلام» وجدوا فيه نمطاً يختلف تماماً عن نمط من سبقوه، فقبلوا منه.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٣٩ وراجع: إمتاع الأسماع ج٢ ص٩٧ وشرح إحقاق الحق ج٢١ ص٦٢٨.

إمض ولا تلتفت:

إننا نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال لعلي «عليه السلام» حين وجهه إلى اليمن: «إمض ولا تلتفت».

وهذه هي نفس الكلمة التي قالها له «عليه السلام»: حين وجهه إلى يهود خيبر، حيث قتل مرحباً، واقتلع باب خيبر، وفتح الحصن.. ولم نره قال ذلك لعلي «عليه السلام» في غير هذين الموردين.

وقد يقال: إن من نقاط الإشتراك بينهما: أن فتح خيبر، فيه إسقاط لهيمنة اليهود، في تلك المنطقة، وكسر لشوكتهم، وإذلال لهم.. وإسلام اليمن يمثل أيضاً ضربة قوية لعنفوان اليهود، الذين كانت لهم هيمنة كبيرة وانتشار واسع في تلك البلاد.

يضاف إلى ذلك: إرادة إظهار مدى طاعة علي «عليه السلام»، والتزامه بحرفية أوامر النبي الكريم «صلى الله عليه وآله».. لكي يوازن الناس بين ذلك وبين ممارسات غيره، ممن تكون أهواؤهم، وعصبياتهم هي المهيمنة على تصرفاتهم.

ثم إن هذا التوجيه يشير إلى لزوم الإنضباط التام، وعدم التسامح، ولزوم الكف عن التوسع الإجتهادي في تطبيق الأوامر الصادرة عن القيادة، فكيف إذا كانت هذه القيادة معصومة، ولها مقام النبوة الخاتمة؟!

ثم إن هذا الأمر يعطي الإيحاء القوي: بأن على الإنسان حين يكلف بمهمة جهادية، وخصوصاً إذا كان ذلك من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن لا يشغله أي شأن آخر، وأن يركز كل همه، ويحصر كل تفكيره، في تلك المهمة التي أوكلت إليه، وأن يقطع جميع تعلقاته بأي شيء آخر مهما كان..

لا تقاتلهم حتى يقاتلوك:

إن الإمام «عليه السلام» حين قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: ما أصنع؟ فإنما أراد للناس كلهم أن يسمعوا الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» وهو يحتم على مبعوثيه: أن لا يقاتلوا الآخرين حتى يقاتلوهم. وإن المهمة منحصرة في الدعوة إلى الإسلام والإيمان، وأن المطلوب هو هداية الناس إلى الله، وإلى سلوك طريق الرشاد والسداد، والهدى.

وهذا يشير إلى: أن هذا العدد الضخم لأفراد السرية قد كان لأجل أن يحفظ بعضهم بعضاً في أسفارهم في البراري والقفار حتى لا يجتري عليهم ضعفاء النفوس، والمتطفلون، والطامعون ممن يمتهنون السلب والنهب كوسيلة للحصول على ما يعتاشون به، كما هو حال كثير من الناس في تلك الأيام.

التدرج في الدعوة، والإكتفاء باليسير:

وقد لوحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر علياً «عليه السلام»: بأن تكون دعوته للناس على مراحل..

ولوحظ أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر علياً «عليه السلام» بأن يطلب منهم أموراً ثلاثة، بل هو قد منعه من طلب الزائد، أيّاً كان نوعه وطبيعته..

فالمطلوب الأول هو: أن يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله..

فمجرد قول هذه الكلمة يكفي في عدم جواز التعرض لهم بشيء، بل هو لم يسمح بأي من أنواع التدقيق والبحث عما وراء هذا القول، حتى ولا

الإستفهام عن درجة الإيمان ومضمونه..

فإن قالوا ذلك، فالمطلوب الثاني هو: أن يصلّوا..

فإن فعلوا ذلك، فالمطلوب الثالث هو: أن يزكّوا..

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد حسم الأمر فيما زاد عن ذلك، فقال: ولا تبغ منهم غير ذلك.

وهذا يعني: أن على من يشارك في تلك السرايا أن لا يتوهم أنها من مصادر الرزق، وأنه يباح له سلب أموال الناس تحت غطاء الدين والدعوة..

وأن على الذين يُدْعَوْنَ للإسلام أن لا يفكروا بأن هؤلاء الدعاة ومن وراءهم يطمعون بأموالهم، أو بنسائهم، أو بالهيمنة عليهم..

ثم إن الشهادة لله بالوحدانية، ولمحمد «صلى الله عليه وآله» بالرسالة هما من الأمور الإعتقادية القلبية، التي لا يعود نفعها لغير المعتقد بها.. وأما الصلاة فما هي إلا صلة وعلاقة بين الإنسان وربه.. والزكاة أيضاً إنما يعود نفعها للفقراء والمساكين، الذين لا يتحرج الناس في بِرِّهم، وسدّ حاجاتهم.. ولا يجوز للنبي «صلى الله عليه وآله»، ولا لأحد من أهل بيته «صلى الله عليه وآله»، وعشيرته أن يستفيد منها، ولو بمقدار حبة، وذلك بمقتضى التشريع الإلهي الذي جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله».

هل أتوا بنهب وسبايا؟!:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أنه «عليه السلام» لما وصل إلى أدنى ما يريد من مذحج، فرق أصحابه، فأتوه بنهب وسبايا الخ.. قبل أن يلقى لهم

جمعاً، ثم لقي جمعهم فدعاهم الخ..

ولكن ذلك موضع ريب كبير، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أوصى علياً «عليه السلام» بأن لا يقاتلهم حتى يقاتلوه، فما معنى: أن يقبل من أصحابه السبايا والغنائم، والنهب الذي جاؤوه به، حيث اغتنموا فرصة غيبة الرجال عن الحي ولم يكن هناك من تعرض عليه الدعوة، فيقبلها، أو يردها؟!.

فهل أجاز النبي «صلى الله عليه وآله» له الإنتهاب والسبي، ومنعه من القتال؟!

وهل يتوقع أن يتعرض مال شخص للإنتهاب، وعرضه وأطفاله للسبي، ثم يقف مكتوف اليدين؟! فلا يعترض!! ولا يغضب!! ولا يعتبر ذلك ظلماً وتعدياً؟! ألا يتوقع منه أن يقول: لماذا لم تسألوني، ولم تعرضوا علي مطالبكم أولاً؟! فإن رفضتها بلا مبرر، فلكم الحق بانتهاب مالي، وسبي عيالي، وأطفالي؟!

وهل يصح اعتبار هذا التصرف من مصاديق قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؟![1] أم أنه أبعد ما يكون عن مفهوم هذه الآية؟!

من أجل ذلك نقول:

لعل في الرواية تحريفاً لغاية في نفس يعقوب، أو لعل فيها سقطاً أوجب اختلال المعنى. أو لعل فيها تقديماً وتأخيراً، بتقدير، أن يكون «عليه السلام»

---

(١) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

قد واجه رجالهم فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا، ورموا أصحابه بالنبل والحجار، فقاتلهم فهزمهم، وقتل منهم، وتفرق أصحابه إلى مواضع نزولهم فأتوا بسبي وغنائم، ثم كفّ «عليه السلام» عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام مرة أخرى فأسرعوا وأجابوا، وبايعه نفر من رؤسائهم، وضمنوا له الإسلام وراءهم..

سيرة علي عليه السلام في الخمس تخالف سيرة غيره:

وعن سيرة علي «عليه السلام» في الخمس نقول:

لقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» يريد من جهة: أن يربي الناس على مفاهيم الشريعة، وعلى الإلتزام بأحكامها. ويريد من جهة أخرى: أن يكون رفيقاً ورحيماً بهم، ومتألفاً لهم على هذا الدين.

وكان الناس آنئذٍ حديثي عهد بالجاهلية، ولم تستأصل مفاهيمها من نفوسهم، ولهم في الأموال رغبة، وفيهم إليها حاجة بصورة عامة.. وربما لم تكن القناعة قد تبلورت لديهم في موضوع الخمس، ولعل بعضهم كان يرى: أنه إذا كان ـ الخمس ـ للرسول «صلى الله عليه وآله»، فالمفروض هو: أن يتنازل عنه لمصلحتهم.

فصاروا يستأثرون به لأنفسهم بصورة منتظمة، فيعطيه قادتهم إلى خيلهم الخاص دون غيرهم، ثم يخبرون النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك، فلا يرده عليهم..

وحين لم يفعل ذلك علي «عليه السلام» طالبوه به، فرفض إجابة طلبهم، وحمل الخمس إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فلما رجعوا شكوا علياً «عليه السلام» إليه «صلى الله عليه وآله».. فسأله فأخبره، فسكت «صلى الله

عليه وآله»، وانتهى الأمر عند هذا الحد..

فنلاحظ هنا:

١ ـ أنه كان من غير اللائق بأولئك القادة أن يتصرفوا بالخمس، من دون إذن من صاحبه، واضعين النبي «صلى الله عليه وآله» أمام الأمر الواقع.

٢ ـ إن القائد الذي يولِّيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمين على الأموال، وليس وكيلاً في صرفها كيف شاء.

٣ ـ إن مطالبة أولئك الناس لقوادهم بأموال ليست لهم، لا مبرر لها.. فكيف إذا بلغ الأمر بهم حد شكاية قائدهم، إذا امتنع عن إعطائهم أموالاً لا حق لهم فيها؟!.

٤ ـ لو أن النبي «صلى الله عليه وآله» أراد أن يضع حداً لهذا التصرف لاتهم بالبخل والعياذ بالله.. فلذلك كان لا يطالبهم بها أخذوه مما يعود إليه.

٥ ـ لو أن علياً «عليه السلام» لم يبادر إلى وضع حد لهذا التصرف المخالف، لأصبح سنة، ولضاعت الفائدة من تشريع الخمس، ولبطل التشريع من أصله، إذا كان هناك من يريد أن يفهم من هذا السلوك النبوي وسماحته «صلى الله عليه وآله» وكرم أخلاقه على أنه نسخ للتشريع بصورة عملية..

٦ ـ إنهم قد اغتنموا فرصة غياب علي «عليه السلام» لمعاودة السعي للحصول على تلك الأموال التي لا حق لهم بها، وكأنهم ظنوا أن غيبته «عليه السلام» تزيل عنه صفة الأمين على ذلك المال والمسؤول عنه..

٧ ـ إن علياً «عليه السلام» قد استعاد الحلل التي كان أبو رافع قد قسمها على أفراد السرية وإن كان أبو رافع قد تحجج بـ:

ألف: أنه قد خاف من شكايتهم.

ب: أنه ظن أن هذا الأمر يسهل على علي «عليه السلام».

ج: أن من كان قبل علي «عليه السلام» كان يفعل ذلك..

وهي حجج واهية: فإنه رجل قد اؤتمن على مال غيره، فلا معنى للخوف من شكاية الناس الذين كانوا معه، إذا كانت شكايتهم على منعهم أمراً لا يستحقونه..

وقد كان المال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلى علي «عليه السلام» أن يوصله إليه، فكيف يسهل عليه إعطاؤه لغير صاحبه؟!

وفعل غير علي «عليه السلام» إذا كان خطأً، لا يصلح للتأسي به، أو الإستناد إليه.. فإن الخطأ لا ينتج صواباً..

٨ ـ إن هؤلاء الذين يسعون للحصول على مال لا يملكونه، ويغتنمون فرصة غياب الأمين على ذلك المال، ليأخذوه من الذي ائتمنه عليه، بعد أن منعهم هو منه، يريدون أن يستفيدوا من نفس هذا المال في إحرام حجهم، الذي يفترض فيهم: أن يهتموا بأن يبعدوه عن أية شبهة، وعن أي مالٍ يشك في حليته وطيبه..

علي عليه السلام المقرئ والمعلم:

وقد تقدم: أن علياً «عليه السلام» أقام في أهل اليمن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الشرائع.. وهذا هو ما يطمح إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإن ما يسعده، ويلذّ له هو إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن الضلال إلى الهدى، وأن يعيش الناس أحراراً، سعداء برضا الله، ملتزمين بشرائعه، إخواناً على سرر متقابلين، لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً

من دون الله، ولا يسعى بعضهم للتسلط على بعض، وإذلاله، والإستئثار بالخيرات والمنافع دونه..

ولا يريد أن يكون جباراً في الأرض، ولا أن يهيمن على الناس، وتخضع له رقابهم، ولا يبغي الراحة لنفسه بتعبهم، ولا الغنى بفقرهم، ولا عزةً بذلهم.

عممه بعمامته، وبيده:

وقد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تصرف مع علي «عليه السلام» بصورة من شأنها أن تظهر فضله «عليه السلام» وموقعه، حين انتظر حتى تتام أصحابه في معسكرهم.

ثم عقد له لواءً، وأخذ عمامته ولفها مثنية مربعة، فجعلها في رأس الرمح. ثم دفعها إليه..

ثم عممه بيده عمامة ثلاثة أكوار. وجعل له ذراعاً بين يديه، وشبراً من ورائه، ثم أصدر إليه الأمر بالمضي، وعدم الإلتفات..

وكل ذلك يجعل الناس يعيشون لحظات من الرقابة المتمازجة بمشاعر الإعجاب والرضا، والإيغال في آفاق البهاء والصفاء، والجمال والجلال، والمحبة والرضا.

القاضي والمعلم لأهل اليمن:

تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نهى علياً «عليه السلام» عن قتال أحد إلا أن يقاتلوه، وأعطاه تعليماته التي بينت: أن المطلوب هو دعوتهم إلى الله تعالى، وأن عليه أن يتدرج في طلب ذلك منهم، ولكنه لم يزد

عن طلب ثلاثة أشياء، كما سلف..

وصرحت نصوص أخرى: بأن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد أرسل علياً «عليه السلام» إلى اليمن قاضياً.

وزعمت: أنه «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: تبعثني إلى قوم وأنا حدث السن ولا علم لي بالقضاء (أو بكثير من القضاء)، فوضع يده على صدره وقال: إن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك. يا علي، إذا جلس إليك الخصمان، فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر الخ..[1].

---

(١) مسند أحمد ج١ ص٨٣ و ٨٨ و ١٤٩ و (ط دار صادر) ج١ ص١١١ والطبقات الكبرى (ط دار المعارف بمصر) ج٢ ص٣٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص١٤٠ وذخائر المواريث ج٣ ص١٤ وتيسير الوصول (ط نول كشور) ج٢ ص٢١٦ وقضاة الأندلس ص٢٣ وخصائص الإمام علي «عليه السلام» للنسائي (ط التقدم بمصر) ص١٢ وأخبار القضاة لوكيع ج١ ص٨٥ وفرائد السمطين، ونظم درر السمطين ص١٢٧ والشذورات الذهبية ص١١٩ وطبقات الفقهاء ص١٦ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٢٣٦ ومناقب علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص٢٤٨ والرصف ص٣١٣ وجمع الفوائد من جامع الأصول، ومجمع الزوائد ج١ ص٢٥٩ وفتح المنعم (مطبوع مع زاد المسلم) ج٤ ص٢١٧ والبحار ج٢١ ص٣٦٠ و ٣٦١ وفي هامشه عن: إعلام الورى (ط ١) ص٨٠ و (ط٢) ص١٣٧. وراجع: العمدة لابن البطريق ص٢٥٦ وفتح الباري ج٨ ص٥٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١١٧ وكنز العمال ج١٣ ص١٢٥ والبداية والنهاية ج٥ ص١٢٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٠٨ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» ج١ ص٢٠٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٦٥ وج٢٠ ص٥٦٥ و ٥٧١ وج٢٢ ص١٧٦ وج٣١ ص٣٨٧.

ولذلك اعتبر السكتواري علياً «عليه السلام» أول قاض بعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى اليمن[١].

غير أننا نقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد صرح بما يدل على رسوخ قدم علي «عليه السلام» في العلم في مناسبات كثيرة قبل ذهاب علي «عليه السلام» إلى اليمن، ولم يزل يجهر بذلك على مدى ثلاث وعشرين سنة، فهو عيبة علمه، وهو منه بمنزلة هارون من موسى، وهو مدينة العلم وعلي بابها، إلى غير ذلك مما يتعذر جمعه، وإحصاؤه، وقد نزلت فيه «عليه السلام» آيات كثيرة تشير إلى علمه هذا، ويكفي قوله تعالى: ﴿..**قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[٢].

يضاف إلى ذلك: أنه «عليه السلام» نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة، وهل يمكن أن يكون كذلك إذا كان ـ حسب زعمهم ـ: إلى أواخر حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يعرف القضاء؟!![٣].

ويمكن أن يجاب: بأنه «عليه السلام» إنما تكلم بلسان غيره، وعبر عن مكنونات ضمائرهم، لكي يُسمعهم ويُسمع الأجيال كلها إلى يوم القيامة جواب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، القاطع لكل عذر، والمبدد لجميع الأوهام، وليبوء هؤلاء بالإثم والخزي والخذلان..

---

(١) محاضرة الأوائل ص٦٢.

(٢) الآية ٢٤ من سورة الرعد.

(٣) وقد ذكر في إحقاق الحق (قسم الملحقات) مئات الأحاديث الدالة على علم الإمام علي «عليه السلام» وفضله فراجع.

الرواية الأقرب إلى القبول:

وبالنسبة لذهاب علي «عليه السلام» إلى اليمن نقول:

لعل الصحيح هو: أنه «عليه السلام» قد ذهب إلى اليمن أولاً، فأسلمت همدان كلها على يديه في ساعة واحدة، وانتشر الإسلام في تلك البلاد.

ثم إن أهلها شعروا بحاجتهم إلى من يفقههم في الدين، فوفدوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وطلبوا منه ذلك، فأرسل إليهم علياً «عليه السلام» مرة ثانية، فقد روي: أنه أتى النبي «صلى الله عليه وآله» ناس من اليمن، فقالوا: ابعث فينا من يفقهنا في الدين، ويعلمنا السنن، ويحكم فينا بكتاب الله.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: انطلق يا علي إلى أهل اليمن، ففقههم في الدين وعلمهم السنن، واحكم فيهم بكتاب الله.

فقلت: إن أهل اليمن قوم طغام، يأتوني من القضاء بما لا علم لي به.

فضرب «صلى الله عليه وآله» على صدري، ثم قال: اذهب، فإن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك. فما شككت في قضاء بين اثنين حتى الساعة[1].

---

(١) منتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج٥ ص٣٦ وكنز العمال ج١٣ ص١١٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٣٥ وو ٤٠ و ٤٥ وج٢١ ص٦٣٤ وج٢٢ ص٥١١ وج٢٣ ص٦٦٧ وراجع: أخبار القضاة لمحمد بن خلف بن حيان ج١ ص٨٦ و تاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٦٣٧.

وقال الطبرسي: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إلى اليمن، ليدعوهم إلى الإسلام، وليخمس ركازهم، ويعلمهم الأحكام، ويبين لهم الحلال والحرام، وإلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم، ويقدم عليه بجزيتهم[1].

النبي ﷺ لم يعلم علياً عليه السلام القضاء:

ولعل من المهم هنا: أن نشير إلى أن الملاحظ هو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يعلم علياً «عليه السلام» القضاء، بل اكتفى بالطلب إليه أن لا يقضي بين الخصمين حتى يسمع كلامهما.. ثم أخبره بأن الله تعالى هو الذي يتولى هداية قلبه، وتثبيت لسانه على الحق والصواب.

ولا ريب في أن ذلك لن يكون على سبيل القهر والجبر، بل هو منحة إلهية، تدل على مكانة علي «عليه السلام» عند الله تبارك وتعالى، وعلى أنه «عليه السلام» قد بلغ هذا المقام بجهده وجهاده، فاستحق هذه الهداية الإلهية على قاعدة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[2]، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[3]، ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[4].

---

(١) البحار ج٢١ ص٣٦٠ وفي هامشه عن: إعلام الورى (ط١) ص٧٩ و ٨٠ و (ط٢) ص١٣٧.

(٢) الآية ٦٩ من سورة العنكبوت.

(٣) الآية ١٧ من سورة محمد.

(٤) الآية ١١ من سورة التغابن.

قضاء علي عليه السلام قضاء النبي صلى الله عليه وآله:

وقد ذكروا العديد من مفردات الأقضية التي صدرت عن علي «عليه السلام» في اليمن، ومنها:

١ ـ قالوا: احتفر قوم بئراً باليمن، فأصبحوا وقد سقط فيها أسد، فنظروا إليه، فسقط إنسان بالبئر، فتعلق بآخر، وتعلق الآخر بآخر، حتى كانوا في البئر أربعة، فقتلهم الأسد، فأهوى إليه رجل برمح فقتله.

فتحاكموا إلى علي «عليه السلام».

فقال: ربع دية، وثلث دية، ونصف دية، ودية تامة: للأسفل ربع دية، من أجل أنه هلك فوقه ثلاثة، وللثاني ثلث دية، لأنه هلك فوقه إثنان، وللثالث نصف دية، من أجل أنه هلك فوقه واحد، وللأعلى الدية كاملة.

فإن رضيتم فهو بينكم قضاء، وإن لم ترضوا فلا حق لكم حتى تأتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيقضي بينكم.

فلما أتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» قصوا عليه خبرهم، فقال: «أنا أقضي بينكم إن شاء الله تعالى».

فقال بعضهم: يا رسول الله، إن علياً قد قضى بيننا.

قال: «فيم قضى»؟ فأخبروه.

فقال: «هو كما قضى به»[1].

---

(١) راجع: مسند الطيالسي ص١٨ وأخبار القضاة لوكيع ج١ ص٩٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١١١ وذخائر العقبى ص٨٤ وتذكرة الخواص ص٤٩ والقياس في الشرع الإسلامي ص٤٥ وأعلام الموقعين ج٢ ص٣٩ ومجمع بحار الأنوار =

٢ ـ كان علي «عليه السلام» باليمن، فأُتي بامرأة وطأها ثلاثة نفر في طهر واحد، فسأل اثنين: أتقران لهذا بالولد؟

فلم يقرَّا.

ثم سأل اثنين: أتقران لهذا بالولد؟

فلم يقرَّا.

ثم سأل اثنين، حتى فرغ، يسأل اثنين اثنين غير واحد، فلم يقرُّوا.

ثم أقرع بينهم، فألزم الولد، الذي خرجت عليه القرعة، وجعل عليه ثلثي الدية.

فرفُع ذلك للنبي «صلى الله عليه وآله»، فضحك حتى بدت نواجذه

زاد في نص آخر: وقال: «القضاء ما قضى».

أو قال: «لا أعلم فيها إلا ما قضى علي».

= ج٢ ص٥٧ وينابيع المودة ص٧٥ وأرجح المطالب ص١٢٠ والطرق الحكمية لابن القيم ص٢٦٢ عن أحمد، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجة، والحاكم في صحيحه، وإرشاد الفحول ص٢٥٧ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٣٩ ومسند أحمد ج١ ص٧٧ و ١٥٢ ومشكل الآثار ج٣ ص٥٨ وكتاب الديات للشيباني ص٦٥ وتفريع الأحباب ص٣٢١ ووسيلة النجاة للسهالوي ص١٥٢ ومرآة المؤمنين ص٧٠ وكنز العمال (ط الهند) ج١٥ ص١٠٣ عن الطيالسي، وابن أبي شيبة، وأحمد، وابن منيع، وابن جرير وصححه، وقرة العينين في تفضيل الشيخين ص١٥٨ وبذل القوة ص٢٨٥ وتلخيص التحبير ج٤ ص٣٠ عن أحمد، والبزار، والبيهقي، وإحقاق الحق (الملحقات) ج١٧ ص٤٩٣ ـ ٤٩٧ وج٨ ص٦٧ ـ ٧٠ عما تقدم وعن مصادر أخرى.

أو قال: «حكمتَ فيه بحكم الله».

أو قال: «لقد رضي الله عز وجل حكمك فيهم»[1].

٣ ـ عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام»، قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إلى اليمن، فانفلت فرس لرجل من أهل اليمن، فنفح رجلاً برجله فقتله، وأخذه أولياء المقتول، فرفعوه إلى علي «عليه السلام»، فأقام صاحب الفرس البيّنة أن الفرس انفلت من داره فنفح الرجل برجله، فأبطل علي «عليه السلام» دم الرجل.

فجاء أولياء المقتول من اليمن إلى النبي «صلى الله عليه وآله» يشكون علياً «عليه السلام» فيما حكم عليهم، فقالوا: إن علياً ظلمنا، وأبطل دم صاحبنا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن علياً ليس بظلام، ولم يخلق

---

(١) راجع: مسند أحمد ج٤ ص٣٧٣ وسنن النسائي (ط الميمنة بمصر) ج٢ ص١٠٧ وأخبار القضاة ج١ ص٩٠ و ٩١ و ٩٣ و ٩٤ ومستدرك الحاكم ج٢ ص٢٠٧ وج٣ ص١٣٥ وج٤ ص٩٦ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع مع المستدرك) ج٤ ص٩٦ وذخائر العقبى ص٨٥ والقياس في الشرع الإسلامي ص٤٨ وزاد المعاد لابن القيم (ط الأزهرية بمصر) ج٧ ص٣٨٠ والبداية والنهاية ج٥ ص١٠٧ عن أحمد، وأبي داود، والنسائي، وينابيع المودة ص٢١١ و ٧٥ وتيسير الوصول ج٢ ص٢٨١ وأرجح المطالب ص١٢١ والمعجم الكبير ج٥ ص١٩٣ و ١٩٤ وفيه: أن علياً «عليه السلام» كتب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخبره بذلك. ومسند ابن أبي شيبة ج٢ ص٣٤٥ وأخبار الموفقيات ص٣٦٣ عن مسند الحميدي، ومرآة المؤمنين ص٧١.

علي للظلم، وإن الولاية من بعدي لعلي، والحكم حكمه، والقول قوله، لا يرد حكمه وقوله وولايته إلا كافر، ولا يرضى بحكمه وقوله وولايته إلا مؤمن.

فلما سمع اليمانيون قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» في علي «عليه السلام» قالوا: يا رسول الله، رضينا بقول علي وحكمه.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هو توبتكم مما قلتم[1].

ونقول:

إن هناك العديد من الأمور التي تضمنتها هذه النصوص، ويحسن منا لفت النظر إليها هنا، ومنها:

شكاية الخصوم إلى رسول الله ﷺ:

إن المتخاصمين لم يرضوا بقضاء علي «عليه السلام» في الموارد الثلاثة المنقولة آنفاً، ولا نرى أن ذلك لسوء نظر، أو لكراهةٍ منهم لشخص علي «عليه السلام»، بل لأن التخاصم بين الناس يكون عادة بسبب شبهة دخلت على أحد المتخاصمين، أو على كليهما، توجب وقوعه في وهم أن

---

(١) البحار ج٢١ ص٣٦٢ عن قصص الأنبياء، الأمالي للشيخ الصدوق ص٤٢٨ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٣٢٢ والبحار ج٢١ ص٣٦٢ وج٣٨ ص١٠٢ وج٤٠ ص٣١٦ وج١٠١ ص٣٩٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص٣٤٣ وعجائب أحكام أمير المؤمنين «عليه السلام» للسيد محسن الأمين ص٤٢ وقضاء أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ص١٩٢ عن الكليني، والشيخ، وعن الصدوق في أماليه. والكافي ج٧ ص٣٥٣

يكون الحق معه وإلى جانبه. فيبحث عمن يساعده في نيل حقه، أو عمن يدفع عنه خصومة مدعي الحق عنده. وفق ضوابط عقلية، ومسلمات شرعية، أو توافقات أو أعراف اجتماعية مع رعاية قانون العدل والإنصاف، وعدم الإنقياد للهوى فيما يقضى به..

ولم يكن هؤلاء الناس قد عرفوا شيئاً ذا بال عن علي «عليه السلام»، وعن جهاده، وتضحياته، وعلمه، والآيات النازلة في حقه، وأقوال النبي «صلى الله عليه وآله» فيه.. إلا ما ربما يكونون قد شاهدوه منه في تلك المدة اليسيرة التي عاشها بينهم، وهو يعلمهم، ويهديهم، ويرشدهم، ويقضي بينهم بأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلعلهم ظنوا: أنه لا يملك الكثير من المعرفة بأسرار القضاء، فطلبوا الإستيثاق من صحة قضائه.

أو أنهم ظنوا: أنه قد ظلمهم في بعض قضائه فيهم..

فجاءهم الرد الحاسم من رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذه الرواية الأخيرة، حيث بين لهم حقيقة علي «عليه السلام» وموقعه، والمقام الذي جعله الله تعالى له فيهم، وهو مقام الولاية، وحكم من يَرُدُّ حكمه، وقوله، وولايته..

علي ليس بظلام:

٢ـ وقد قرر «صلى الله عليه وآله»: أن علياً «عليه السلام» ليس بظلام، ولم يخلق علي «عليه السلام» للظلم.. ليكون هذا القول هو الضابطة في شأن من تكون له الولاية على الناس، فإن من يظلم فرداً من الناس فلا يؤمن من

أن ينال بظلمه كل فردٍ فردٍ منهم، إذ لا خصوصية للفرد الذي ظلم أولاً. ولذلك عبّر «صلى الله عليه وآله» بكلمة «ظلّام».

والمطلوب من الولي هو: إنصاف الناس، وإيصال الخير إليهم، فالظلّام الذي قد ينال ظلمه كل فردٍ فردٍ، ولو على سبيل الإحتمال لا يصلح للولاية..

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» بيّن أن غاية خلق علي «عليه السلام» لم تكن هي الظلم، فهو صاحب الفطرة الصافية التي لا تشوبها أية شائبة، وقد استمرت على هذا الصفاء والنقاء، حيث إنه لا تصدر منه أي من مفردات الظلم، فهو ليس بظلام للأفراد..

عودة إلى مسألة التربية:

بالنسبة للذين قتلهم الأسد في البئر نقول:

اختلفت الرواية في الحكم الذي صدر عنه «عليه السلام»، فواحدة تقول: إن للأول ربع الدية، وللثاني ثلثها، وللثالث نصفها، وللرابع الدية كاملة، وجعلها «عليه السلام» على قبائل الذين ازدحموا..

قال التستري: للأول الربع، لاحتمال استناد موته إلى أربعة أشياء:

أحدها: تضييق المزدحمين، وباقيها إسقاطه لثلاثة رجال فوق نفسه.

وللثاني الثلث، لإحتمال استناده إلى ثلاثة أمور:

أحدها: إسقاط الأول له.

وللثالث النصف، حيث يحتمل استناده إلى أمرين:

أحدهما: إسقاط الثاني له.

وللرابع التمام حيث إن قتله كله مستند إلى الثالث، وجعل الدية على

قبائل المزدحمين لأن الساقطين أيضاً كانوا منهم[١].

وجاء في نص آخر أنه «عليه السلام» قال: الأول فريسة الأسد، وغرّم أهله ثلث الدية لأهل الثاني، وغرّم الثاني لأهل الثالث ثلثي الدية.. وغرّم الثالث لأهل الرابع الدية كاملة[٢].

وذكر التستري: أن الوجه في ذلك: أن هلاك الأول لم يكن مستنداً إلى أحد..

والثاني كان هلاكه مستنداً إلى ثلاثة أمور: جذب الأول، وسقوط الثالث والرابع فوقه، وكان هو السبب في سقوطهما، فيكون ثلث قتله مستنداً إلى الأول فله الثلث.

والثالث كان ثلث قتله مستنداً إلى نفسه بجذب الرابع، فيكون له الثلثان فقط على الثاني.

والرابع كان جميع قتله مستنداً إلى الثالث، فكان عليه تمام ديته[٣].

---

(١) قضاء أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ص٣٦.

(٢) راجع: الوسائل (ط الإسلامية) ج٩ ص١٧٦ وقضاء أمير المؤمنين علي «عليه السلام» للتستري ص٣٥ عن الإرشاد، وعن المشايخ الثلاثة، والمناقب، ومسند أحمد، وأمالي أحمد بن منيع. وراجع: دعائم الإسلام ج٢ ص٤١٨ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٣١٣ وشرح الأخبار ج٢ ص٣٣١ والإرشاد للشيخ المفيد ج١ ص١٩٦ ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج٢ ص١٩٨ والبحار ج٤٠ ص٢٤٥ وج١٠١ ص٣٩٣ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص٣٣٨ و ٣٣٩.

(٣) قضاء أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ص٣٥ و ٣٦.

من وصايا النبي ﷺ لعلي عليه السلام:

١ ـ روى الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: بعثني رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى اليمن وقال لي: يا علي، لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه، وأيم الله لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي[1].

قال المجلسي «رحمه الله»: قوله «صلى الله عليه وآله»: ولك ولاؤه، أي لك ميراثه إن لم يكن له وارث، وعليك خطاؤه[2].

٢ ـ روى جماعة عن أبي المفضل، عن عبد الرزاق بن سليمان، عن الفضل بن الفضل الأشعري، عن الرضا، عن آبائه «عليهم السلام»: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث علياً «عليه السلام» إلى اليمن، فقال له وهو يوصيه: يا علي، أوصيك بالدعاء، فإن معه الإجابة، وبالشكر فإن معه المزيد، وإياك عن أن تخفر عهداً وتعين عليه، وأنهاك عن المكر، فإنه لا يحيق

---

(١) البحار ج٢١ ص٣٦١ عن الكافي ج٥ ص٢٨ ومختلف الشيعة ج٤ ص٣٩٣ وكشف اللثام (ط ج) ج٩ ص٣٤١ و (ط ق) ج٢ ص٢٧٦ وجواهر الكلام ج٢١ ص٥٢ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٤١ والوسائل (ط مؤسسة أهل البيت) ج١٥ ص٤٣ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٣٠ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٣٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص١٤٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت ج١٢ ص٢٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٤١٨.

(٢) البحار ج٢١ ص٣٦١.

المكر السيء إلا بأهله، وأنهاك عن البغي، فإنه من بغي عليه لينصرنه الله»[1].

ونقول:

إن وصية النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»: بأن لا يقاتل أحداً حتى يدعوه ثم قوله له: «وأيم الله لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت» قد أظهرت: أن الهدف الأول والأخير هو هداية الناس، ونشر الدعوة.

فلا يصح ما يذكرونه في أكثر السرايا من أنها كانت تبادر إلى الغارة واغتنام الأموال، وسبي النساء، والأطفال، وأسر الرجال.. فإن كان قد حصل شيء من ذلك، فهو على سبيل التمرد على أوامر النبي «صلى الله عليه وآله»، طمعاً بالدنيا، وجرياً على عادات أهل الجاهلية، واستجابة لدواعي الهوى والعصبية.

٢ ـ ومن الواضح: أن مجرد أن يسلم رجل على يد شخص ليس من أسباب اختصاصه بإرثه، إلا في موردين:

الأول: أن يكون مولى له.. وما نحن فيه ليس كذلك، إذ المفروض: أنه «صلى الله عليه وآله» طلب من علي «عليه السلام» أن يدعوهم إلى الإسلام، ولا يبدأ بحربهم، فإن أسلموا كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم..

الثاني: أن يكون ولاؤه له من حيث إنه الإمام المفترض الطاعة،

---

(١) البحار ج٢١ ص٣٦١ عن المجالس والأخبار ص٢٨ والوسائل (الإسلامية) ج٤ ص١٠٨٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٥ ص١٩٣ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٣٤٥ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٢ ص٦٢ وج١٠ ص٤١٤.

والإمام وارث من لا وارث له..

وهذا معناه: أن يصبح هذا الحديث من دلائل إمامة علي «عليه السلام» بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٣ ـ إن الوصايا المتقدمة، التي رويت عن الإمام الرضا «عليه السلام» آنفاً، عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليس فقط لا تشير إلى أي أمر بقتال صدر عنه له، وإنما هي في سياق إثارة أجواء ومشاعر سليمة وطبيعية، والتوجيه نحو تنظيم العلاقة مع أهل اليمن، على أساس التوافق، وإبرام العهود، ولزوم الوفاء بها. ولزوم الوضوح والصدق في التعامل، والإبتعاد عن المكر والخداع وضرورة الإبتعاد عن البغي والتجني، والتزام جادة الإنصاف، والرفق..

وقد مهد لذلك كله بالتوجيه نحو الله تعالى بالدعاء، والطلب منه دون سواه، ثم بالشكر له، الذي يجلب معه المزيد من العطاءات الإلهية، والألطاف والرحمات والبركات الربانية..

هدايا علي عليه السلام من اليمن إلى النبي ﷺ:

روى الكليني عن العدة، عن سهل وأحمد بن محمد جميعاً، عن بكر بن صالح، عن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن «عليه السلام» قال: سمعته يقول: أهدى أمير المؤمنين إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أربعة أفراس من اليمن، فقال: سمها لي.

فقال: هي ألوان مختلفة.

فقال: ففيها وضح؟

قال: نعم، فيها أشقر به وضح.

قال: فأمسكه عليّ.

قال: وفيها كميتان أوضحان.

فقال: أعطهما ابنيك.

قال: والرابع أدهم بهيم.

قال: بعه، واستخلف به نفقة لعيالك، إنما يمن الخيل في ذوات الأوضاح[1].

ونقول:

١ ـ إننا لسنا بحاجة إلى التدليل على قيمة هذه الهدية ومغزاها من حيث لفت النظر إلى استمرار المسيرة الجهادية، التي تحتاج إلى إعداد القوة التي ترهب العدو.. وذلك في وقت ظن فيه بعض قاصري النظر من المسلمين أن زمن الجهاد قد انتهى، وانتفت الحاجة إلى السلاح، فباعوا أسلحتهم، حسبما تقدم.

٢ ـ إن هذا النص قد تضمن إشارة إلى لزوم إعطاء الألوان والمواصفات الشكلية موقعها ودورها في الإختيار.. وإلى أن لقضية اليُمْنِ أيضاً أثرها، وأن تجاهلها وإسقاطها من الحساب أمر غير حميد، ورأي ليس بسديد ولا رشيد..

---

(١) البحار ج٢١ ص٣٦١ وج٦١ ص١٦٩ عن الكافي، والمحاسن للبرقي ج٢ ص٦٣١ والكافي ج٦ ص٥٣٦ ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج٢ ص٢٨٥ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٤٧٥ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص٣٤٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٨٥٥ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج٢ ص٣٧٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج١٢ ص٣٣٩.

علي عليه السلام في اليمن مرة أخرى:

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» قال: دعاني رسول الله «صلى الله عليه وآله» فوجهني إلى اليمن لأصلح بينهم، فقلت له: يا رسول الله، إنهم قوم كثير، وأنا شاب حدث!!

فقال لي: يا علي، إذا صرت بأعلى عقبة فيق فناد بأعلى صوتك: يا شجر، يا مدر، يا ثرى، محمدٌ رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرؤكم السلام.

قال: فذهبت، فلما صرت بأعلى عقبة فيق أشرفت على اليمن، فإذا هم بأسرهم مقبلون نحوي، مشرعون أسنتهم، متنكبون قسيهم، شاهرون سلاحهم، فناديت بأعلى صوتي: يا شجر، يا مدر، يا ثرى، محمد «صلى الله عليه وآله» يقرؤكم السلام.

قال: فلم يبق شجرة، ولا مدرة، ولا ثرى إلا ارتجت بصوت واحد: وعلى محمد رسول الله وعليك السلام.

فاضطربت قوائم القوم، وارتعدت ركبهم، ووقع السلاح من أيديهم، وأقبلوا مسرعين، فأصلحت بينهم وانصرفت[1].

ونقول:

إن لنا مع هذا النص وقفات هي التالية:

---

(١) البحار ج٢١ ص٣٦٢ عن بصائر الدرجات ص١٤٥ و ١٤٦ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٥٢١ و ٥٢٤ وراجع: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٧ ص٦٢ وتاريخ جرجان للسهمي ص٣٨٧.

عقبة أفيق:

قال الفيروز آبادي: أفيق كامير، قرية بين حوران والغور، يعني: غور الأردن في أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق التي تنزل منها إلى الغور وهي عقبة طويلة نحو ميلين[1].

والسؤال هنا هو: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل علياً «عليه السلام» من المدينة إلى اليمن، فإن اليمن تقع إلى الجنوب من المدينة، وعقبة أفيق تقع في الجهة الشمالية منها، لأنها بين حوران والغور، فأين هذه من تلك؟! ولا سيما مع تصريح الرواية المشار إليها آنفاً: بأنه «عليه السلام» لما صار بأعلى عقبة فيق أشرف على اليمن، فإذا هم بأسرهم مقبلون نحوه، مشرعون أسنتهم الخ..

سفير سلام:

إننا لا نملك ما يؤيد أو ينفي هذه الحادثة، التي يبدو أنها بعثة تهدف إلى الصلح بين فريقين متخاصمين، حيث قالت الفقرة الأخيرة: «فأصلحت بينهم وانصرفت». فهل هؤلاء الناس مسلمين؟!

فإن الرواية لم تذكر ذلك كما أنها لم تذكر: أنه «عليه السلام» قد دعاهم إلى الإسلام، أو أنهم هم بادروا إلى إعلان إسلامهم.. وليس فيها ما يدل على أنهم كانوا قد أرسلوا قبل ذلك إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بطلب وساطة..

---

(١) معجم البلدان ج١ ص٢٣٣ وراجع ج٤ ص٢٨٦ والبحار ج٢١ ص٣٦٣. وراجع: تاج العروس ج١٣ ص٧ وج١٣ ص٤١٣.

لماذا غضب أهل اليمن؟!:

إن هذه الرواية قد دلت على: أن لهم موقفاً عدائياً من مبعوث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث إنهم جاؤوا باندفاع شديد، ومعهم أسلحتهم، وكان دفع شرهم عنه «عليه السلام» بواسطة التدخل الإلهي وبصورة إعجازية.

فلماذا يندفع الفريقان المتنازعان لمواجهة مبعوث قد جاء ليصلح بينهم؟!

ولعلك تقول: قد يكون الذين جاؤوا غاضبين، هم أحد الفريقين المتنازعين، ولعلهم اعتقدوا أن هذا المبعوث لن يقف إلى جانبهم في خصومتهم..

ويجاب: بأن الرواية قد صرحت: بأن أهل اليمن بأسرهم كانوا مقبلين نحوه مشرعين أسنتهم.. فلا يصح هذا التوجيه..

لعلها جماعة صغيرة:

هل يمكن لأهل اليمن كلهم أن يأتوا لاستقبال علي «عليها السلام» بالسلاح، ويواجهوه بالحرب؟! وهل كانت اليمن بمثابة قرية أو مدينة، تستطيع أن تخرج عن بكرة أبيها لمواجهة أحد القادمين؟!

ألا يدلنا ذلك على: أن مهمة علي «عليه السلام» هي الصلح بين جماعة صغيرة من حيث العدد، وكانت مساكنها متقاربة، ولعلها كانت في بعض نواحي اليمن.

اليمن بلد كبير:

إن الصعود إلى أعلى عقبة أفيق ـ لو قبلنا أنها كانت في اليمن ـ هل يعني

الإشراف على بلاد اليمن كلها؟! وهل كانت اليمن بقعة صغيرة تظهر معالمها للصاعد إلى أعلى عقبة أفيق؟!

ألا يدل ذلك على صحة ما قلناه: من أن المطلوب كان الصلح بين جماعة من الناس كانوا يسكنون في ناحية صغيرة؟!

علي عليه السلام شاب حدث:

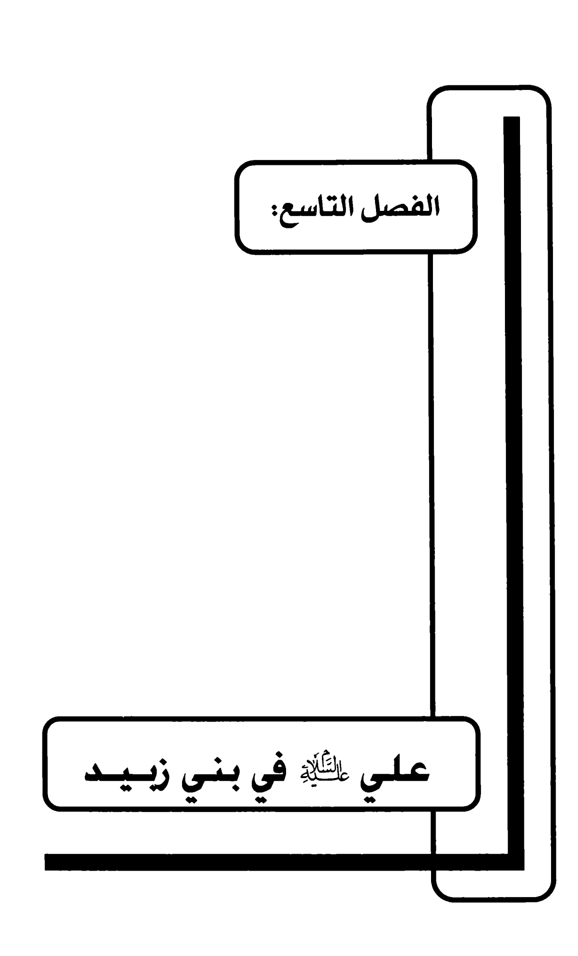
ولا ندري بعد ذلك كله: ما معنى أن يصف علي «عليه السلام» نفسه لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: بأنه شاب حدث!!

فإن عمر علي «عليه السلام» كان في ذلك الوقت أكثر من ثلاثين عاماً.. فمتى يصح وصفه بأنه رجل كامل إذن؟! وكيف نصَّبه الله ررسوله ولياً للمؤمنين قبل وبعد هذا التاريخ في مناسبات عديدة؟!

[illegible]

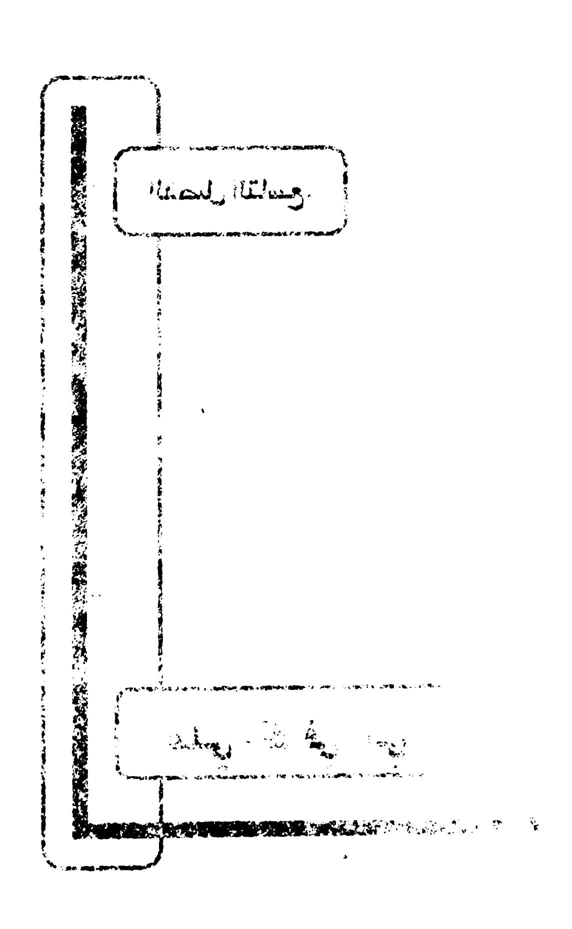
[illegible]

[illegible]



الفصل التاسع:

علي عليه السلام في بني زيد



سرية علي عليه السلام إلى بني زبيد:

وقالوا: «وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب، وخالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن، وقال: «إذا اجتمعتما فعلي الأمير، وإن افترقتما فكل واحد منكما أمير»[1].

فاجتمعا. وبلغ عمرو بن معد يكرب مكانهما. فأقبل على جماعة من قومه[2]. فلما دنا منهما قال: دعوني حتى آتي هؤلاء القوم، فإني لم أسمَّ لأحد قط إلا هابني.

فلما دنا منهما نادى: أنا أبو ثور، وأنا عمرو بن معد يكرب.

فابتدره علي وخالد، وكلاهما يقول لصاحبه: خلني وإياه، ويفديه بأمه وأبيه.

فقال عمرو إذ سمع قولهما: العرب تُفَزَّع بي، وأراني لهؤلاء جزراً.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٨٦ و ٢٤٦ عن مناقب الإمام الشافعي لمحمد بن رمضان بن شاكر، وفي هامشه عن: المعجم الكبير للطبراني ج٤ ص١٤ والإصابة ج٣ ص١٨ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٢ ص٥٢٢ و (ط دار الجيل) ج٣ ص١٢٠٣ وأسد الغابة ج٤ ص١٣٣.

(٢) أي مترئِّساً على جماعة من قومه.

فانصرف عنهما.

وكان عمرو فارس العرب، مشهوراً بالشجاعة. وكان شاعراً محسناً[1].

وقالوا أيضاً: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث خالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن وقال له: «إن مررت بقرية فلم تسمع أذاناً، فاسبهم».

فمر ببني زبيد، فلم يسمع أذانا، فسباهم.

فأتاه عمرو بن معد يكرب، فكلمه فيهم، فوهبهم له، فوهب له عمرو سيفه الصمصامة، فتسلمه خالد. ومدح عمرو خالداً في أبيات له[2].

غرور عمرو بن معد يكرب:

إن عمرواً يظن: أن جميع الناس على شاكلته، من حيث حبهم للحياة، وفرقهم من الموت. ولذلك فإن مجرد تقريب احتمالات الموت إليهم يكفي في إيجاد دواعي الإبتعاد عنه لديهم، والبحث عن خيارات أخرى تجعلهم أقرب إلى السلامة والأمن..

وإذ به يفاجأ بعكس ما ظنه، فهو قد اعتاد أن يرى القادة يسعون أولاً

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٦ و ٣٨٦ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٢٠٤ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٥٦٩ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٢٩٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٦ عن ابن أبي شيبة من طرق. وفي هامشه عن: كنز العمال (١١٤٤١) والإصابة ج٣ ص١٨ و (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٥٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص٣٧٧ وراجع: كنز العمال ج٤ ص٤٨٣.

إلى دفع الذين هم تحت أيديهم، إلى مواجهة الأخطار ودرئها عنهم، وأن يجدوا فيهم ما يغنيهم عن التعرض لها ومكابدتها..

فإن كان ثمة من خطر، فليتوجه إلى أولئك الأتباع، لأن حفظ القائد هو الأهم والأولى والأوجب..

ولكنه يرى الأمر مع هؤلاء القادمين على خلاف ما اعتاده ومارسه، فهو يسمع قادتهم، يتسابقون للتضحية بأنفسهم حباً بسلامة إخوانهم من قادة وغيرهم..

١ ـ إن غرور عمرو بنفسه، واعتماده على بعد صيته، وخوف الناس منه، قد انتهى به إلى هذا التراجع والإنكسار الذليل، دون أن يكلف نفسه عناء خوض معركة، أو بذل جهد في قتال، يعذر فيه بعد استنفاذ القوة والحيلة. بل لقد آثر رجوع الخوف والجبن، والشعور بالضعف والإنبهار بقوة الطرف الآخر. معلناً أن هؤلاء الذين يواجههم يعتبرونه جزراً..

وهذا يدل على: أن ما كان قد اكتسبه من سمعة بين العرب في الشجاعة والقتال، كانت تشوبه شائبة التزوير. ولو بالدعايات الفارغة، والتهويلات الباطلة. ولعله كان يبطش ببعض الضعفاء والجبناء، أو يغدر ببعض الآمنين من الأقوياء، أو يختلق الروايات، ويشيع الخرافات وينتج الأوهام والأباطيل، عن بطولات موهومة، وأفاعيل لم يكن لها وجود إلا في مخيلة قائليها.. ولعل كل ذلك قد كان، فقد عرف عمرو بالكذب كما سنرى..

شجعان وفرسان صنعتهم السياسة:

لقد حاول أعداء علي «عليه السلام» أن يطروا خصومه، ويعظموهم

بما ليس فيهم، وأن يظهروا ميزاته الفريدة في أناس آخرين، ظناً منهم أنهم يطمسون بذلك ذكر علي «عليه السلام»، وينقصون من قدره، ويحطون من مقامه..

ولعل من أمثلة ذلك سعيهم لنسبة البطولات إلى خالد بن الوليد، وإلى الزبير بن العوام، وطلحة، وأبي دجانة، وأضرابهم من الصحابة..

بل إن إطراءهم لعنترة، ونسج القصص الخيالية حول شجاعته النادرة، لعله يدخل في هذا السياق أيضاً.. مع أن عنترة كان رجلاً عادياً جداً.. حتى لقد لخص بعضهم واقعه التاريخي بقوله عنه: إنه رجل من بني عبس يلقى الفارس أو الفارسين.

ثم اخترعوا قصص بني هلال، وقصة سيف بن ذي يزن، وقصص ذات الهمة. وفيروزشاه، وبهرام شاه، والمياسة والمقداد.. و.. و..

ويبدو أن عمرو بن معد يكرب قد حالفه الحظ في هذا المجال أيضاً حتى اعتبروه فارس العرب، وأنه مشهور بالشجاعة[1]. إلى غير ذلك من أوصاف وادعاءات.. مع أن الفضل في ذلك كله لعلي «عليه السلام»، فإن شدة بغضهم له قد دعاهم إلى إطراء غيره من المنحرفين عنه بما ليس فيهم،

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٦ و ٣٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص٣٦٩ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٥٢٠ و (ط دار الجيل) ج٣ ص١٢٠٤ وأسد الغابة ج٤ ص١٣٣ وتنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص٥٦ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٥٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٥٢٥ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٥٦٩ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٢٩٢.

فصنعوا لهم الفضائل، واخترعوا لهم المواقف، وجعلوهم من صانعي المعجزات، ونسبوا إليهم الخوارق، دون ان يخافوا من غضب الله الخالق.

أسئلة لا تجد لها جواباً:

وقد ادَّعت الرواية المتقدمة: أن عمرواً انصرف عن علي «عليه السلام». فهل كان علي «عليه السلام»، وخالد بن سعيد ومن معهما يقصدون بني زبيد؟! أم كانوا يقصدون قوماً آخرين؟! أم كان القصد هو دعوة كل من يصادفونه إلى الإسلام؟!

فإن كان القصد إلى بني زبيد، فعلى أي شيء اتفقوا مع عمرو والذين جاؤوا معه حين افترقوا عنهم؟! وكيف تركوهم ينصرفون دون دعوة؟! وهل لاحقوا بقية القبيلة في مواضع أخرى؟! أم اكتفوا بما جرى؟!.

وإذا كانوا يقصدون غير بني زبيد، فلماذا تعرَّض لهما عمرو؟!، ولو أنهم هابوه، فماذا كان سيصنع بهم، هل سوف يأسرهم؟ أم أنه سيسلبهم، أم سيقتلهم؟!.

وإن كانوا يقصدون كل أحد إلى الله تعالى، فلماذا لم يبادروا إلى دعوة عمرو، ومن معه؟ ولماذا تركوهم ينصرفون عنهم، دون أن يؤدوا هذا الواجب؟!.

سبي بني زبيد:

وعن سبي بني زبيد، نقول:

١ ـ إن مجرد أن لا يسمع المسلمون أذاناً من جماعة من الناس لا يسوِّغ الإغارة عليهم، وترويعهم، فضلاً عن سبيهم.. مع ملاحظة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يزل يصدر أوامره لمبعوثيه بأن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم.

ومع أوامره «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» بأن لا يقاتل أحداً حتى يدعوه[1].

كما أن ذلك لا يتناسب مع لزوم إقامة الحجة على الناس قبل التعرض لهم، ولا مع إيجاب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فقد قال تعالى لرسوله «صلى الله عليه وآله»: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[2]..

٢ ـ أين كان عمرو بن معد يكرب الزبيدي حين سبا خالد بن سعيد بني زبيد؟! فإن كان حاضراً، فلماذا لم يدافع عنهم؟! وإن كان غائباً، فهل تغيَّظ مما جرى؟! أم أنه تلقاه بنفس راضية؟! وما هي ردة فعله لذلك؟!

النص الأوضح، والأصح والأصرح:

وبعد أن ظهرت المفارقات غير المقبولة في النصوص المتقدمة، فإن علينا أن نورد هنا النص الأصح والأوضح، ثم نشير إلى الخصوصيات الواردة فيه، وفقاً لما يقتضيه الحال، فنقول:

---

(١) الكافي ج٥ ص٣٦ والبحار ج١٩ ص١٦٧ وج٩٧ ص٣٤ وج١٠١ ص٣٦٤ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٥٠٢ والنوادر للراوندي ص١٣٩ ومشكاة الأنوار لعلي الطبرسي ص١٩٣ وتذكرة الفقهاء (ط.ج) ج٩ ص٤٤ و ٤٥ و (ط.ق) ج١ ص٤٠٩ ومنتهى المطلب (ط.ق) ج٢ ص٩٠٤ ورياض المسائل للطباطبائي ج٧ ص٤٩٣.

(٢) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

قالوا: لما عاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» من تبوك إلى المدينة قدم إليه عمرو بن معدي كرب، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: أسلم يا عمرو يؤمنك الله من الفزع الأكبر.

قال: يا محمد، وما الفزع الأكبر؟ فإني لا أفزع.

فقال: يا عمرو، إنه ليس كما تظن وتحسب، إن الناس يصاح بهم صيحة واحدة، فلا يبقى ميت إلا نشر، ولا حي إلا مات، إلا ما شاء الله، ثم يصاح بهم صيحة أخرى، فينشر من مات، ويصفون جميعاً، وتنشق السماء، وتهد الأرض، وتخر الجبال هداً، وترمي النار بمثل الجبال شرراً، فلا يبقي ذو روح إلا انخلع قلبه، وذكر ذنبه، وشغل بنفسه إلا من شاء الله، فأين أنت يا عمرو من هذا؟

قال: ألا إني أسمع أمراً عظيماً؛ فآمن بالله ورسوله، و آمن معه من قومه ناس، ورجعوا إلى قومهم.

ثم إن عمرو بن معدي كرب نظر إلى أبي بن عثعث الخثعمي، فأخذ برقبته، ثم جاء به إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: أَعْدِني على هذا الفاجر الذي قتل والدي.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أهدر الإسلام ما كان في الجاهلية، فانصرف عمرو مرتداً، فأغار على قوم من بني الحارث بن كعب، ومضى إلى قومه.

فاستدعى رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب «عليه السلام» وأمَّره على المهاجرين، وأنفذه إلى بني زبيد، وأرسل خالد بن الوليد

في الأعراب وأمَّره أن يعمد لجعفي[١]. فإذا التقيا فأمير الناس أمير المؤمنين «عليه السلام».

فسار أمير المؤمنين «عليه السلام»، واستعمل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص، واستعمل خالد على مقدمته أبا موسى الأشعري.

فأما جعفي فإنها لما سمعت بالجيش افترقت فرقتين: فذهبت فرقة إلى اليمن، وانضمت الفرقة الأخرى إلى بني زبيد.

فبلغ ذلك أمير المؤمنين «عليه السلام»، فكتب إلى خالد بن الوليد: أن قف حيث أدركك رسولي، فلم يقف.

فكتب إلى خالد بن سعيد بن العاص: تعرض له حتى تحبسه.

فاعترض له خالد حتى حبسه، وأدركه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فعنفه على خلافه.

ثم سار حتى لقي بني زبيد بواد يقال له: كثير (أو كسير)، فلما رآه بنو زبيد قالوا لعمرو: كيف أنت يا أبا ثور إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الإتاوة؟!

قال: سيعلم إن لقيني.

قال: وخرج عمرو فقال: من يبارز؟

فنهض إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقام إليه خالد بن سعيد وقال له: دعني يا أبا الحسن ـ بأبي أنت وأمي ـ أبارزه.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: إن كنت ترى أن لي عليك طاعة

---

(١) جعفي بن سعد العشيرة، بطن من سعد العشيرة، من مذحج، من القحطانية.

فقف مكانك، فوقف.

ثم برز إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فصاح به صيحة، فانهزم عمرو، وقتل «عليه السلام» أخاه وابن أخيه، وأخذت امرأته ركانة بنت سلامة، وسبي منهم نسوان.

وانصرف أمير المؤمنين «عليه السلام»، وخلف على بني زبيد خالد بن سعيد ليقبض صدقاتهم، و يؤمن من عاد إليه من هرابهم مسلماً.

فرجع عمرو بن معدي كرب، واستأذن على خالد بن سعيد، فأذن له، فعاد إلى الإسلام، فكلمه في امرأته وولده، فوهبهم له.

وقد كان عمرو لما وقف بباب خالد بن سعيد وجد جزوراً قد نحرت، فجمع قوائمها ثم ضربها بسيفه فقطعها جميعاً، وكان يسمى سيفه الصمصامة، فلما وهب خالد بن سعيد لعمرو امرأته وولده وهب له عمرو الصمصامة.

وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» قد اصطفى من السبي جارية، فبعث خالد بن الوليد بريدة الأسلمي إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وقال له: تقدم الجيش إليه، فأعلمه بما فعل علي من اصطفائه الجارية من الخمس لنفسه، وقع فيه.

فسار بريدة حتى انتهى إلى باب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلقيه عمر بن الخطاب، فسأله عن حال غزوتهم وعن الذي أقدمه، فأخبره أنه إنما جاء ليقع في علي «عليه السلام» وذكر له اصطفاءه الجارية من الخمس لنفسه.

فقال له عمر: امض لما جئت له، فإنه سيغضب لابنته مما صنع علي «عليه السلام».

فدخل بريدة على النبي «صلى الله عليه وآله» ومعه كتاب من خالد بما

أرسل به بريدة، فجعل يقرأه ووجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتغير، فقال بريدة: يا رسول الله إنك إن رخصت للناس في مثل هذا ذهب فيئهم، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: ويحك يا بريدة، أحدثت نفاقاً؟!

إن علي بن أبي طالب «عليه السلام» يحل له من الفيء ما يحل لي، إن علي بن أبي طالب خير الناس لك ولقومك، وخير من أخلف بعدي لكافة أمتي، يا بريدة، احذر أن تبغض علياً، فيبغضك الله.

قال بريدة: فتمنيت أن الأرض انشقت لي، فسخت فيها، وقلت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسول الله. يا رسول الله، استغفر لي فلن أبغض علياً أبداً، ولا أقول فيه إلا خيراً.

فاستغفر له النبي «صلى الله عليه وآله»[1].

وفي الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» وشرحه: أن عمرو بن معدي كرب خاطب علياً «عليه السلام» حين واجهه:

الآن حين تقلصت منك الكلى	إذ حر نارك في الوقيعة يسطع
والخيل لاحقة الأياطل شزب	قب البطون ثنيها والأقرع
يحملن فرساناً كراماً في الوغا	لا ينكلون إذا الرجال تكعكع
إني امرؤ أحمي حماي بعزة	وإذا تكون شديدة لا أجزع

---

(١) البحار ج٢١ ص٣٥٦ ـ ٣٥٨ عن إعلام الورى (ط١) ص٨٧ و (ط٢) ص١٣٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٥٢ و ٢٥٣ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٥٩ ـ ١٦١ وكشف اليقين ص١٥١ و ١٥٢ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٩٨ و ٩٩ وكشف الغمة ج١ ص٢٢٩ و ٢٣٠.

وأنا المظفر في المواطن كلها ... وأنا شهاب في الحوادث يلمع
من يلقني يلقى المنية والردى ... وحياض موت ليس عنه مذيع
فاحذر مصاولتي وجانب موقفي ... إني لدى الهيجا أضر وأنفع

فأجابه «عليه السلام»:

ياعمرو قد حمي الوطيس وأضرمت ... نار عليك وهاج أمر مفظع
وتساقت الأبطال كأس منية ... فيها ذراريح وسم منقع
فإليك عني لا ينالك مخلبي ... فتكون كالأمس الذي لا يرجع
إني امرؤ أحمي حماي بعزة ... والله يخفض من يشاء ويرفع
إني إلى قصد الهدى وسبيله ... وإلى شرايع دينه أتسرع
ورضيت بالقرآن وحياً منزلاً ... وبربنا ربا يضر وينفع
فينا رسول الله أيد بالهدى ... فلواؤه حتى القيامة يلمع[1]

ونقول:

إن المقارنة بين هذه الرواية، والروايات التي ذكرناها فيما سبق يظهر مدى انسجام هذه، ومدى ما نال تلك من تزوير وتحوير، هروباً من الإقرار ببعض الحقائق، وسعياً في طمس ما لا يروق لهم ظهوره، ولا تذوق أعينهم طعم النوم حين يسطع نوره.

ومهما يكن من أمر، فإننا نحب لفت النظر إلى ما يلي:

---

(١) البحار ج٢١ ص٣٥٩ عن الديوان المنسوب لأمير المؤمنين «عليه السلام» ص٧٩ و ٨٠.

عمرو يرتد في عهد النبي ﷺ:

لقد صرحت الروايات المتقدمة: بأن عمرواً ارتد بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»[1].

ولكن هذه الرواية تقول: إنه ارتد عن الإسلام في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حين لم يرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالإقتصاص له من قاتل أبيه، لأنه قتله قبل أن يسلم، وقد محا الإسلام ما كان قبله.

ولو أنه «صلى الله عليه وآله» قبل من عمرو ما طلبه منه، فقد كان يجب أن يقتل عمرواً نفسه بالذين كان قد قتلهم قبل إسلامه..

علي عليه السلام على المهاجرين، وخالد على الأعراب:

قد صرحت الرواية: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمَّر علياً «عليه السلام» على المهاجرين، وأمَّر خالد بن الوليد على الأعراب.. وهذا يتضمن

---

(١) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٧ والطبقات الكبرى ج٦ ص٥٢٦ وتاريخ الأمم والملوك (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ج٣ ص١٣٤ و (ط دار صادر) ج٢ ص٣٩١ و ٥٣٨ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص٣٧٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص١١٢ ومستدركات علم رجال الحديث ج٦ ص٦٤ و الإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج٥ ص٢٨١ والأعلام للزركلي ج٥ ص٨٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٨٤ وج٦ ص٣٦٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٠٥ وعيون الأثر ج٢ ص٢٩١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٨٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٥٩ و ٢٦٠.

إشارة لطيفة، لا تخفى على الأريب الخبير، والناقد البصير.

ويتأكد لنا مضمون هذه الإشارة حين نقرأ: أن علياً «عليه السلام» قد جعل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص. أما خالد بن الوليد فجعل على مقدمته أبا موسى الأشعري.

وشتان ما بين هذين الرجلين، فأبو موسى الأشعري هو الذي قعد بأهل الكوفة عن جهاد الناكثين[1].

وكان علي «عليه السلام» يلعنه مع جماعة آخرين في صلاة الفجر والمغرب[2].

وهو جاثليق هذه الأمة[3].

وهو الذي سلَّم على معاوية فقال: السلام عليك يا أمين الله[4].

---

(١) راجع: شرح الأخبار للقاضي النعمان ج١ ص٣٨٤ وج٢ ص٨٣.

(٢) عيون أخبار الرضا ج٢ ص١٢٦ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٢٦٠ ومستدركات علم رجال الحديث ج٨ ص٤٥٩ وراجع: الغدير ج٢ ص١٣٢ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٦١١ وطرائف المقال ج٢ ص١٤١.

(٣) الخصال ص٥٧٥ أبواب السبعين فما فوقها، والبحار ج٣١ ص٤٣٨ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٦ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٢٤١ ومستدركات علم رجال الحديث ج٨ ص٤٥٩ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٨ ص٢٣٩.

(٤) تاريخ الأمم والملوك (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ج٥ ص٣٣٢ و (ط دار صادر) ج٤ ص٢٤٥ والكامل في التاريخ لابن الأثيرج٤ ص١٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج١٢ ص٤٥.

وهو الذي قال له الأشتر: إنك من المنافقين قديماً[1].

وقال عنه حذيفة: أشهد أنه عدو لله ولرسوله، وحرب لهما في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة، ولهم سوء الدار[2].

وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين، أسرَّ إليه النبي «صلى الله عليه وآله» أمرهم، وأعلمه أسماءهم[3].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ج٤ ص٤٨٧ و (ط دار صادر) ج٣ ص٥٠١ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢١ والغارات ج٢ ص٩٢٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٥ ص١٦٠ وقاموس الرجال ج١١ ص٥٢٧.

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٣١٤ وراجع: الإستيعاب ج٢ ص٣٧٢.

(٣) قاموس الرجال ج٦ ص١٠٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٣١٤ و ٣١٥ وراجع: المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١٦٥ وتفسير الرازي ج١٦ ص١٢٠ و ١٢١ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٢٦٢ وتهذيب الكمال ج٥ ص٥٠٢ وراجع: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٨ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٥ وراجع: الهداية الكبرى للخصيبي ص٨٢ والمسترشد للطبري ص٥٩٣ والخرائج والجرائح ج١ ص١٠٠والعمدة لابن البطريق ص٣٤١ والصوارم المهرقة ص٧ و ٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٣٥ والبحار ج٢١ ص٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٤٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٠٠ ومجمع الزوائد ج١ ص١٠٩والمعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١٦٤ و ١٦٥ وكنز العمال ج١ ص٣٦٩ والدر المنثور ج٣ ص٢٥٩ وسماء المقال في علم الرجال للكلباسي ج١ ص١٦ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٧٥ وج٩ ص٣٢٨ وإعلام الورى ج١ ص٢٤٦.

وكان أبو موسى في جملة الذين نفروا برسول الله «صلى الله عليه وآله» ناقته ليلة العقبة ليقتلوه[1].

وهو أحد الحكمين الذين يحكمان في هذه الأمة، وقد ضلا وأضلا[2].

وهو سامري هذه الأمة[3]..

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه..

ولكن خالد بن سعيد بن العاص له مسار آخر، فهو أول من قام إلى أبي بكر وقال له: إتق الله، وانظر ما تقدم لعلي بن أبي طالب «عليه السلام».

ثم ذكره بقول النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» يوم بني قريظة: إن علي بن أبي طالب «عليه السلام» إمامكم من بعدي، وخليفتي

---

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٣١٥ الأمالي للشيخ الطوسي «رحمه الله» ص١٨٢ والدرجات الرفيعة ص٢٦٣ و موسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج١٢ ص٤٤ وقاموس الرجال ج١١ ص٥٢٧ والمسترشد للطبري ص٥٩٧ والبحار ج٣٣ ص٣٠٥ و ٣٠٦ وج٨٢ ص٢٦٧ وج٢٨ ص١٠٠.

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٣١٥ وكنز العمال ج١ ص٢١٧ و ٢٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص١٧١ والبداية والنهاية ج٦ ص٢٤١ وج٧ ص٣١٥ وإمتاع الأسماع ج١٢ ص٢٠٣ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص١٥٠ ونهج السعادة للمحمودي ج٢ ص٥٥ والأمالي للمفيد ص٣٠.

(٣) مروج الذهب ج٢ ص٣٩٢ والبحار ج٣٠ ص٢٠٨ واليقين ص١٦٧ و (ط مؤسسة دار الكتاب ـ الجزائري) ص٤٤٤ ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج١١ ص٣٠٦ عن الخصال، ومستدركات علم رجال الحديث ج٥ ص٧٥ و ٣٨٦ وشرح العينية الحميرية للفاضل الهندي ص٥٢٦.

فيكم الخ..

ثم إنه تصدى لعمر بن الخطاب حين جاء متهدداً، ومعه ألفا رجل.. وشكر له علي «عليه السلام» ذلك[1].

وقد امتنع عن بيعة إبي بكر أياماً، وقال لبني هاشم في هذه المناسبة: إنكم الطوال الشجر، الطيب الثمر.

وقد اضطغنها عليه عمر، فلم يدع أبا بكر حتى عزله عن ولاية الجند الذي استنفر إلى الشام[2].

إلى غير ذلك من مواقف وحالات له، تنم عن صحة رويته، وحسن طويته، وسلامة دينه، ورسوخ يقينه، فراجع[3].

ولنا ملاحظة أخرى هنا مفادها: أن اختيار المهاجرين ليكونوا سرية لإخضاع عمرو بن معد يكرب الزبيدي المرتد عن الإسلام يراد به: الإيحاء بأن عليه أن لا يتوهم بأن أحداً في الجزيرة العربية قادر على مساعدته، أو أنه سوف يتعاطف معه، فإن الذين كانوا أكثر الناس حرصاً على هدم الإسلام قد أصبحوا أنصاره، والعاملين على معاقبة من يجترئ عليه.. وهم أهل مكة بالذات..

---

(١) الإحتجاج ج١ ص٩٩ و ١٠٤، وراجع: الخصال ج٢ ص٤٦٢ ورجال البرقي، والدر النظيم ص٤٤٢.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٥٨، وراجع: تاريخ الأمم والملوك (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ج٣ ص٣٨٨ وراجع: السقيفة وفدك للجوهري ص٥٥ والدرجات الرفيعة ص٣٩٣.

(٣) راجع : ترجمة خالد بن سعيد بن العاص في قاموس الرجال ج٤ ص١٢٠ ـ ١٢٧ وتنقيح المقال ج١ وغير ذلك.

إلا من شاء الله:

وقد لاحظنا: إنه «صلى الله عليه وآله» حين ذكر الصيحة الأولى، وما ينشأ عنها من أمور هائلة، مثل موت الأحياء، وإحياء الأموات. استثنى من الجملة الأخيرة، بقوله: «إلا ما شاءالله».

فعبّر بكلمة «ما» التي تستعمل، ويراد بها غالباً غير العقلاء، فلعل المراد: الإستثناء لبعض الأموات من غير البشر، من حشرات، أو طيور، أو حيوانات لا يترتب على إحيائها أثر..

ولكنه «صلى الله عليه وآله» حين ذكر الصيحة الثانية، التي تنشر بها الأموات، وترمي النار بمثل الجبال شرراً، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه، وذَكر ذنبه، وشُغل بنفسه. استثنى من ذلك فقال: «إلا من شاء الله». مستفيداً من كلمة «من» التي تستعمل غالباً للتعبير عن العقلاء، حيث يبدو أنه أراد أن يستثني أنبياء الله وأوصيائهم من هؤلاء الذين تنخلع قلوبهم، وتشغلهم ذنوبهم، إذ ليس لدى هؤلاء ذنوب يذكرونها، ولا ما يوجب انشغالهم بأنفسهم..

عدوانية عمرو بن معد يكرب:

وقد صرح النص المتقدم: أن عمرواً حين انصرف مرتداً عن الإسلام أغار على قوم من بني الحارث بن كعب، ومضى إلى قومه..

وذلك يشير إلى: وقاحةٍ وجرأةٍ على الدماء، وإلى الإستهانة بكرامات الناس، والطمع بأموالهم وأعراضهم، بشكل يوجب المبادرة إلى وضع حد له بصراحة وحزم. وهذا ما فعله رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث

أرسل علياً «عليه السلام» للقيام بذلك كما سبق..

طغيان خالد:

وقد لوحظ: أن خالداً قد تمرد على أمر أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأظهر أنه إنسان غير منضبط، فعامله علي «عليه السلام» بالحزم والحكمة، حين أرسل إليه خالد بن سعيد بن العاص، الذي لا يستطيع خالد مناوأته لموقعه ومكانته في قريش، فحبسه.. فلما أدركه أمير المؤمنين عنفه على خلافه..

وهذا يدلنا على: أن ما جعله النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» كان أوسع من مجرد جعل الإمارة له حين يلتقي بخالد.. بل كان خالد مأموراً بطاعته، وبتنفيذ أوامره أينما كان، سواء التقيا أو افترقا..

ولو لم يكن الأمر كذلك، فإن خالداً سوف يشتكي علياً «عليه السلام» إلى النبي «صلى الله عليه وآله».. ويعتبره متعدياً عليه، وظالماً له. ولابد أن نتوقع منه: أن يقدم على معاندة خالد بن سعيد، والإحتجاج على علي «عليه السلام»، ولو بأن يقول: إنه لم يؤمر بطاعته، وسيقول للناس: إن علياً «عليه السلام» يظلمه بهذا التعنيف، وإنه لا يحق له أن يفرض عليه تنفيذ أمره.

ولكن خالداً لم يفعل شيئاً من ذلك، ولم يعترض، ولم يشك، ولا اعتذر بأنه لم يكن يعلم بأن عليه أن يطيع أوامر علي «عليه السلام» ولا غير ذلك مما ذكرناه..

هزيمة عمرو، وسبي نسائه!!

وقد صرحت الرواية المتقدمة: بأنه رغم أن قوم عمرو بن معد يكرب، قد حاولوا إثارة حفيظته بقولهم: لعل هذا الوافد يجبره على دفع الإتاوة له،

مع وصفهم لذلك الوافد بكلمة «الغلام»، المشعرة بتميّز عمرو عليه بالسن، وبالتجربة، وبالموقعية، وما إلى ذلك..

ثم وصفوا هذا الغلام بـ «القرشي» ليشعر ذلك بغربته، وبالإختلاف معه في العدنانية والقحطانية، وفي طبيعة الحياة، فإن هذا الوافد حضري، يفترض أن تكون حياته أقرب إلى الراحة والسعة والرفاه، أما عمرو وقومه، فإنهم يعيشون حياة البداوة والخشونة، ويدَّعون لأنفسهم الإمتياز بالقدرة على تحمل المكاره ومواجهة الصعاب والإعتزاز بالشجاعة وبالفروسية وما إلى ذلك..

ولكن كل ذلك لم ينفع، بل هو قد زاد من مرارة الهزيمة التي حلت بعمرو، ومما زاد في خزي عمرو أن هزيمته قد جاءت بعد أن استعرض قوته أمام الملأ، قائلاً: من يبارز؟

وكان يرى أن الناس يهابونه، وأنه يكفي أن يذكر لهم اسمه حتى تتبدل أحوالهم، ويتخذون سبيل الإنسحاب من ساحة المواجهة، بكل حيلة ووسيلة، وإذ به يرى أن هؤلاء يتنافسون على مبارزته، وعلى سفك دمه.

وكان الأخطر والأمرّ، والأشر والأضر هو: هزيمة عمرو أمام نفس هذا الغلام القرشي من مجرد صيحة صدرت منه، دون أن يلوح له بسيف، أو يشرع في وجهه رمحاً!!

فما هذه الفضيحة النكراء، والداهية الدهياء؟!

ثم كان الأخزى من ذلك، والأمضّ ألماً، والأعظم ذلاً أن يقتل هذا الغلام القرشيّ على حد تعبيرهم أخا عمرو وابن أخيه، ويسبي ريحانة بنت سلامة زوجة عمرو، بالإضافة إلى نساء أخريات.

ثم انصرف أمير المؤمنين «عليه السلام» مطمئناً إلى عدم جرأة عمرو

وغيره على القيام بأية مبادرة تجاه خالد بن سعيد، الذي أبقاه علي «عليه السلام» في بني زبيد أنفسهم، ليقبض صدقاتهم، ويؤمِّن من عاد إليه من هُرّابهم مسلماً.

استجداء عمرو.. وأريحية خالد!!:

وتواجهنا مفارقة هنا، وهي: أن عمرو بن معد يكرب جاء إلى خالد بن سعيد بن العاص الذي خلّفه علي «عليه السلام» في بني زبيد، فأظهر عودته إلى الإسلام، ثم كلّمه في امرأته وولده، فوهبهم له.

ولكن هذا المستكبر المغرور بنفسه بالأمس، والذي جرَّ على نفسه هذه الهزيمة الفضيحة، وكان سبباً في قتل أخيه، وابن أخيه، ثم في سبي زوجته وولده.. لا لشيء إلا لأجل أن الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» لم يجب طلباً ظالماً رفعه إليه..

إن هذا الرجل بالذات يتراجع عن موقفه، ويستعطف ذلك الذي خلَّفه ابن عم الرسول «صلى الله عليه وآله» في قوم عمرو بن معد يكرب نفسه ليجبي صدقاتهم، ويؤمِّن من عاد إليه من هرّابهم مسلماً..

وقد كان هذا الرجل في غنى عن هذا الإستعطاف هنا، وعن الإستكبار هناك..

والأغرب من ذلك: أن نجده حتى حين يرى نفسه بحاجة إلى الإستعطاف والخضوع، ويمارسه، لا يتخلى عن العنجهية والغرور، وحب الظهور، وإثبات الذات، وإظهار القوة بغباوة وحمق. فإنه لما وقف على باب خالد وجد جزوراً قد نحرت، فجمع قوائمها، ثم ضربها بسيفه فقطعها جميعاً..

ثم وهب سيفه الذي كان يسميه بالصمصامة لخالد بن سعيد، إمعاناً

منه في ادِّعاء الشدة، والقوة لنفسه..

وذلك كله يجعلنا نقول:

لقد صدق من وصفه: بأنه «مائق بني زبيد»[1].

فإن المائق هو: الأحمق في غباء، أو الهالك حمقاً وغباوة[2].

بريدة يشكو علياً عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة حديث شكوى بريدة علياً «عليه السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بطلب من خالد، وبتحريض من عمر بن الخطاب، وقد غضب رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ذلك، وقد تقدم الحديث عن هذه الرواية فلا نعيد.

ماذا عن عمرو بن معد يكرب؟!:

ثم إننا لا نريد أن نؤرخ هنا لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، غير أننا نشير إلى لمحات قد تفيد في توضيح سبب تعظيمهم لهذا الرجل، وتأكيدهم على شجاعته، فنقول:

إن من أهم أسباب ذلك هو مشاركته في فتوح الشام والعراق، كما تظهره كتب التراجم[3].

---

(١) راجع: البحار ج٤١ ص٩٦ عن ابن إسحاق، ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج٢ ص٣٣٣.

(٢) أقرب الموارد ج٢ ص١٢٥٢.

(٣) راجع: الإصابة ج٣ ص١٨ ـ ٢٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٥٦٩ و ٥٧٠.

كما أن ابن عساكر قد ذكر مفردات كثيرة، تفيد في وضوح حجم مشاركته لهم في تلك الفتوحات العزيزة على قلوبهم[١]، حيث قالوا: إن هذا الرجل قد شارك في عامة الفتوح بالعراق[٢]، وكانت أكثر فتوحات العجم على يديه[٣]..

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى قائده النعمان بن مقرن: استشر واستعن في حربك طليحة، وعمرو بن معد يكرب، ولا تولهما من الأمر شيئاً، فإن كل صانع هو أعلم بصناعته[٤].

وكان عمر إذا رأى عمرو بن معد يكرب قال: «الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمرواً»[٥].

وكتب عمر إلى سعد: إني أمددتك بألفي رجل، عمرو بن معد يكرب،

---

(١) راجع: تاريخ دمشق ج٤٦

(٢) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٥٢٠ و (ط دار الجيل) ج٣ ص١٢٠٢ والإصابة ج٣ ص١٨ وفيه: أنه شهد فتوح الشام وفتوح العراق.

(٣) سفينة البحار ج٦ ص٤٨٢ والبحار ج٤١ ص٩٦ عن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٦٠٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٣٤.

(٤) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٥٢٣ و ٥٣٨ و (ط دار الجيل) ج٢ ص٧٧٣ وج٣ ص١٢٠٥ والإصابة ج٣ ص١٩ عن ابن سعد، والواقدي، وابن أبي شيبة، وتاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص١٧٢ وأسد الغابة لابن الأثير ج٣ ص٦٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص١١٣.

(٥) البحار ج٤١ ص٩٦ عن المناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٦٠٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٣٣ وسفينة البحار ج٦ ص٤٨٢.

وطليحة بن خويلد[١].

مع أن كلا الرجلين كان قد أسلم ثم ارتد، فراجع ترجمتهما[٢].

قالوا: «ومع مبارزته جذبه أمير المؤمنين «عليه السلام» والمنديل في عنقه حتى أسلم»[٣].

ولأجل ذلك نجده لا يجرؤ على إظهار نفسه في مقابل علي «عليه السلام»، فكان كثيراً ما يسأل عن غاراته، فيقول: قد محا سيف علي الصنائع[٤].

والصنيع: هو السيف الصقيل المجرب[٥].

وقد نجد مبررات كثيرة للشك فيما يزعمونه له من شجاعة وإقدام، لا

---

(١) راجع: الإصابة ج٣ ص١٩ و (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٥٧١ عن الطبراني عن محمد بن سلام الجمحي، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص٣٨٥ والمعجم الكبير للطبراني ج١٧ ص٤٥ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣١٩.

(٢) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٢٣٨ و (ط دار الجيل) ج٢ ص٧٧٣ حول طليحة، والإصابة ج٢ ص٢٣٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج٣ ص٤٤٠، وراجع حول عمرو: الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٢٠١ والإصابة ج٣ ص١٨ و (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٥٨٦ وسفينة البحار ج٦ ص٤٨٣ عن تنقيح المقال وثمة مصادر أخرى تقدمت في بعض الهوامش.

(٣) البحار ج٤١ ص٩٦ عن المناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٦٠٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٣٤ وسفينة البحار ج٦ ص٤٨٢.

(٤) البحار ج٤١ ص٩٦ عن المناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٦٠٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٣٤.

(٥) راجع: أقرب الموارد ج١ ص٦٦٥.

سيما وأنه بعد ارتداده أسره المهاجر بن أبي أمية، وأرسله إلى أبي بكر[1].

وتقدم: أن خالد بن سعيد بن العاص سبى وأسر بني زبيد، وهم قوم عمرو بن معد يكرب ولم يصنع عمرو شيئاً.

والصحيح: أن الذين سباهم هو علي «عليه السلام» كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

كذب عمرو بن معد يكرب:

ويبدو لنا: أن ما يذكرونه عن بطولات عمرو بن معد يكرب قبل إسلامه، لا يعدو أن يكون روايات من نسج خيال عمرو نفسه، فقد عرف عنه: أنه كان يكذب.

فقد رووا: أنه كان يحدث بحديث، فقال فيه: لقيت في الجاهلية خالد بن الصقعب، فضربته وقدوته، وخالد في الحلقة.

فقال له رجل: إن خالداً في الحلقة.

فقال له: أسكت يا سيء الأدب، إنما أنت مُحدَّث، فاسمع أو فقم.

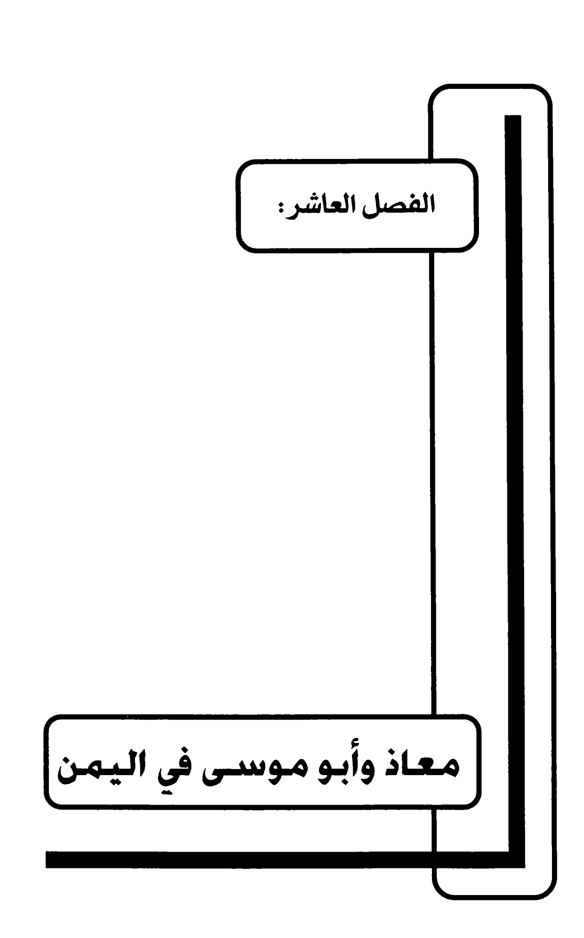
ومضى في حديثه، ولم يقطعه، فقال له رجل: أنت شجاع في الحرب والكذب معاً.

قال: كذلك أنا تام الآلات[2].

---

(١) الإصابة ج٣ ص١٨ و (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٥٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٩ ص٤٩٤ وأسد الغابة ج٤ ص١٣٣ والبداية والنهاية ج٦ ص٣٦٤ وخزانة الأدب للبغدادي ج٢ ص٣٩٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص٣٨٩ وقال في هامشه: رواه المعافي بن زكريا في الجليس الصالح الكافي ج٢ ص٢١٤ و ٢١٥ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٣٦٢.



الفصل العاشر:

معاذ وأبو موسى في اليمن

بعث معاذ، وأبي موسى الأشعري إلى اليمن:

عن أبي بردة مرسلاً، وعن أبي موسى الأشعري قال: أقبلت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومعي رجلان من الأشعريين. أحدهما عن يميني والآخر عن شمالي. كلاهما يسأل العمل والنبي «صلى الله عليه وآله» يستاك.

فقال: «ما تقول يا أبا موسى»؟

أو قال: «يا عبد الله بن قيس»؟

قال: فقلت: والذي بعثك بالحق، ما أطلعاني على ما في نفسيهما وما شعرت أنهما يطلبان العمل.

قال: فكأني أنظر إلى سواكه تحت شفتيه وقد قلصت.

قال: «لن يستعمل على عملنا من يريده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى».

أو قال: «يا عبد الله بن قيس».

قال أبو موسى: فبعثني رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومعاذاً إلى اليمن.

قال أبو بريد ة: بعث كل منهما على مخلافه.

قال: واليمن مخلافان، وكانت جهة معاذ العليا وجهة أبي موسى السفلى.

قال أبو موسى: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ادعوا الناس، وبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا».

قال أبو موسى: يا رسول الله، أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن.

قال: البتع وهو من العسل ينبذ ثم يشتد، والمزر وهو من الذرة والشعير ينبذ ثم يشتد.

قال: وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أعطي جوامع الكلم وخواتمه.

قال: «أنهى عن كل مسكر أسكر عن الصلاة»[1].

وفي رواية: فقال: «كل مسكر حرام»[2].

قال: فقدمنا اليمن، وكان لكل واحد منا قبة نزلها على حدة.

قال أبو بردة: فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه، وكان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً، فسلم عليه.

فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، فإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس، أَيَّمَ هذا؟

قال: هذا يهودي كفر بعد إسلامه، انزل. وألقى له وسادة.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٢٩ وفي هامشه عن: البخاري في كتاب المغازي (٤٣٤٤) وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص٩٩ وصحيح مسلم ج٦ ص١٠٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٩١ وصحيح ابن حبان ج١٢ ص١٩٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٢٩ ونيل الأوطار للشوكاني ج٩ ص٥٧ وفقه السنة ج٢ ص٣٧٧ و ٣٨٦ وعون المعبود ج١٠ ص٩٩.

فقال: لا أنزل حتى يقتل.

فأمر به فقتل.

قال: إنما جيء به لذلك، فانزل.

ثم نزل، فقال: يا عبد الله، كيف تقرأ القرآن؟

قال: «أتفوَّقه تفوُّقاً.

قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟

قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»[1].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا ألا اله الا الله، وأن محمداً رسول الله.

فإن هم أطاعوا لك بذاك، فأخبرهم أن الله عز وجل قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة.

فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم.

فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٢٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٢٩ و ٢٣٠ عن البخاري، ومسلم. وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج٢ ص١٥٨ ومسلم في كتاب الإيمان (١٠) انتهى. وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص١٠٠ و (دار إحياء التراث العربي) ص١١٥ =

عن عمرو بن ميمون: أن معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح، فقرأ سورة النساء، فلما قرأ: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[1]، قال رجل من القوم: لقد قرت عين أم إبراهيم[2].

ونقول:

إن مما لا شك فيه أن اليمن بلاد واسعة، وفيها سكان منتشرون في مخاليفها، ولابد من دعوتهم جميعاً إلى دين الله، وإبلاغهم كلمة الحق والهدى.. فيحتاج الأمر إلى نشر الدعاة، وبث الموفدين في كل اتجاه، ولذلك تعددت الوفود، وكثر المبعوثون إليها.. ولعل معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري كانا في جملة هؤلاء.

وقد صرحت الرواية: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد بعث كلاً منهما على مخلافه.

ولكن تبقى لنا على هذه الروايات مؤاخذات، وإيضاحات نذكرها

= و ١١٦ ونصب الراية ج٤ ص٤١٨ وج٢ ص٣٩٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٤٢ وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٥ ص١٠٨ وعمدة القاري ج١٨ ص٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٩١.

(١) الآية ١٢٥ من سورة النساء.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٣٠ عن البخاري. وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٥ ص١٠٩ وعمدة القاري ج١٨ ص٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج١ ص٣٨٩ وتغليق التعليق ج٤ ص١٥٥ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٥٧٣ والدر المنثور ج٢ ص٢٣٠ والبداية والنهاية ج١ ص١٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٠٠ وقصص الأنبياء لابن كثير ج١ ص٢٣٩.

على النحو التالي:

ترديدات تثير الشبهة:

إذا كان أبو موسى متردداً في كلا المرتين فيما خاطبه به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلا يدري هل قال له: «يا عبد الله بن قيس»، أو قال له: «يا أبا موسى»، فكيف نطمئن إلى أنه قد حفظ بالفعل سائر أقوال النبي «صلى الله عليه وآله» بهذه الدقة، حتى أنه لم يتردد في أية كلمة منها؟! بل هو يحفظ ويصف لنا سواكه «صلى الله عليه وآله» تحت شفتيه، وقد قلصت!!

اليمن مخلافان:

تقول الرواية: إن اليمن مخلافان، الأعلى والأسفل، وتقول: كان كل من معاذ وأبي موسى يسير في أرضه، فإذا كان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً، فسلم عليه..

وتقول: إنه كان لكل واحد منهما قبة نزلها على حدة.

فظاهر الرواية هو: أنهما كانا في موضعين متجاورين، وأن قبتيهما كانتا متقاربتين، والسؤال هو:

أولاً: إن اليمن بلاد شاسعة تعد بعشرات الألوف من الكيلومترات المربعة، وليست مجرد قطعتي أرض متجاورتين، يسير فيهما الراكب جيئة وذهاباً، ويتفقدهما كما يتفقد كرمه أو بستانه، أو جبلاً، أو سهلاً فسيحاً، يعيش فيه.

ثانياً: إذ كانا قريبين إلى هذا الحد، فلماذا ضربا لأنفسهما قبتين على حدة، فلتكن لهما قبة واحدة، وهذا ينطلق إلى مخلافة في الجهة العليا، والآخر

ينطلق إلى مخلافه في الجهة السفلى..

تطاوعا ولا تختلفا:

وقد ذكرت الرواية قول النبي «صلى الله عليه وآله» لهما: تطاوعا ولا تختلفا.

ونقول:

إذا كانت بلاد اليمن مخلافين، وكان «صلى الله عليه وآله» قد عين كل واحد منهما في مخلاف، ولم يكن لأحدهما أي علاقة بعمل الآخر، فلا معنى لأن يختلفا، أو أن يتفقا في شيء..

إلا أن يكون المقصود هو تحذيرهما من الإختلاف، وهما في الطريق إلى اليمن، حيث شاءت الصدف أن يسيرا إلى تسلم مهمتيهما في وقت واحد. وصادف أن سلكا طريقاً واحداً.

قتل اليهودي:

وقد ذكرت الرواية: أن معاذاً لم يرض بالنزول حتى قتلوا اليهودي الذي أسلم ثم ارتد.

ونحن نشك في صحة ذلك، فإنه «صلى الله عليه وآله» إنما بعثهما إلى اليمن دعاة لا حكاماً، ولم يكن الإسلام قد فشا في تلك البلاد، ولا كان بإمكان مبعوثي النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقتلا يهودياً أسلم ثم ارتد، مع ملاحظة كثرة اليهود في ذلك البلد.

أبو موسى التقي الورع:

وقد ذكرنا عن قريب بعض ما يرتبط بأبي موسى، وأنه جاثليق هذه الأمة وسامريّها، إلى غير ذلك من أمور تدل على سوء العلاقة بينه وبين ربه، وبينه وبين أهل بيت نبيه الأعظم «صلى الله عليه وآله». حتى إن علياً «عليه السلام» كان يقنت في الصبح والمغرب بلعنه مع جماعة آخرين إلى أمور كثيرة لا نرى حاجة لإعادتها..

غير أن هؤلاء يظهرون هذا الرجل بالذات على أنه من أتقى الناس، وأن العلم انتهى إلى ستة هو أحدهم، وأن القضاء إلى أربعة هو أحدهم أيضاً، ثم يذكرون هنا قراءته للقرآن هو ومعاذ.. فتبارك الله الخالق والبارئ الذي مسخ أقواماً فجعل منهم القردة والخنازير، ثم إن هؤلاء يمسخون أبا موسى فيجعلونه من الأتقياء، وأعلم العلماء بعد أن كان على الضد من ذلك.

هنات تجعل فضيلة لمعاذ:

ولهم في معاذ مبالغات، تزيد على مبالغاتهم في أبي موسى الأشعري كما يعلم بالمراجعة.

وقد زعموا هنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كتب لمعاذ بن جبل، وهو في اليمن: «إني عرفت بلاءك في الدين، والذي ذهب من مالك حتى ركبك الدين، وقد طيبت لك الهدية، فإن أهدي لك شيء فاقبل»[1].

---

(١) الإصابة ج٢ ص٤٤٥ و (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٣٤٤ وج٦ ص١٠٨ وراجع: ج٣ ص٤٢٧ وكنز العمال ج١٦ ص١٩٦ وج٦ ص٥٨ و (ط مؤسسة =

وقد زعموا: أن السبب في هذا السماح هو: أن معاذاً كان رجلاً سمحاً، فركبه الدين، فلزمه غرماؤه، حتى تغيب عنهم أياماً في بيته، فأرسله رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى اليمن، وقال له: لعل الله يجبرك، ويؤدي عنك[1].

قال عمر: «وكان أول من اتجر في مال الله هو، فمكث حتى أصاب، وحتى قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله»».

فلما قدم قال عمر لأبي بكر: أرسل إلى هذا الرجل فدع له ما يعيشه، وخذ سائره منه.

فقال أبو بكر: إنما بعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليجبره. ولست بآخذ منه شيئاً إلا أن يعطيني.

فانطلق عمر إلى معاذ، فذكر ذلك له، فقال معاذ: إنما أرسلني النبي «صلى الله عليه وآله» ليجبرني، ولست بفاعل.

= الرسالة) ج٦ ص١١٥ وج١٠ ص٥٩٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٨ ص٤١١ و ٤٣٢ و ٤٣٤ ورسالات نبوية ص٢٦٨ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٥٥٥ ومجمع الزوائد ج٤ ص١٥٠.

(١) أسد الغابة ج٤ ص٣٧٧ و(ط دار الكتاب العربي) ج٤ ص٣٧٧ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٣ ص٣٥٨ وحلية الأولياء ج١ ص٢٣٢ والمستدرك على الصحيحين للحاكم ج٣ ص٢٧٤ وراجع: إعانة الطالبين للدمياطي ج٣ ص٧٩ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٥٥٥ ونصب الراية للزيلعي ج٢ ص٤١١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٥٨٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٨ ص٤٣١.

ثم أتى معاذ عمر، فقال: قد أطعتك، وأنا فاعل ما أمرتني به، فإني رأيت في المنام أني في حومة ماء قد خشيت الغرق، فخلصتني منه يا عمر الخ..»[1].

ونقول:

أولاً: لو سلمنا أن حديث جبر معاذ بإرساله إلى اليمن قد صدر عن النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يسمعه عمر، وسمعه أبو بكر ومعاذ، فالسؤال هو: لماذا لم يصدق عمر معاذاً ولا أبا بكر في ذلك؟! بل بقي متردداً أو شاكاً!!

ثانياً: إن العسقلاني يذكر مضمون الكتاب الذي يزعمون أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسله إلى معاذ في اليمن، يطيِّب له فيه الهدية ـ يذكره ـ على أنه من قول النبي «صلى الله عليه وآله» لمعاذ حين أرسله إلى اليمن، لا أنه كتاب أرسله إليه في اليمن!![2].

ثالثاً: هل كان النبي «صلى الله عليه وآله» يبعث كل من ركبه الدين، أو وزعت أمواله على دائنيه إلى بلد من البلاد، ليكون والياً عليها، مستفيداً من هدايا أهله؟!

وهل حصل مثل هذا الذي حصل لمعاذ لأي واحد من أولئك الذين ولاهم النبي «صلى الله عليه وآله» بلداً، أو مخلافاً وما أكثرهم؟!.

---

(١) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص٣٥٨ و (ط دار الجيل) ج٣ ص١٤٠٥ والمصنف للصنعاني ج٨ ص٢٦٩ وكنز العمال ج٥ ص٥٩٢.

(٢) تقدمت مصادر ذلك.

وهل سمح له حين خلّفه في مكة مع عتّاب بن أسيد بأن يقبل الهدية من أهلها، ليجبره بذلك أيضاً.

رابعاً: ذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يرسل معاذاً والياً على البلاد والعباد، وإنما أرسله ليكون مجرد قاض للجند، ويعلم الناس القرآن، وشرائع الإسلام، ويقضي بينهم، ويقبض الصدقات من عمال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنه «صلى الله عليه وآله» قد قسم اليمن على خمسة، وهم: المهاجر بن أبي أمية على كندة، وخالد بن سعيد على صنعاء، وزياد بن لبيد على حضرموت، ومعاذ على الجند، والأشعري على عدن، وزبيد وزمعة والساحل[1].

فإن كانت الهدية تحرم على الولاة كما في الروايات[2]، فإن معاذاً لا ولاية له، وإن كانت تحرم على القضاة، فإن حرمتها ليست قابلة للرفع، لأنها تؤثر على سلامة القضاء، وتؤدي إلى التهمة في الأحكام. وإن كان

---

(١) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص٣٥٦ و ٣٥٧ و (ط دار الجيل) ج٣ ص١٤٠٣ ومعجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج٢ ص٧٠٢ وعمدة القاري للعيني ج٨ ص٢٣٥ وراجع: الإستذكار لابن عبد البر ج٣ ص١٩٠ والتمهيد لابن عبد البر ج٢ ص٢٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٨ ص٣٩٣ و ٤١٥ وكتاب المحبر للبغدادي ص١٢٦ وإكمال الكمال لابن ماكولا ج١ ص٤٦.

(٢) مكاتيب الرسول ج٣ ص٥٥٥ و ٥٥٦ عن المصادر التالية: صحيح مسلم ج٣ ص١٤٦٣ وسنن أبي داود ج٣ ص١٣٤ والبخاري ج٩ ص٣٦ وعمدة القاري ج٢٤ ص١٢٤ وفتح الباري ج٥ ص١٦٢ وج١٢ ص٣٠٦ والترمذي في كتاب الأحكام باب ٨، والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٨ ص١٦٣ وكنز العمال ج٦ ص٥٥ فما بعدها.

قضاؤه خاصاً بالجند، وليس والياً على الناس، فلا حاجة إلى إحلال الهدية له، لأن الهدية تكون حلالاً له بصورة طبيعية.

خامساً: إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد سمح لمعاذ بقبول الهدية، فلماذا تجاوز ذلك، واتّجر في مال الله أيضاً؟!(١).

ولعل الحقيقة هي: أن هذا الرجل قد عدا على مال الله تعالى، فاكتنزه لنفسه، فحاولوا التستر عليه بافتعال هذا الكتاب، وتلك المناسبة.. وقد

أرادوا بذلك مكافأته على مواقفه المؤيدة لسياستهم، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى..

معاذ في ميزان السياسة:

إن تعظيم هؤلاء وتفخيمهم لمعاذ يفوق حد التصور، ويكفي أن نذكر أنه عندهم «أعلم الأولين والآخرين، بعد النبيين والمرسلين، وإن الله ليباهي به الملائكة»(٢).

---

(١) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٣٥٨ و (ط دار الجيل) ج٣ ص١٤٠٤ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٥٥٥ وراجع: خلاصة عبقات الأنوار للنقوي ج٣ ص٩٥ والدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر ج٢ ص٢٤٣ وكنز العمال ج٥ ص٥٩١ ونصب الراية للزيلعي ج٦ ص١٩٨ وقاموس الرجال ج١٠ ص٩٨.

(٢) المستدرك للحاكم ج٣ ص٢٧١ وكنز العمال ج١٢ ص٣١٤ وج٦ ص١٩٤ و (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٧٤٥ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١ ص٤٦٠ والكشف الحثيث لسبط ابن العجمي ص١٧٨ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٣ ص٨٨١ والغدير ج١٠ ص١٨.

سر تعظيم معاذ بن جبل:

قد قرأنا في النص المتقدم الحديث الذي يذكر شدة معاذ بن جبل على اليهودي الذي أسلم ثم ارتد حتى إنه لم ينزل إليهم حتى قتلوه..

ثم قرأنا فيه أيضاً.. حديثه عن نفسه حول قراءة القرآن، ليدلل بذلك على شدة التزامه بخط التقوى، ومواظبته على الأمور العبادية..

غير أننا نقول:

ليت شدة معاذ كانت قد اقتصرت على ذلك اليهودي، ولم تتجاوزه إلى أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، حيث شارك معاذ في الهجوم على بيت الزهراء «عليها السلام» فور وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وفي بعض الروايات: أنه كان على ألف من المقاتلين حين البيعة لأبي بكر وهاجموا علياً «عليه السلام» وأصحابه في المسجد[1].

ورووا: أنه كان من أصحاب الصحيفة التي تعهد كاتبوها بإزالة الإمامة عن علي «عليه السلام»[2].

وروي: أنه حين احتضاره كان يدعو بالويل والثبور، لممالأته على علي

---

(١) الإحتجاج للطبرسي ج١ ص١٠٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٤٢ والبحار ج٢٨ ص٢٠٢ ومواقف الشيعة للأحمدي ج١ ص٤٣٠ والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج٢ ص٣٣٣ والدر النظيم ص٤٤٦ ونهج الإيمان لابن جبر ص٥٨٦ وبيت الأحزان ص٩٦ ومجمع النورين للمرندي ص٧٩.

(٢) كتاب سليم بن قيس (ط النجف) ص١٠٩ و (بتحقيق محمد باقر الأنصاري) ص٣٤٥.

«عليه السلام» خصوصاً بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»[١].

وكان مع الذين شهروا سيوفهم وأخرجوا أبا بكر، وأصعدوه منبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتهددوا من يعارضهم بالقتل[٢].

ولأجل ذلك تمنى عمر بن الخطاب: لو كان معاذ حياً لاستخلفه[٣].

معاذ بن جبل لم يتول مخلافاً:

إن الروايات تنص على: أن معاذاً كان أميراً على الجند فقط، وأما أبو موسى فكان أميراً على عدن، وزبيد، والساحل، فلم يكن إذن معاذ أميراً على أي من مخاليف اليمن، لا الأعلى ولا الأسفل، ولا غير ذلك[٤].

---

(١) إرشاد القلوب للديلمي ص٣٩١ وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص٣٤٦ والصراط المستقيم ج٣ ص١٥٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٧٤ والبحار ج٢٨ ص١٢٢ وج٣٠ ص١٢٨ وج٣١ ص٦٣٤ وج٥٨ ص٢٤١ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٢٠ ومستدركات علم رجال الحديث ج٤ ص٤١٢ ومجمع النورين للمرندي ص٢٠٤.

(٢) كتاب الرجال للبرقي ص٦٦ ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج١٩ ص٢٠٣ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص٩٨ والصراط المستقيم ج٢ ص٨٢ ونهج الإيمان ص٥٨٦.

(٣) الإمامة والسياسة ج١ ص٢٨ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج٢ ص٢٤٩ وتفسير النسفي ج٢ ص٢٧٥.

(٤) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٣٥٦ و ٣٥٧ و (ط دار الجيل) ج٣ ص١٤٠٢ وراجع: معجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج٢ ص٧٠٢ وعمدة القاري للعيني ج٨ ص٢٣٥ وراجع: الإستذكار لابن عبد البر ج٣ ص١٩٠ =

سرية قطبة بن عامر إلى حي من خثعم:

قالوا: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» قطبة بن عامر بن حديدة في عشرين رجلاً إلى [حي من] خثعم ـ قريباً من تربة على يومين من مكة، قال محمد بن عمر: بناحية تبالة، وقال ابن سعد: بناحية بيشة ـ وأمره أن يشن الغارة عليهم، فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها. فأخذوا رجلاً، فسألوه، فاستعجم عليهم ـ أي سكت ولم يعلمهم ـ وجعل يصيح بالحاضر[1]، ويحذرهم، فضربوا عنقه.

ثم أمهلوا حتى نام الحاضر، فشنوا عليهم الغارة، فخرج إليهم رجال الحاضر، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجراح في الفريقين جميعاً، وجاء الخثعميون الدَّهم (أي العدد الكثير)، فحال بينهم سيل أتي، فما قدر رجل واحد منهم يمضي حتى أتى قطبة على أهل الحاضر، وقتل قطبة من قتل منهم، وساقوا النعم، والشاء، والنساء إلى المدينة.

وكانت سهمانهم أربعة [أبعرة]. والبعير يعدل بعشر من الغنم، بعد أن أخرج الخمس، وكان ذلك في صفر سنة تسع[2].

= والتمهيد لابن عبد البر ج٢ ص٢٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٨ ص٣٩٣ و ٤١٥ وكتاب المحبر للبغدادي ص١٢٦ وإكمال الكمال لابن ماكولا ج١ ص٤٦.

(١) الحاضر: هم القوم النزول على ماء، يقيمون به، ولا يرتحلون عنه.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٤ والسيرة ج٣ ص٢٠٤ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٨١ وج٢ ص٧٥٤ و ٧٥٥ وج١ ص٧ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٤٠ و ٤١ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٤١٤ عن اللباب ج١ ص٤٢٣ والأنساب للسمعاني ج٥ ص٥١ ونهاية الإرب ص٢٢٩ ومعجم قبائل العرب ج١ ص٣٣١ =

ونقول:

١ ـ قال ياقوت: بيشة: من عمل مكة مما يلي اليمن، من مكة على خمس مراحل، وبها من النخل والفسيل شيء كثير، وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الأسد[1].

٢ ـ تبالة بالفتح، قيل: تبالة التي جاء ذكرها في كتاب مسلم بن الحجاج: موضع ببلاد اليمن، وأظنها غير تبالة الحجاج بن يوسف، فإن تبالة الحجاج بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن،، وأسلم أهل تبالة وجرش من غير حرب، فأقرهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أيدي أهلها على ما أسلموا[2].

٣ ـ إن الإقتصار على عشرين رجلاً في تلك السرية يشير إلى أنها لم تكن سرية قتال، بل سرية دعوة إلى الله تبارك وتعالى. لاسيما مع ملاحظة بُعد المسافة بين المدينة، وبين الموضع الذي تقصده تلك السرية، فإن عشرين رجلاً لا يمكنهم مواجهة المئات من المقاتلين الذين يعيشون في أوطانهم،

= وجمهرة أنساب العرب ص٣٩٠ و ٤٧٥ و ٤٨٤ والإشتقاق لابن دريد ص٥٢٠ ـ ٥٢٢ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص١٣٢ ومروج الذهب ج٢ ص٤٧ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج٢ ص١٩٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٦٢ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٤٢ وعيون الأثر ج٢ ص٢٣٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج١ ص٥٢٩ ومعجم البلدان ج١ ص٦٢٨ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج١ ص٥٢٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١ هامش ص٢١٤ ومعجم البلدان ج١ ص١١١٠ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٢ ص٩.

وكل وسائل العيش متوفرة لهم، مع معرفتهم التامة بمسالك المنطقة، وشعابها، ومواضع الماء والكلاء فيها..

أما أفراد السرية فهم قليلو العدد، ولا يتوفر لهم شيء من ذلك، ولن يكونوا قادرين على مواجهة العشرات من المقاتلين في مثل هذه الظروف الصعبة، ولا يمكنهم الحصول على المدد، وليس لديهم ما يكفي من العدة والعدد، لو أراد الخثعميون ملاحقتهم بالقتال. وسيكونون عرضة للمهالك والأخطار.

٤ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يبدأ أحداً بقتال قبل الدعوة، وإقامة الحجة، واتخاذه المدعوين موقف المعاند والمحارب. فكيف ينسب إليه أنه يُغِير على الآمنين، أو يأمر بالإغارة عليهم إذا لم يكونوا محاربين.

ولم يظهر لنا مما في أيدينا من نصوص: أنه «صلى الله عليه وآله» سبق ودعا خثعماً إلى الإسلام، أو أن هذه القبيلة البعيدة عنه هذه المسافات قد أعلنت حربها عليه، أو اعتدت عليه أو أغارت على أطرافه..

فما معنى: أن يأمر «صلى الله عليه وآله» قطبة بن عامر بالإغارة عليهم.

٥ ـ إن النص المتقدم قد صرح: بأن قطبة بن عامر حين شن الغارة على خثعم اقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل قطبة منهم من قتل. وساق النعم والشاء والنساء إلى المدينة..

وسؤالنا هو:

إن المفروض هو: أن الجراح قد كثرت في الفريقين، فما معنى ادِّعاء: أن قطبة قد قتل من قتل منهم ـ بل لقد قال الواقدي: حتى أتى قطبة على أهل الحاضر ـ ومعنى هذا: أنه استأصلهم عن بكرة أبيهم، فهل تفرَّد قطبة بقتل

أهل الحاضر دون سائر من معه؟! ولماذا لم يستطع أحد من العشرين الآخرين، الذين كانوا معه أن يقتلوا أحداً من أهل الحاضر، بل اكتفوا بجرحهم؟!..

ولماذا لم يُقتل أحد من العشرين، بل كثرت الجراح فيهم كما كثرت الجراح في أهل الحاضر؟!

وإذا كان السيل قد حال بين الذين جاؤوا لنجدة أهل الحاضر وبين المغيرين، فقد كان بإمكانهم أن يلاحقوهم بعد ذلك، وحين يتمكنون من تجاوز السيل ولو بعد يوم أو يومين، فإن سير الأثقال، إذا كان فيها الإبل، والشاء، والأطفال، والنساء سيكون بطيئاً وثقيلاً.. وسوف يتوزع الفرسان العشرون حولها لحمايتها وحفظها من التشتت والضياع.. وسيحتاج وصولهم إلى المدينة إلى ضعف الوقت الذي يحتاجونه لو لم تكن هذه الأمور معهم.

سرية علقمة إلى ساحل جدة:

قال ابن سعد: في شهر ربيع الآخر [سنة تسع][1].

وقال محمد بن عمر الأسلمي، والحاكم: في صفر بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ حسب نص ابن سعد ـ أن ناساً من الحبشة تراآهم أهل

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٦ عن ابن سعد. والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤١ ص١٩٥ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٤٦٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٢٣ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٤٥ وعيون الأثر ج٢ ص٢٤٠.

الشعيبة في ساحل جدة، بناحية مكة في مراكب. فبعث إليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» علقمة بن مجزِّز في ثلثمائة، فانتهى إلى جزيرة في البحر، وقد خاض إليهم في البحر، فهربوا منه[1].

فلما رجع تعجل بعض القوم إلى أهليهم، فأذن لهم، وأمَّر عليهم عبد الله بن حذافة.

وعن أبي سعيد الخدري قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علقمة بن مجزِّز، وأنا فيهم، حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق أذن لطائفة من الجيش، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمي. وكان من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكانت فيه دعابة. فنزلوا ببعض الطريق، وأوقدوا ناراً يصطلون عليها ويصطنعون.

فقال: عزمت عليكم إلا تواثبتم في هذه النار.

فقام بعضهم فتحجزوا حتى ظُن أنهم واثبون فيها.

فقال لهم: اجلسوا، إنما كنت أضحك معكم.

فذكروا ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٦ عن ابن سعد، والحاكم، وغيرهما، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٠٤ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٨٣ وراجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٤٢ و ٤٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٦ عن ابن إسحاق، وقال في هامشه: أخرجه ابن ماجة ج٢ ص٩٥٥ (٢٨٦٣)، وابن حبان (١٥٥٢) ، وابن سعد في الطبقات ج٢ ق١ ص١١٨ انتهى. وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٠٤ والمغازي =

وعن علي «عليه السلام» قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» سرية، فاستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطباً

فجمعوا له.

ثم قال: أوقدوا ناراً.

فأوقدوا ناراً.

ثم قال: ألم يأمركم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن تسمعوا لي وتطيعوا؟

قالوا: بلى.

قال: فادخلوها.

فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: إنّا فررنا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من النار.

فكان كذلك حتى سكن غضبه، وطفئت النار.

فلما رجعوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذكروا ذلك له، فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً».

وقال: «لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف»[1].

= للواقدي ج٣ ص٩٨٣، والدر المنثور ج٢ ص١٧٦ و ١٧٧ عن البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، وعن أبي شيبة، وأحمد، وأبي يعلى، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وعن الطبراني. وراجع: الثقات لابن حبان ج٢ ص٨٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٦ عن البخاري، ومسلم، وقال في هامشه: =

ورجع علقمة بن مجزِّز هو وأصحابه ولم يلق كيداً.

قول سيدنا علي «عليه السلام» عنه: واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار (وهم من بعض الرواة، وإنما هو سهمي)[1].

ونقول:

أمير السرية أنصاري أم قرشي؟!:

إن علقمة بن مجزِّز المدلجي، ومدلج قبيلة من كنانة.. وعبد الله بن حذافة السهمي القرشي، وهو من قدماء المهاجرين.

والنبي «صلى الله عليه وآله» أمّر علقمة، ثم إن علقمة أمَّر ابن حذافة على الذين يريدون الإسراع في الرجوع إلى أهليهم..

وبعد ما تقدم نقول:

١ ـ قال البخاري: باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي، وعلقمة بن مجزِّز المدلجي. ويقال: إنها سرية الأنصاري..

=أخرجه البخاري في كتاب المغازي (٤٣٤٠)، وأحمد في المسند ج١ ص١٢٤، والبيهقي في الدلائل ج٤ ص٣١٢، وذكره السيوطي في الدر المنثور ج٢ ص١٧٧ عن ابن أبي شيبة، انتهى. وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٠٤ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٤ ص٤٤ ـ ٤٨ عن الحاكم، وابن ماجة، وابن خزيمة وصححه، وأحمد.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٦ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٤٤ و ٤٥ وفتح الباري ج٨ ص٤٧ وعمدة القاري ج١٧ ص٣١٤ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٢٥٩ وتهذيب الكمال ج١٥ هامش ص٤٧٠.

ثم روى(١) **عن علي «عليه السلام» قال:** بعث النبي «صلى الله عليه وآله» سرية، فاستعمل عليها رجلاً من الأنصار الخ..»(٢).

وفي هذا الكلام خلل من جهتين:

إحداهما: أن كلا الرجلين: علقمة بن مجزِّز، وعبد الله بن حذافة.. لم يكونا من الأنصار، لأن الأنصار هم خصوص الأوس والخزرج(٣).

الثانية: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يؤمَّر عبد الله بن حذافة، بل أمّر علقمة. وعلقمة هو الذي أمَّر ابن حذافة على خصوص الراجعين إلى أهليهم، فما معنى قولهم: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمّر ذلك الرجل الذي أمرهم بدخول النار التي أضرموها؟!

ثم يقولون: إن المقصود هو: عبد الله بن حذافة..

نزول آية طاعة ولي الأمر في ابن حذافة:

وزعموا: أن قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾**(٤) نزلت في عبد الله بن حذافة في هذه

---

(١) يعني البخاري في الأحكام، وفي خبر الواحد، ومسلم في المغازي (شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٤٤).

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٤٤ وصحيح البخاري ج٥ (ط دار الفكر) ص١٠٧ وعمدة القاري ج١٧ ص٣١٤.

(٣) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٤٧.

(٤) الآية ٥٩ من سورة النساء.

المناسبة[1]..

ونقول:

أولاً: إن الآية قد ألزمتهم بطاعة ابن حذافة، وهذا معناه: أنه كان يجب عليهم إطاعة هذا الرجل، والدخول في تلك النار.

---

(١) صحيح البخاري (كتاب التفسير، تفسير سورة النساء الآية ٥٩) و (ط دار الفكر) ج٥ ص١٨٠ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٦ ص١٣ ومسند أحمد (ط دار صادر) ج١ ص٣٣٧ والدر المنثور ج٢ ص١٧٦ وراجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٤٧. وراجع: جامع البيان للطبري ج٥ ص٢٠٥ وتفسير ابن أبي حاتم ج٣ ص٩٨٨ وأسباب نزول الايات للنيسابوري ص١٠٦ وأحكام القرآن لابن عربي ج١ ص٥٧٣ وزاد المسير ج٢ ص١٤٣ وتفسير الرازي ج١٠ ص١٤٤ والجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٢٦٠ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٢٩ والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر ج٢ ص٨٩٥ وتفسير الجلالين للسيوطي ص٢٤٤ وتفسير الثعالبي ج٢ ص٢٥٤ ولباب النقول للسيوطي (دار إحياء العلوم) ص٧٢ و (ط دار الكتب العلمية) ص٦٠ وفتح القدير للشوكاني ج١ ص٤٨١ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٣٥٣ والإصابة ج٤ ص٥١ والعثمانية للجاحظ ص١١٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤٥٧ والمنتقى من السنن المسندة ص٦٢ ومسند أبي يعلى ج٥ ص١٣١ وسنن النسائي ج٧ ص١٥٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٤٣٢ وج٥ ص٢٢٢ وج٦ ص٣٢٤ وعون المعبود ج٧ ص٢٠٧ وتحفة الأحوذي ج٣ ص١٩٣ وج٥ ص٢٥٨ و ٢٥٩ وعمدة القاري ج١٨ ص١٧٦ وفتح الباري ج٨ ص٤٧ و ١٩١ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص٢٢٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٥٥ والغدير ج٣ ص١٦٥ ونيل الأوطار ج٨ ص٤٩.

وهذا يتناقض مع قوله «صلى الله عليه وآله»: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً إلى يوم القيامة، إنما الطاعة في المعروف، لا طاعة في معصية الخالق»، أو نحو ذلك..

ثانياً: روى ابن جرير: أن الآية المذكورة نزلت في قصة جرت لعمار مع خالد، حيث كان خالد أميراً، فعرسوا قريباً من القوم الذين يقصدونهم، فهربوا غير رجل واحد جاء ليلاً إلى عمار، وأخبره أنه مسلم.

فلما أغار خالد لم يجد غير ذلك الرجل، فأخذه وأخذ ماله، فأخبر عمار خالداً أن الرجل قد أسلم، وأنه قد أمّنه، فلم يرض خالد بذلك، فارتفعا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأجاز ما فعله عمار، فنزلت[1].

ثالثاً: عن ابن عباس: أن المراد بأولي الأمر في الآية: أهل الفقه والدين، وأهل طاعة الله، الذين يعلمون الناس معاني دينهم، ويأمرونهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر. فأوجب الله طاعتهم على العباد[2].

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٤٨ عن ابن جرير، وفتح الباري، والدر المنثور ج٢ ص١٧٦ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم، وعن ابن عساكر. وراجع: تفسير مقاتل بن سليمان ج١ ص٢٣٦ والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ج٢ ص٨٩٦.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص١٧٦ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم. وراجع: تفسير ابن أبي حاتم ج٣ ص٩٨٨ و ٩٨٩ والمستدرك للحاكم ج١ ص١٢٣ وجامع البيان للطبري ج٥ ص٢٠٦ وراجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٥٣٠.

وفي نص آخر عنه: هم أهل العلم[1].

وعن جابر: أنهم أولوا الفقه، وأولو الخير[2].

وعن مجاهد: هم الفقهاء والعلماء[3].

وفي نص آخر عنه: أنهم أصحاب محمد، أهل العلم، والفقه والدين[4].

وعن أبي العالية: هم أهل العلم، ألا ترى أنه يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[5]»[6].

وعن الضحاك: هم أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، هم الدعاة الرواة[7].

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص١٧٦ عن ابن عدي في الكامل. وراجع: جامع البيان للطبري ج٥ ص٢٠٦ و ٢٠٧ وفتح القدير ج١ ص٤٨٢.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص١٧٦ عن ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والحاكم الترمذي في نوادر الأصول، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه. وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥٦٧.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص١٧٦ عن سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٤) الدر المنثور ج٢ ص١٧٦ عن ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٥) الآية ٨٣ من سورة النساء.

(٦) الدر المنثور ج٢ ص١٧٦ عن ابن أبي شيبة، وابن جرير. وراجع: تحفة الأحوذي ج٣ ص١٩٤ وعمدة القاري ج١٨ ص١٧٦ وجامع البيان للطبري ج٥ ص٢٠٧.

(٧) تفسير ابن أبي حاتم ج٣ ص٩٨٩ والدر المنثور ج٢ ص١٧٧ عن ابن أبي حاتم.

وعن عطاء: أنهم أولوا الفقه والعلم[1].

وكل هذه الأوصاف لا تنطبق على عبد الله بن حذافة، ولا على خالد بن الوليد، فما معنى أن يقال: إن الآية نزلت لتلزم الناس، وخصوصاً العلماء الفقهاء من أمثال عمار بن ياسر بطاعة هؤلاء؟!

رابعاً: إنه لا معنى لاعتبار دخولهم النار معصية، إذا كانوا يظنون أن أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم بطاعة أميرهم يشمل هذا المورد.. ويظنون أن قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ**﴾[3] ناظر إلى غير هذه الصورة..

وقول الداودي: إن هذه القضية تفيد: «أن التأويل الفاسد لا يعذر به صاحبه»[4] مردود عليه بعد أن ثبت بطلان هذه الروايات، أو أنها قد تعرضت للتحوير والتزوير على أقل تقدير..

تنبيه ضروري:

ولابد لنا هنا من لفت نظر القارئ إلى: أن ما ذكرناه من روايات لهم عن نزول آية ﴿**وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ في خالد، وعمار، إنما أوردناه لإلزام الطرف الآخر به، على قاعدة: ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم.

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص١٧٦ عن عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم. وراجع: فتح القدير ج١ ص٤٨١.

(٢) الآية ١٩٥ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٢٩ من سورة النساء.

(٤) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٤٦.

نقول هذا لأننا نعتقد بعدم صحة قولهم: إن الآية نزلت لتأمر عماراً بطاعة خالد، فـ:

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه قد أمضى ما فعله عمار.

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يرض أن يصدر من خالد أي تعريض بعمار، وزجره عن ذلك.

فقد ذكرت الرواية المشار إليها نفسها: أن خالداً قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أتترك هذا العبد الأجدع يشتمني؟!.

فقال «صلى الله عليه وآله»: يا خالد، لا تسب عماراً، فإن من سب عمّاراً سب الله، ومن أغضب عمّاراً أبغضه الله، ومن لعن عمّاراً لعنه الله[1].

ثم تذكر الرواية: أن خالداً حاول استرضاء عمّار عند ذلك، فراجع[2].

ثالثاً: إن الآية لا يمكن أن تنزل من عند الله، لتأمرهم بإطاعة خالد باعتبار أنه ولي شرعي.. في الوقت الذي يطلب خالد منهم ما لا يحق له. بل هو يعصي الله في ذلك، فهل يمكن أن تأمرهم بإطاعته في مورد يعصي الله فيه؟!

---

(١) فضائل الصحابة للنسائي ص٥٠ وشرح الأخبار ج١ ص٤١١ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٩٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٧٤ والمعجم الكبير للطبراني ج٤ ص١١٢ وتهذيب الكمال للمزي ج٢٥ ص٣٦٦.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص١٧٦ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن عساكر. وراجع: خلاصة عبقات الأنوار للنقوي ج٣ ص٢٣ وجامع البيان للطبري ج٥ ص٢٠٦ وتفسير ابن أبي حاتم ج٣ ص٩٩٠ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٥٣٠ وتفسير الآلوسي ج٥ ص٦٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٢٦٥.

وقد جاء الحديث الصريح عنه «صلى الله عليه وآله»، ليقول: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1].

ولو فرضنا: أنه لم يكن عاصياً، بل كان جاهلاً بالحكم الشرعي، فهل تجب طاعته فيما يجهله من أحكام، لتكون نتيجة ذلك هي مخالفتها، كما هو الحال في مثل هذا المورد؟! فإن الرجل الذي أعطاه عمّار الأمان كان من المسلمين. فلا يصح أن يسبى ولا يحتاج إلى إجارة عمّار له، ولا إجازة خالد لذلك الجوار، بل لا يحتاج حتى إلى أمان من أحد، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما أمر خالداً بمحاربة الكفار وسبيهم.. فعمار لم يخطئ في توجيه الرجل للبقاء في موطنه. وخالد هو الذي أخطأ حينما أسر الرجل، وأخذ ماله وهو مسلم.

وأما لزوم أن تكون الإجارة والأمان بعلم الأمير.. فليس ثمة ما يثبته إلا ما يدّعيه خالد نفسه.. وإلا، فإن (المسلمين) المؤمنين تتكافأ دماءهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم[2]، وأيما رجل من المسلمين

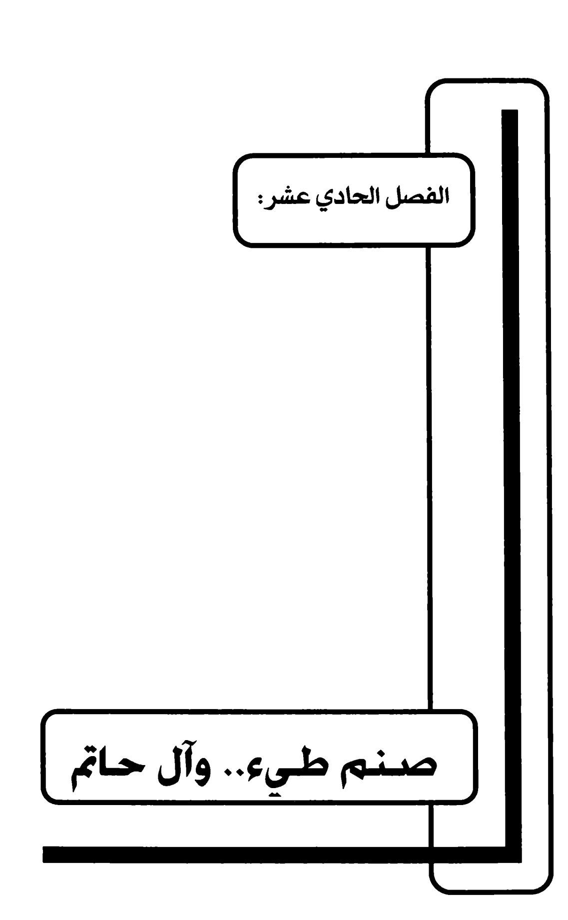
---

(١) الدر المنثور ج٢ ص١٧٦ و ١٧٧ عن مصادر كثيرة.

(٢) راجع: الخلاف للشيخ الطوسي ج٤ ص٢٠٩ و ٢٧٢ وج٥ ص١٤٧ و ٥٢٢ والمبسوط للشيخ الطوسي ج٧ ص٢٨٠ و المحلى لابن حزم ج١٠ ص٣٥٣ و ٣٥٤ وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ج١ ص٣٠٧ و ٣٢٥ و ٣٢٦ وسبل السلام للكحلاني ج٣ ص٢٣٤ ونيل الأوطار للشوكاني ج٧ ص١٥٠ وج٨ ص١٠٨ والكافي ج١ ص٤٠٣ و ٤٠٤ و ٥٤٢ ودعائم الإسلام ج١ ص٣٧٨ وج٢ ص٤٠٤ والأمالي للصدوق ص٤٣٢ والخصال ص١٥٠ والمجازات النبوية للشريف الرضي ص١٧ وتهذيب الأحكام للطوسي ج٤ =

أعطى لكافر أماناً ولو بإشارة منه، فإن أمانه ماضٍ له. ولا يستطيع أحد أن يماري في ذلك..

= ص١٣١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٩ ص٥٢٥ وج١٥ ص٦٧ و ٦٩ وج٢٩ ص٧٥ و ٧٦ و (ط دار الإسلامية) ج٦ ص٣٦٦ وج١١ ص٤٩ و ٥١ وج١٩ ص٥٥ و ٥٦ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٤٥ وج١٨ ص٢٣٧ و ٢٣٨ والغارات للثقفي ج٢ ص٨٢٨ والأمالي للمفيد ص١٨٧ والبحار ج٢ ص١٤٨ وج٢١ ص١٣٨ وج٢٧ ص٦٨ و ٦٩ و ١١٤ وج٤٧ ص٣٦٥ و ٢٤٢ وج٧٤ ص١٣١ و ١٤٦ وج٩٧ ص٤٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٢٣٠ وج٨ ص٥٦٨ و ٦١٠ وج١٣ ص١٥٩ ومسند أحمد ج١ ص١٢٢ و ١٩٢ و ٢١١ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٨٩٥ وسنن أبي داود ج١ ص٦٢٥ وج٢ ص٣٧٥ وسنن النسائي ج٨ ص٢٠ و ٢٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٣٥ و ٣٣٦ وج٨ ص٢٩ و ٣٠ و ١٩٤ وج٩ ص٥١ و ٩٤ والمستدرك للحاكم ج٢ ص١٤١ إضافة إلى مصادر أخرى كثيرة.



الفصل الحادي عشر:

صنم طيء.. وآل حاتم

[illegible]

[illegible]

هدم الفُلس ـ صنم طيء:

قالوا: وفي شهر ربيع الآخر من سنة تسع بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب «عليه السلام» في خمسين ومائة رجل ـ أو مائتين كما ذكره ابن سعد ـ من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء، ولواء أبيض إلى الفلس، ليهدمه.

فأغاروا على أحياء من العرب، وشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفلس وخربوه، وملأوا أيديهم من السبي، والنعم، والشاء.

وكان في السبي سفانة أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام.

ووجد في خزانة الفلس ثلاثة أسياف: رسوب، والمخذم ـ كان الحارث بن أبي شمر قلده إياهما ـ وسيف يقال له: اليماني، وثلاثة أدرع.

واستعمل علي «عليه السلام» على السبي أبا قتادة، واستعمل على الماشية والرثة عبد الله بن عتيك.

فلما نزلوا ركك اقتسموا الغنائم وعزلوا للنبي «صلى الله عليه وآله» صفياً رسوباً والمخذم، ثم صار له بعد السيف الآخر، وعزل الخمس.

وعزل آل حاتم، فلم يقسمهم حتى قدم بهم المدينة.

ومرَّ النبي «صلى الله عليه وآله» بأخت عدي بن حاتم، فقامت إليه

وكلمته: أن يمن عليها.

فمنّ عليها، فأسلمت وخرجت إلى أخيها، فأشارت عليه بالقدوم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقدم عليه[1].

وذكر ابن سعد في الوفود: أن الذي أغار، وسبى ابنة حاتم هو خالد بن الوليد[2].

والفُلْس ـ بضم الفاء، وسكون اللام ـ: صنم لطيء ومن يليها[3].

وفي نص آخر ذكره الواقدي:

أن علياً «عليه السلام» دفع رايته إلى سهل بن حنيف، ولواءه إلى جبار بن صخر السلمي، وخرج بدليل من بني أسد يقال له: حريث، فسلك بهم على طريق فيد (جبل)، فلما انتهى بهم إلى موضعٍ قال: بينكم وبين الحيّ الذي تريدون يوم تام، وإن سرناه بالنهار وطئنا أطرافهم ورعاءهم،

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٨ والمغازي للواقدي ج٣ ص٩٨٤ و ٩٨٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٠٥ وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٤ ص٤٨ و ٤٩ و ٥٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٢٠ و ١٢١ والإصابة ج٤ ص٣٢٩ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٦٩ ص١٩٤ ـ ٢٠٣ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٢٣ ص٢٣٤ ـ ٢٣٧ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٦٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٢٤ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٤٥.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢١٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٢٢ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٦٩ ص١٩٣.

(٣) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٤٨. وراجع: معجم البلدان ج٤ ص٢٧٣ وج٥ ص٢٠٥

فأنذروا الحيّ، فتفرقوا، فلم تصيبوا منهم حاجتكم، ولكن نقيم يومنا هذا في موضعنا حتى نمسي، ثم نسري ليلتنا على متون الخيل، فنجعلها غارة حتى نصبحهم في عماية الصبح.

قالوا: هذا الرأي!

فعسكروا وسرحوا الإبل واصطنعوا، وبعثوا نفراً منهم يتقصّون ما حولهم، فبعثوا أبا قتادة، والحباب بن المنذر، وأبا نائلة، فخرجوا على متون خيل لهم يطوفون حول المعسكر، فأصابوا غلاماً أسود، فقالوا: ما أنت؟

قال: أطلب بغيتي.

فأتوا به علياً «عليه السلام»، فقال: ما أنت؟

قال: باغٍ.

قال: فشدوا عليه.

فقال: أنا غلام لرجل من طيء من بني نبهان، أمروني بهذا الموضع وقالوا: إن رأيت خيل محمد فطر إلينا فأخبرنا، وأنا لا أدرك أسراً، فلما رأيتكم أردت الذهاب إليهم، ثم قلت: لا أعجل حتى آتي أصحابي بخبر بيِّن، من عددكم وعدد خيلكم، ورقابكم، ولا أخشى ما أصابني، فلكأني كنت مقيداً حتى أخذتني طلائعكم.

قال علي «عليه السلام»: أصدقنا ما وراءك.

قال: أوائل الحيّ على مسيرة ليلة طرادة، تصبحهم الخيل ومغارها حين غدوا.

قال علي «عليه السلام» لأصحابه: ما ترون؟

قال جبار بن صخر: نرى أن ننطلق على متون الخيل ليلتنا حتى نصبح

القوم وهم غارون، فنغير عليهم ونخرج بالعبد الأسود ليلاً، ونخلف حريثاً مع العسكر حتى يلحقوا إن شاء الله.

قال علي «عليه السلام»: هذا الرأي.

فخرجوا بالعبد الأسود، والخيل تعادا، وهو ردف بعضهم عقبة (نوبة)، ثم ينزل فيردف آخر عقبة، وهو مكتوف، فلما انهار الليل كذب العبد، وقال: قد أخطأت الطريق وتركتها ورائي.

قال علي «عليه السلام»: فارجع إلى حيث أخطأت.

فرجع ميلا أو أكثر، ثم قال: أنا على خطأ.

فقال علي «عليه السلام»: إنَّا منك على خدعة، ما تريد إلا أن تثنينا عن الحيّ، قدموه، لتصدقنا، أو لنضربن عنقك.

قال: فقدم وسل السيف على رأسه، فلما رأى الشر قال: أرأيت إن صدقتكم أينفعني؟

قالوا: نعم.

قال: فإني صنعت ما رأيتم، إنه أدركني ما يدرك الناس من الحياء، فقلت: أقبلت بالقوم أدلهم على الحيّ من غير محنة ولاحق فآمنهم، فلما رأيت منكم ما رأيت وخفت أن تقتلوني كان لي عذر، فأنا أحملكم على الطريق.

قالوا: أصدقنا.

قال: الحيّ منكم قريب.

فخرج معهم حتى انتهى إلى أدنى الحيّ، فسمعوا نباح الكلاب وحركة النعم في المراح والشاء.

فقال: هذه الأصرام (الجماعات) وهي على فرسخ، فينظر بعضهم إلى بعض.

فقالوا: فأين آل حاتم؟

قال: هم متوسطو الأصرام.

قال القوم بعضهم لبعض: إن أفزعنا الحيّ تصايحوا وأفزعوا بعضهم بعضاً، فتغيب عنا أحزابهم في سواد الليل، ولكن نمهل القوم حتى يطلع الفجر معترضاً، فقد قرب طلوعه فنغير، فإن أنذر بعضهم بعضاً لم يخفَ علينا أين يأخذون، وليس عند القوم خيل يهربون عليها، ونحن على متون الخيل.

قالوا: الرأي ما أشرت به.

قال: فلما اعترضوا الفجر أغاروا عليها، فقتلوا من قتلوا، وأسروا من أسروا، واستاقوا الذرية والنساء، وجمعوا النعم والشاء، ولم يخف عليهم أحد تغيب فملأوا أيديهم.

قال: تقول جارية من الحي وهي ترى العبد الأسود ـ وكان اسمه أسلم ـ وهو موثق: ما له هبل، هذا عمل رسولكم أسلم، لا سلم، وهو جلبهم عليكم، ودلهم على عورتكم!

قال يقول الأسود: أقصري يا ابنة الأكارم، ما دللتهم حتى قدّمت ليضرب عنقي.

قال: فعسكر القوم، وعزلوا الأسرى وهم ناحية نفير، وعزلوا الذرية وأصابوا من آل حاتم أخت عدي ونسيات معها، فعزلوهن على حدة.

فقال أسلم لعلي «عليه السلام»: ما تنتظر بإطلاقي؟

فقال: تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

قال: أنا على دين قومي هؤلاء الأسرى، ما صنعوا صنعت.

قال: ألا تراهم موثقين، فنجعلك معهم في رباطك؟

قال: نعم، أنا مع هؤلاء موثقاً أحب إلي من أن أكون مع غيرهم مطلقاً، يصيبني ما أصابهم، فضحك أهل السرية منه، فأوثق وطرح مع الأسرى.

وقال: أنا معهم حتى ترون منهم ما أنتم راؤن.

فقائل يقول له من الأسرى: لا مرحباً بك، أنت جئتنا بهم!

وقائل يقول: مرحباً بك وأهلاً، ما كان عليك أكثر مما صنعت، لو أصابنا الذي أصابك لفعلنا الذي فعلت وأشد منه، ثم آسيت بنفسك.

وجاء العسكر واجتمعوا، فقربوا الأسرى، فعرضوا عليهم الإسلام، فقال: والله، إن الجزع من السيف للؤم، وما من خلود.

قال: يقول رجل من الحي ممن أسلم: يا عجباً منك، ألا كان هذا حيث أخذت، فلما قتل من قتل، وسبي منا من سبي، وأسلم منا من أسلم، راغباً في الإسلام تقول ما تقول؟! ويحك أسلم واتبع دين محمد.

قال: فإني أسلم وأتبع دين محمد. فأسلم وترك، وكان يعد فلا يفي حتى كانت الردة، فشهد مع خالد بن الوليد اليمامة، فأبلى بلاء حسناً.

قال: وسار علي «عليه السلام» إلى الفلس، فهدمه وخربه، ووجد في بيته ثلاثة أسياف: رسوب، والمخذم، وسيفاً يقال له: اليماني، وثلاثة أدراع، وكان عليه ثياب يلبسونه إياها.

وجمعوا السبي، فاستُعمل عليهم أبو قتادة، واستعمل عبد الله ابن عتيك السلمي على الماشية والرثة.

ثم ساروا حتى نزلوا ركك (أحد جبال طيء) فاقتسموا السبي، والغنائم، وعزل للنبي «صلى الله عليه وآله» صفياً: رسوباً والمخذم، ثم صار له بعد السيف الآخر، وعزل الخمس، وعزل آل حاتم، فلم يقسمهم

حتى قدم المدينة.

قال الواقدي: فحدثت هذا الحديث عبد الله بن جعفر الزهري، فقال: حدثني ابن أبي عون قال: كان في السبي أخت عدي بن حاتم لم تقسم، فأنزلت دار رملة بنت الحارث، وكان عدي بن حاتم قد هرب حين سمع بحركة علي «عليه السلام»، وكان له عين بالمدينة، فحذره فخرج إلى الشام.

وكانت أخت عدي إذا مر النبي «صلى الله عليه وآله» تقول: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علينا منّ الله عليك.

كل ذلك يسألها رسول الله «عليه السلام»: من وافدك؟

فتقول: عدي بن حاتم.

فيقول: الفار من الله ورسوله؟ حتى يئست.

فلما كان يوم الرابع مرّ النبي «صلى الله عليه وآله»، فلم تتكلم، فأشار إليها رجل: قومي فكلميه.

فكلمته، فأذن لها ووصلها، وسألت عن الرجل الذي أشار إليها، فقيل: علي، وهو الذي سباكم، أما تعرفينه؟

فقالت: لا والله، ما زلت مُدْنِيَةً طرف ثوبي على وجهي، وطرف ردائي على بُرقعي من يوم أُسرت حتى دخلتُ هذه الدار، ولا رأيت وجهه ولا وجه أحد من أصحابه[1].

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» مضى حتى مرَّ ثلاثاً.

---

(١) المغازي للواقدي ج٣ ص٩٨٥ ـ ٩٨٩. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٦٩ ص١٩٤ ـ ١٩٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٣ ص٢٣٤ ـ ٢٣٨.

قالت: فأشار إليَّ رجل من خلفه: أن قومي فكلميه.

قالت: فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ، منّ الله عليك.

قال: قد فعلت، فلا تعجلي، حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك، ثم آذنيني.

فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ، فقيل: علي بن أبي طالب.

وقدم ركب من بلى، فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقلت: قدم رهط من قومي.

قالت: وكساني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت حتى قدمت على أخي، فقال: ما ترين في هذا الرجل؟!

فقلت: أرى أن نلحق به[1].

وفي نص آخر، قالت: يا محمد، أرأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بنا أحياء العرب؟! فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضعيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط. أنا ابنة حاتم طيء.

فقال لها النبي «صلى الله عليه وآله»: يا جارية، هذه صفة المؤمنين حقاً، ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم

---

(١) الإصابة ج٤ ص٣٢٩ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص١٨٠ عن ابن إسحاق، وابن الأثير، وأبي نعيم، والطبراني، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٠٥ وراجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٤٩ و٥٠ وأسد الغابة ج٥ ص٤٧٥.

الأخلاق[1].

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات، نجملها فيما يلي من مطالب:

من الذي سبى سفانة؟!:

قد عرفت: أن الذي جاء بسفانة بنت حاتم هو علي «عليه السلام».

ولكن ابن سعد يذكر: أن الذي سباها هو خالد بن الوليد، ولا يمكن الجمع بينهما: بأن خالداً كان في جيش علي «عليه السلام»، لأن جيش علي «عليه السلام» كانوا كلهم من الأنصار[2].

لا بد من هدم الصنم:

لقد كانت المهمة التي أنيطت بأمير المؤمنين «عليه السلام» هي هدم صنم طيئ.. وهذا يمثل تحدياً كبيراً لتلك القبيلة ولكل من كان في تلك المنطقة، فإنهم كانوا يلزمون أنفسهم بعبادته، ويصورونه على أنه قادر على

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٠٥ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٢٤ والبداية والنهاية ج٢ ص٢٧١ وج٥ ص٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص١٠٩ وج٤ ص١٣٢ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٣٥٩ وج٣٦ ص٤٤٦ وج٦٩ ص٢٠٢ و ٢٠٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٧٦ ومستدرك الوسائل ج١١ ص١٩٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١٤ ص٢١٠ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج١٠ ص٣٩٨ ونهج السعادة للمحمودي ج٧ ص٣٦٢ وكنز العمال ج٣ ص٦٦٤ والدرجات الرفيعة ص٣٥٥.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٥٠.

أن يضرهم وينفعهم.

وخير وسيلة لإسقاط هذا الإعتقاد، وإظهار خرافيته وزيفه هو: التعرض لذلك الصنم بالهدم، وهو الحد الأقصى للتحدي، بحيث يقصر عنه كل ما عداه.. ويكون هذا الذي يجري على الصنم أبلغ من كل قول، وأدلّ من أية حجة، وأوفى من كل بيان..

وذلك لأن هذا الصنم كان هو الوسيلة للتضليل، والخداع، وهو السبب في صدّ الناس عن الهدى، وأصبح التحدي منحصراً به، فلا بد أن لا تبقى له أية حرمة، ولا يمثل التعرض له بالهدم تحدياً للذين يتخذونه وسيلة ضلال وإضلال، فعليهم أن يرضوا بأن يكون هو المحك والمحل لإختيار الصحة والبطلان.. ويكون من حق كل أحد أن يجعله في موضع الإختيار لإظهار زيف ما يدّعونه له من قدرات، أو تصرفات، لكي يرى الناس بأم أعينهم: أنه يفقد ما يدّعونه له، وتتجلى لهم حقيقته، وكيف أنه لا يضر، ولا ينفع، ولا يبصر ولا يسمع، ولا يضع ولا يرفع، ولا يمنع ولا يدفع..

فإذا نصب هؤلاء الناس العداء لمن يريد أن يبطل حجتهم، وإظهار بطلان ما يزعمونه لذلك الصنم، وأرادوا أن يواجهوه بالحرب، فذلك يعني: أنهم مصرون على قهر الآخرين، والتسلط عليهم في دينهم وفي اعتقاداتهم من دون مبرر.

وهذا ظلم فاحش منهم لابد من العمل على إسقاطه، وإفساح المجال للآخرين، لممارسة حريتهم في الفكر، وفي الإعتقاد وفي الممارسة..

من أجل ذلك نقول:

إن لعلي «عليه السلام» كل الحق في أن يبادر إلى هدم الفُلْس ـ صنم

طيء ـ ليكشف للناس عجزه، وضعفه، وبطلان ما يزعمونه له من قدرات وتأثيرات، لكي يتحرر الناس من الخرافة، وليفلتوا من أيدي المستغلين والظالمين لهم، والمعتدين على كرامتهم الإنسانية، حين رضوا بأن يستخفوا بهم، وأن يدخلوهم في أنفاق مظلمة من الخداع والتضليل، والضياع..

وقد كان «عليه السلام» يعلم أن قبيلة طيء لابد أن تمنع أياً كان من ممارسة هذا الحق الطبيعي في إبطال حجتهم، وتحطيم وسيلة الخداع والظلم التي في حوزتهم، فاحتاط للأمر وقدم معه عدد قادر على الدفاع، وصد العدوان. وكسر شوكة المعتدي، فجاء بمائة وخمسين، أو مائتي مقاتل..

التحريف والتزييف:

هذا.. ولا مجال للإصغاء إلى ما زعمته الروايات المشبوهة، من أنهم قد «أغاروا على أحياء من العرب، وشنوا الغارة على محلة آل حاتم الخ..»، فإنها تريد أن توحي: بأن مهمة علي «عليه السلام» كانت هي الإغارة على الآمنين، والحصول على الأسرى والسبايا والغنائم، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يأمر سراياه بأن لا يقاتلوا أحداً إلا بعد دعوته إلى الإسلام، وإقامة الحجة عليه، فإذا لم يستجب، واتخذ موقف المعادي، وبادأهم بالعدوان، وواجههم بالحرب، كان عليهم ردّ عدوانه، وحفظ أنفسهم من سوء ما يواجههم به.

والشواهد على هذا الأمر كثيرة.. ويوجد في ثنايا هذا الكتاب عدد وافر منها، ولا حاجة إلى تكرار ذلك..

آل حاتم محاربون:

بل إن النصوص التاريخية تشير إلى: أن آل حاتم كانوا مع المسلمين في

حالة حرب.

فقد ذكروا: أن جواسيسهم كانت تراقب تحركات المسلمين، وأن أولئك الجواسيس قد وصلوا إلى المدينة نفسها. وقد عرف عدي بن حاتم رئيس قبيلة طي بمسير المسلمين لهدم صنم عشيرته من جاسوس كان لهم بالمدينة، فغادر المنطقة وترك عشيرته، وذهب إلى الشام.

كما أن علياً «عليه السلام» حين سار إليهم وجد عيناً لهم على مسيرة يوم من محالهم، وكانت مهمته هي رصد خيل محمد، حتى إذا رآها طار إليهم، وأخبرهم ليأخذوا حذرهم..

وإذا كانوا مع المسلمين في حالة حرب، فللمسلمين أن يحاولوا أخذهم على حين غرة ليوفروا على أنفسهم خسائر قد تكون جسيمة في الأرواح، وفي المعنويات.

وليس للمحارب: أن ينام، ويقول: يجب على عدوي إذا وجدني أن يقف إلى جانبي وينتظرني حتى أستفيق من غفوتي، وأغسل وجهي، وآخذ سيفي، وأركب فرسي، وأحركها نحوه في اللحظة التي أحب..

علي عليه السلام لا يقسم آل حاتم:

ولقد لفت انتباهنا: أن علياً «عليه السلام» قد عزل خمس غنائم الحرب، ثم قسمها بين المقاتلين، ولكنه لم يقسم آل حاتم.

وهذا يدل على: أنه «عليه السلام» أراد حفظ كرامة أهل الكرامة، ولم يكن يريد إذلال أحد. لأن هذه هي مهمة الإسلام، وعنوان رسالة السماء، ومضمونها العميق، وهو الأمر الذي لم يزل علي «عليه السلام» يجاهد

ويضحي في سبيلها.

الراية السوداء:

وقد أشرنا أكثر من مرة إلى أن راية النبي «صلى الله عليه وآله» في حربه لأهل الكفر والشرك كانت سوداء، حتى لقد قال الكميت الأسدي «رحمه الله»:

وإلا فارفعوا الرايات سوداً   على أهل الضلالة والتعدي[1]

وقد كانت راية علي «عليه السلام» سوداء، وراية رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم فتح مكة كانت سوداء أيضاً.

هروب عدي بن حاتم:

وقد كان عدي بن حاتم سيد القبيلة ورئيسها. فما معنى: أن يهرب إلى الشام بمجرد أن عرف بتحرك علي «عليه السلام» نحو بلاد طيء، ولماذا لا يبقى في بلده ليواسي عشيرته بنفسه؟!

ألا يدلنا ذلك على: أنه كان يعرف مسبقاً بالنتائج، فهو قد عرف وسمع بما جرى على يد علي «عليه السلام» في خيبر، وأُحد، والخندق، وقريظة، وحنين، ويوم فتح مكة، وذات السلاسل، وما إلى ذلك..

وهو يعرف قدرات طيء، ولاسيما بعد أن لم يعد هناك من يؤمل نصره.

كما أن ذلك يشير إلى إدراكه سخافة عبادة الأصنام، وعدم معقولية الدفاع عنها، وتعريض النفس والأهل والمال والولد للأخطار من أجلها وفي سبيلها..

____

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٣٢.

ولأجل ذلك اختار دين النصرانية، الذي يزعم أهله أنه سماوي، ورأى أنه أقرب وأولى بالاعتبار من الشرك، وعبادة الأحجار.

ولعله هرب إلى الشام أملاً في أن يجد لدى القياصرة ـ وهم نصارى ـ ما يمكن أن يعتمد عليه في محاربة الإسلام وأهله..

اصطفى السيوف للنبي ﷺ، ولمن صارت؟!:

١ ـ تقدم: أن علياً «عليه السلام» اصطفى ثلاثة سيوف لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وذكر ابن هشام عن بعض أهل العلم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد وهب رسوباً، والمخذم لعلي «عليه السلام». قال: وهما سيفا علي رضي الله عنه[1].

٢ ـ إنه «عليه السلام» قد اختار السيوف لتكون هي التحفة التي يخص بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأنه يعلم أنه «صلى الله عليه وآله» سيد المجاهدين، الباذلين أنفسهم في سبيل الله وقائدهم. حيث إنه لا يفكر بالمال ولا بالمغانم، ولا يريد جاهاً، ولا مقاماً دنيوياً، ولا يسعى للحصول على متعة بشيء من حطام الدنيا، وإنما يفكر بسعادة الناس في الدنيا والآخرة، وبهدايتهم إلى طريق الحق والخير، وبكل ما يعينه على ذلك في ميادين الجهاد والتضحيات، مهما عظمت وجلت..

تهديد المتهم:

وبعد أن ظهر: أن ذلك الجاسوس قد حاول أن يخدع المسلمين، تهدده

---

(١) شرح المواهب اللدنية ج٤ ص٤٩.

أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهذا يدل على: جواز إجبار الأسير على الإقرار بأمر يُعْلَم بكتمانه له، إضراراً منه بالمسلمين..

وليس فيه دلالة على صحة إجباره على ما يظن أو يحتمل أنه يكتمه.

تعمد أخذ الأسرى:

وقد أظهرت الرواية السابقة: أن المسلمين كانوا يحرصون على مواجهة الرجال المقاتلين من آل حاتم بالحرب، وبهدف استئصال الروح القتالية ضد المسلمين فيهم، لأن ذلك يمنعهم من التفكير بجمع الجموع والعودة إلى الحرب، ويوفر على المسلمين متاعب، وربما خسائر قد تكون كبيرة أو كثيرة، وكما أن ذلك قد يسهل دخول هؤلاء الناس في الإسلام لكي يسعدوا به.. وهذا هو المطلوب.

قتل الأسرى:

ثم إن هؤلاء الأسرى الذين حاربوا الإسلام والمسلمين، وأرادوا أن أن يطفئوا نور الله بالقول، وبالفعل المسلح، ويريدون منع الناس من قبول الهداية الإلهية بعد أن أقيمت الحجة عليهم، ولم يبق لهم أي عذر، وقد أسفر الصبح لذي عينين، لا يستحقون الحياة.

ولو تُركوا فلن يكون لهم دور إلا الفساد الإفساد، والتآمر، والتهيئة لمزيد من الحروب والكوارث.

ولكن الإسلام قد تكرم عليهم حين منحهم فرصة أخيرة، فعرض عليهم الإسلام، فإذا أبوه، فلا بد من تخليص الناس من شرهم. وفق ما يمليه الواجب، وتحكم به جميع الشرايع والأعراف.

لم يجبها ﷺ إلا في المرة الرابعة:

لقد لاحظنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يستجب لطلب سفَّانة بنت حاتم بأن يمن عليها بعد أن غاب وافدها.. وكان في كل مرة يقول لها: من وافدك؟!

فتقول: عدي بن حاتم.

فيقول «صلى الله عليه وآله»: الفارُّ من الله ورسوله؟

وكانت يئست من استجابته، فسكتت في الرابعة، فحرضها علي «عليه السلام»، على معاودة الطلب، ففعلت، فاستجاب لها..

فما هي الحكمة من تأجيله «صلى الله عليه وآله» الإستجابة لطلبها إلى المرة الرابعة؟!

ويمكن أن يجاب: بأنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يجعل من ذلك ذريعة للتأكيد على رعونة موقف أخيها عدي بن حاتم، مع التصريح التعليمي لها، ولكل من تبلغه كلماته بالدليل على فساد هذا التصرف من عدي؛ وخروجه عن حدود المعقول والمقبول. فإن الهروب المنسجم مع موازين العقل والعدل هو ما كان إلى الله ورسوله، لا الهروب منهما، لأن الهروب إذا كان منهما، فهو طيش ورعونة وافتتان، وإذا كان إليهما فهو حكمة، وروية، واتزان.

والمتوقع من أمثال عدي، والمناسب لحاله هو: أن يكون أكثر تعقلاً، وأفضل روية، إذ لا يمكن أن يجهل عاقل بحقيقة أنه تبارك وتعالى مدرك الهاربين، نكال الظالمين، صريخ المستصرخين، موضع حاجات الطالبين.

ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

ولعل مما يؤكد صحة ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» كان في كل مرة يسألها: من وافدك؟ مع أن مما لا شك فيه: أنه قد عرف وافدها منذ الفترة الأولى. ولكنه كان يريد أن تعود إلى التصريح باسمه ليعاود التأكيد على قوله هذا.

وجهها علي عليه السلام وحرص عليها النبي صلى الله عليه وآله:

ويبقى أن نشير هنا إلى أمرين:

أحدهما: أن علياً «عليه السلام» الذي أسرها، هو الذي حرضها على معاودة طلب المنّ عليها من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفي ذلك دلالة واضحة على مدى حرصه «عليه السلام» على أن يبلغها ما تريد. ويحفظ لها بذلك عزتها وكرامتها، ربما لما كان يتوسمه فيها من ـ كونها امرأة حازمة تعرف بسداد الرأي وحسن الإختيار، وذلك سيؤدي بها إلى اختيار الإسلام، ثم تكون سبباً في هداية أخيها عدي، كما صدقته الوقائع بعد ذلك، حيث إن أخاها أخذ برأيها، واختار الإسلام، ثم القدوم على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقد كان علي «عليه السلام» قد قسَّم الغنائم، وعزل السبي، فلم يقسمهم، بل أرسلهم إلى المدينة، كما تقدم.

الثاني: إن تأخير النبي الأعظم والأكرم «صلى الله عليه وآله» إلى اليوم الرابع، لا يعني: أن استجابته المتأخرة تختزن الرغبة في أن يعاملها بقسوة، فإنه أجابها بقوله: قد فعلت، فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك، ثم آذنيني.

فلما علم أنها وجدت ذلك كساها وحملها، وأعطاها نفقة..

وهذا الموقف يشير إلى مدى حرصه «صلى الله عليه وآله» على حفظ هذه المرأة، وعلى رغبته في إكرامها، وعلى راحتها، وسعادتها..

لو كان أبوك مسلماً لترحمنا إليه:

وقد تقدم: أنها ذكرت أباها للنبي «صلى الله عليه وآله» ووصفته بالكرم. وبغير ذلك من أمور جميلة، **فقال لها «صلى الله عليه وآله»:** لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه..

وهذه هي الكلمة الصادقة والمناسبة لمقتضى الحال، لأنها في حين لم تتضمن إشادة منه «صلى الله عليه وآله» بإبيها الذي مات على الشرك، فإنها أيضاً لم تجرح عاطفة سفَّانة، لأنها لم تتضمن جَرحاً صريحاً: بل اكتفت بالإشارة إلى أن شرك حاتم يمنعه «صلى الله عليه وآله» من الترحم عليه فـ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] كما قال تبارك وتعالى..

ونريد لفت النظر هنا إلى: أن الروايات قد اختلفت في الصيغة التي وردت على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، **فبعضها يقتصر على** كلمة: «لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه».

وبعضها يضيف إلى ذلك قوله «صلى الله عليه وآله»: يا جارية، هذه صفة المؤمنين حقاً..

أو أنه «صلى الله عليه وآله» قال: خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق..

---

(١) الآية ١٣ من سورة لقمان.

وليس لدينا ما يؤكد صحة صدور هذه العبارات عنه «صلى الله عليه وآله»..

بل إن الرواية التي ذكرت هذه الفقرات قد تضمنت ما يدل على أن ثمة تصرفاً مشيناً في تلك الرواية، حيث زعمت: أن علياً «عليه السلام» قد وصف بنت حاتم بما لا يعقل صدوره منه.

وأنه «عليه السلام» لما رآها عند النبي «صلى الله عليه وآله» أعجب بها، وصمم على أن يطلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يجعلها في فيئه[1]، مع أنه هو الذي سباها، وجاء بها من بلادها إلى المدينة.

سفّانة في الشام، وعدي في المدينة:

ويذكرون هنا أيضاً: أن سفَّانة قد أسلمت وحسن إسلامها، وغادرت المدينة إلى الشام.

قال عدي: «فوالله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إلي تؤمنا.

قال: فقلت: ابنة حاتم، فإذا هي هي.

فلما وقفت علي قالت: أنت القاطع الظالم، ارتحلت بأهلك وولدك، وتركت بقية والدك: أختك وعورتك؟!

____

(١) تاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٣٥٩ وج٣٦ ص٤٤٥ وج٦٩ ص٢٠٢ و٢٠٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٤ ص٢١٠ ونهج السعادة ج٧ ص٣٦١ وكنز العمال ج٣ ص٦٦٤ والبداية والنهاية ج٢ ص٢٧١ وج٥ ص٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص١٠٩ وج٤ ص١٣١ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٧٦.

قال: قلت: يا خية، لا تقولي إلا خيراً، فوالله ما لي من عذر، ولقد صنعت ما ذكرت.

قال: ثم نزلت، فأقامت عندي.

قال: فقلت لها، وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟

قالت: أرى والله أن نلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً، فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن نذل في عز اليمن، وأنت أنت.

قال: قلت: والله إن هذا الرأي.

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده، (وعنده امرأة وصبيان، أو وصبي، وذكر قربهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: فعرفت أنه ليس بملك كسرى ولا قيصر)، فسلمت عليه، فقال: من الرجل؟!

قال: قلت: عدي بن حاتم.

قال أبو عامر في حديثه: فرحب به النبي «صلى الله عليه وآله» وقربه. وكان يتألف شريف القوم ليتألف به قومه.

قال ابن إسحاق في حديثه: فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فانطلق به إلى بيته.

قال: فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة، فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها.

قال: قلت في نفسي والله، ما هذا بملك.

قال: ثم مضى حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً،

فقدمها إلي، فقال: اجلس على هذه.

قلت: بل أنت فاجلس.

قال: فقال: بل أنت فاجلس عليها.

قال: فجلست عليها، وجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالأرض.

قال: قلت: في نفسي ما هذا بأمر ملك.

قال أبو عامر في حديثه: فدخل الإسلام في قلبي، وأحببت رسول الله «صلى الله عليه وآله» حباً لم أحبه شيئاً قط.

قال: ولم يكن في البيت إلا خصاف ووسادة أديم، وقال في حديثه: فلم يجلس عليها ولم أجلس عليها، ثم أقبل علي، فقال:

هيه يا عدي بن حاتم، أفررت أن توحد الله؟ وهل من أحد غير الله؟

هيه يا عدي بن حاتم، أفررت أن تكبر الله؟ ومن أكبر من الله؟

هيه يا عدي بن حاتم، أفررت أن تعظم الله؟ ومن أعظم من الله؟

هيه يا عدي بن حاتم، أفررت أن تشهد أن لا إله إلا الله؟ وهل من إله غير الله؟

هيه يا عدي بن حاتم، أفررت أن تشهد أن محمداً رسول الله؟

قال: فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول نحو هذا وأنا أبكي.

قال: ثم أسلمت.

قال ابن إسحاق في حديثه: ثم قال: إيه يا عدي بن حاتم، ألم تك ركوسياً[1].

---

(١) الركوسية: طائفة من النصارى والصابئين. أقرب الموارد ج١ ص٤٢٨.

قال: قلت بلى.

قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك.

قال: قلت: أجل والله، وعرفت أنه نبي مرسل، يعلم ما يجهل.

وفي نص آخر: فقال: «يا عدي، أخبرك ألا إله إلا الله، فهل من إله إلا الله؟ وأخبرك أن الله تعالى أكبر، فهل من شيء هو أكبر من الله عز وجل»؟

ثم قال: «يا عدي أسلم تسلم».

فقلت: إني على ديني.

فقال: «أنا أعلم منك بدينك».

فقلت: أنت أعلم مني بديني؟

قال: «نعم» يقولها ثلاثاً. «ألست ركوسياً»

فقلت: بلى.

قال: «ألست ترأس قومك»؟

قلت: بلى.

قال: «أولم تكن تسير في قومك بالمرباع»؟

قلت: بلى والله، وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل.

قال: «فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك».

قال: ثم قال: لعله يا عدي بن حاتم إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله لأوشك أن يفيض فيهم ـ يعني المال ـ حتى لا يوجد من يأخذه.

ولعله أن يمنعك من ذلك ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور

البيت لا تخاف.

ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور من أرض بابل البيض قد فتحت عليهم.

قال: فأسلمت، فكان عدي يقول: مضت اثنتان، وبقيت الثالثة، ووالله لتكونن. لقد رأيت القصور البيض من أرض بابل وقد فتحت عليهم، ورأيت المرأة تخرج على بعيرها لا تخاف إلا الله حتى تحج هذا البيت من القادسية، وأيم الله لتكونن الثالثة، ليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه»[1].

في رواية قال: «هل رأيت الحيرة»؟

قلت: لم أرها وقد علمت مكانها.

قال: «فإن الظعينة سترحل من الحيرة تطوف بالبيت في غير جوار لا تخاف أحداً إلا الله عز وجل والذئب على غنمها».

قال: فقلت في نفسي: فأين ذعار طيء الذين سعروا البلاد؟

قال: «فلعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج٦٩ ص٢٠٠ و ٢٠١ عن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٢٥ فما بعدها و (نشر مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص١٠٠١ و ١٠٠٢ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٦ ـ ٢٧٨ عن أحمد، والبيهقي، والطبراني. وراجع: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ص٣٥٣ ـ ٣٥٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٧٦ ـ ٣٧٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٧٥ ـ ٧٧ وعيون الأثر ج٢ ص٢٨٧ و ٢٨٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٢٤ ـ ١٢٦.

غيرهم والله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم».

وفي رواية: «لتفتحن عليهم كنوز كسرى بن هرمز».

قلت: كنوز كسرى بن هرمز.

قال: «كنوز كسرى بن هرمز».

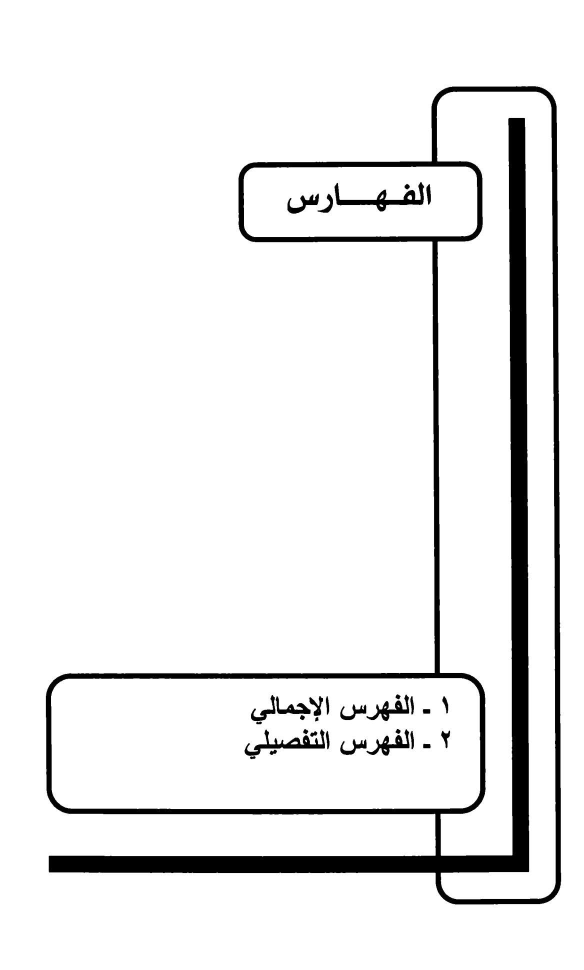
وفي رواية: «ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج بملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم، فاتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا شق تمرة فبكلمة طيبة»[1].

قال عدي: فأسلمت، فرأيت وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد استبشر، فقد رأيت الظعينة ترحل من الكوفة حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله عز وجل، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة سترون ما قال أبو القاسم «صلى الله عليه وآله»[2].

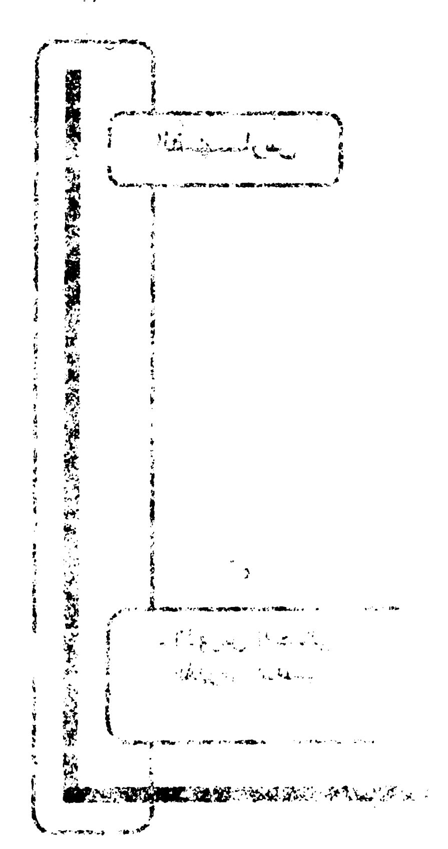
---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٧٨ وفتح الباري ج١٣ ص٧٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٧٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٣٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٧٨ عن البيهقي، وأحمد، والطبراني. وراجع: صحيح البخاري ج٤ ص١٧٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٢٦ ودلائل النبوة للأصبهاني ج٣ ص٨٢٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٧٩ وج٦ ص٢٠٩ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٣٠.



الفهـــارس



١ ـ الفهرس الإجمالي

الباب السادس: أحداث وسرايا.. إلى تبوك..

[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الباب السادس: أحداث وسرايا.. قبل تبوك..

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيبته زينب..

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن

الفصل الثالث: أحداث وقضايا

الفصل الرابع: من سرايا السنة الثامنة

الفصل الخامس: عيينة وبنو تميم

الفصل السابع: علي عليه السلام في اليمن

الفصل الثامن: عودة علي عليه السلام إلى اليمن

الفصل التاسع: علي عليه السلام في بني زبيد

الفصل العاشر: معاذ وأبو موسى في اليمن

الفصل الحادي عشر: صنم طيء.. وآل حاتم

الفهارس: